من أعلام الخليج العربي
(٢)

القاضي الرئيس

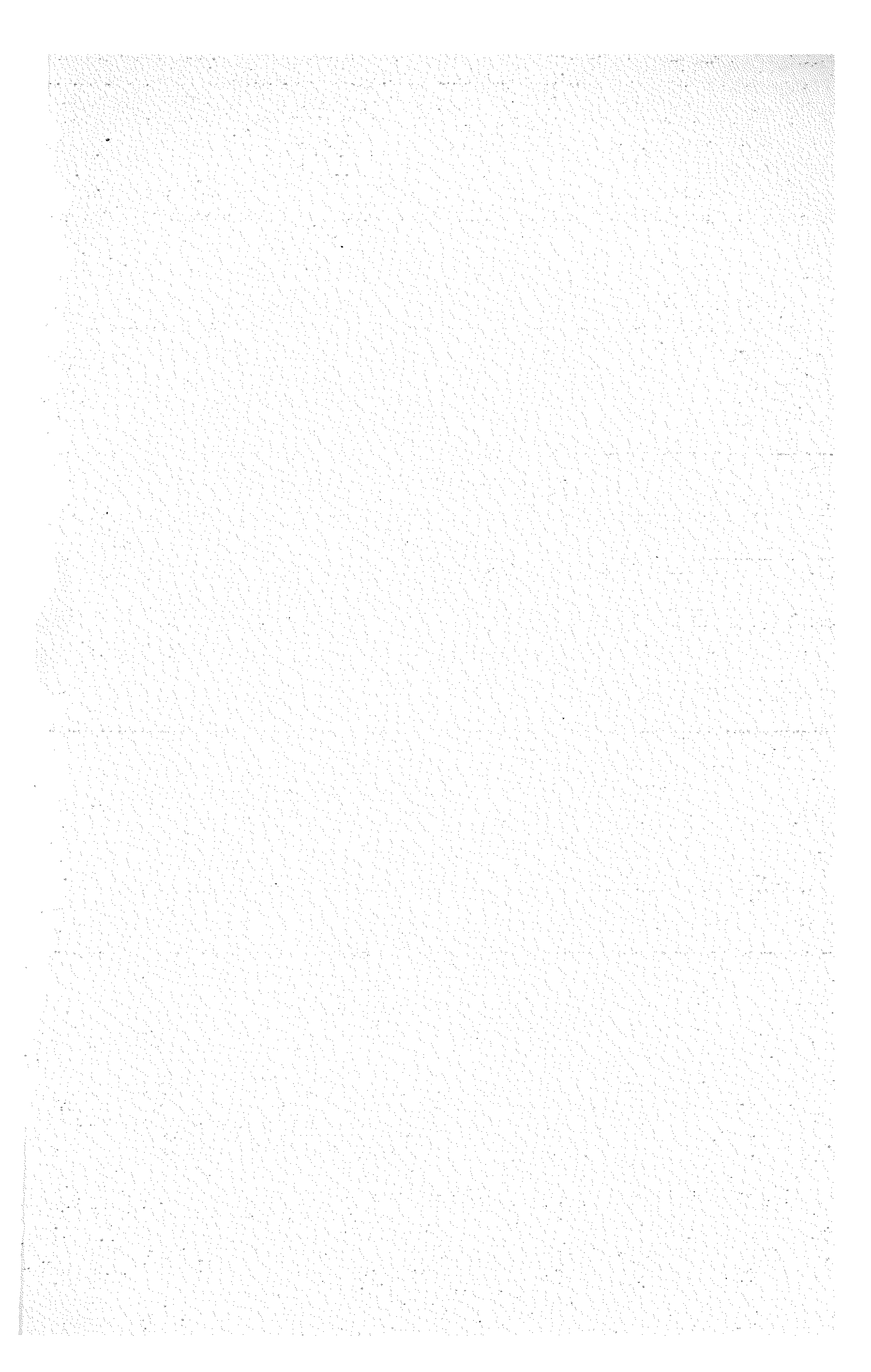
الشيخ قاسم بن مهزع

١٨٤٧ - ١٩٤١م

بقلم
مبارك الخاطر

البحرين ١٩٧٥

الطبعة الاولى



من أعلام الخليج العربي

(٢)

القاضي الرئيس

الشيخ قاسم بن مهزع

١٨٤٧ - ١٩٤١م

بقلم

مبارك الخاطر

البحرين ١٩٧٥

الطبعة الاولى

الإهداء

إلى روح القاضي قاسم بن مهزع
بعض الوفاء لما قدمه من خدمة
للعدالة والوطن .

مبارك



القاضي الرئيس الشيخ قاسم بن مهزع
فى شيخوخته



من كلمات الشيخ قاسم

● «اسمح لي فيما أبدى .. ان المنتمى للعلم له حرية الفكر فيما يبدى فى الشريعة وقانون الدول .»

قاسم بن مهزع

١٩٢٠

● على أنه باجماع الدول وقوانينهم أن البلدية لدفع المضار عن الرعية ، وجلب المصالح المنوطة بذوى التـقى والرعاية والرأفة الذين لا يتبعون أهواءهم .

١٩١٩

● على أننى لا أعلم أننى احتجبت عن متخاصمين أو متعاقدين قلوا أو كثروا ، فى ليل أو نهار ، أو صحة أو انحراف مزاج .

١٩٢٢

قالوا عن الشيخ قاسم

- فلتهنأ البحرين بقاضيها الجليل وعالمها الكبير .. اياس هذا العصر .. وفلتة هذا الدهر . ينبوع الذكاء والفراسة، ومعدن العلم والكياسة الشيخ قاسم بن مهزع .

الزعيم التونسى
عبد العزيز الثعالبى

- العلامة الجليل عالم الخليج وأستاذه المحقق فضيلة الاستاذ الشيخ قاسم بن مهزع قاضى قضاة البحرين وبدرهم المنير ولسانهم المتكلم ، وجنانهم الخفاق ، الأسد الهصور الذى لم تلد أوال الى هذا اليوم له قرينا .

المصلح المؤرخ
عبد العزيز الرشيد

- فجعت بفقدك أمة وبلاد
وبكى الحنيف وريع فيك الضاد

علم الهدى أما طوتك يد الردى
وتفطرت لمماتك الأكباد

فلأنت بالذكر الجميل مخلد
والخالدون بذكرهم أفراد

شاهدت موكبك الجليل فراعنى
شعب لصدق شعوره منقاد

ستون عاما بالهداية قائم
فينا ورأيك حكمة وسداد

عبد الرحمن المعاودة
فى مرثيته للشيخ قاسم

■ ما كل من ولي القضـــاء كقاسم
أو كل من لات العـــمامة هـــادى

مشت البلاد كبـــيرها وصـــغيرها
من خلف نعشك والشؤون بوادى

وتســـابقت فى حـــمل نعشك أمة
لولا الهدى سجدت على الأعواد

لك فى النفـــوس مهـــابة وكرامة
ولقـــــد حـــللت بطي كل فـــؤاد

لك فى القضـــاء مناقب ياليتهـــا
كتبت على الأبنـــــاء والأحفـــــاد

قاسم الشيراوى
فى مرثيته للشيخ

■ الشيخ قاسم المهزع قاضى المذهب السني .. ولو أنه طاعن فى السن وكفيف البصر الا أن له نفوذ كبير فى البلاد.

أنه رجل له شخصية قوية يشعر بها الانسان ، وان صوته لجهورى ومؤثر .. وحديثه كله كلمات منتقـــاة ومقاطع موزونة ... لغتها فوق مستوى الرجل العادى.. فحديثه حديث علية القوم .

لقد كان رجلا مسنا ذكيا وسياسيا ماهرا يســـتطيع التخلص من المواقف الحرجة بمهارة . وقد تعرفت اليه ، فكنت أكرر من زياراتى له أنشد مشورته .

لقد مات ، ولم يخلفه أى قاض فى درجته .

مستر تشارلس بلكريف
فى مذكراته
مستشار حكومة البحرين
من عام ١٩٢٦ - ١٩٥٧



الفصل الأول

توطئة

وضع دراسة عن علم من أعلام الأمة العربية ، عاش فى البحرين .. قبل نصف قرن من الزمان .. أمر شائك ومحفوف بالصعاب . فلا مصادر عامة ، ولا تدوينات خاصة ، اللهم الا فى القليل النادر منها .

وحتى أولئك الأعلام أنفسهم — عموما — لم يهتموا بتدوين شيء عن خط سير حياتهم ، التى قد تكون حافلة بجلائل الأعمال .

أجل لم يدونوا ما يساعد الأجيال القادمة على التعرف بجلاء ، على الماضى الفكرى فى هذه البلاد قبل ما يزيد على قرن .

ويحدث أن يكون من بين هؤلاء الأعلام من يدون شيئا مما لامسه من حوادث أثناء حياته ، الا أنه قد يأتي من ورثته الجهلة من يبدد بالبيع والعطاء والحرق تلك المدونات . أو حتى ما خلفه هؤلاء الأعلام من مكتبات.

والذى دونه الأجانب عن حياة الناس فى الخليج ، لا يلامس ملامسة مباشرة البيئة الحياتية للناس ذلك الوقت . والأسباب واضحة ..

ومحاولة منا للكشف عن العوامل التي أدت — عموما — الى اهمال المتنورين — وأعلام العلم فى هذه الجزر ، فى ذلك الوقت — تدوين حيثيات حياتهم بألوانها المتعددة ، لابد أولا من القاء نظرة فاحصة على المناخ العلمي للجزر آنذاك .

وبالقاء هذه النظرة الفاحصة يتبين لأول مرة أن المناخ العلمى فى هذه الجزر — أواخر القرن التاسع عشر — كان من بقايا المناخ الفكرى الذى عاشه العرب منذ حوالي القرن الثالث عشر الميلادى لغاية القرن التاسع عشر .

وان كان هناك من حولنا ما بدا يومذاك أنه حركة بسيطة فى تدوين التراث الذى كان أكثره دينيا ، كما حدث فى نجد والحجاز . وقلة قليلة فى الأحساء ، ثم أقل من ذلك فى هذه الجزر ، مما يكون عادة فى حكم النادر ، الا أن مناخ عدم التدوين لما أصبح تراثا حديثا — فيما بعد — لهذه الجزر كان مكثفا .

فالاستعمار البريطانى الذى وطيء هذه البلاد مبكرا ، قبل منتصف القرن التاسع عشر ، وتعزز بالتعزيز الأول عام ١٨٦٩ ثم بالتعزيز الثانى عام ١٩٢٣ كان عاملا مهما فى تجسيد مناخ الجمود الفكرى ، وذلك بتضييق الخناق على رواد النهضة الأوائل فى هذه الجزر .

وكذلك تأتى ضحالة الوعي الثقافى بكل ما اتسم به القرن التاسع عشر من منجزات حضارية لصالح الانسانية ، تلك الضحالة التى تكثفت عند كثير من علماء هذه الجزر وأعلامها ، فجسدت عندهم التواكل واللامبالاة الأمر الذى وصل عند بعضهم الى أن تدوين حيثيات حياتهم العلمية ، ونشرها به شيء من الشهرة التي تحبط العمل لله . تلكالضحالة كانت أيضا عاملا مهما فى استمرارية ذلك المناخ .

وهناك عوامل أخرى كعسر المواصلات .. وتأخر وصول آلات الطباعة .. وما الى ذلك .

والآن . . .

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

ومرة أخرى جئنا الآن برغبة ملحة نسهم فى تسجيل التراث الحديث فى هذه الجزر ، وفى تدوينه ، مثل ماكان لنا فى الماضى شرف تسجيل شيء منه . (١)

أما المصاعب التي تكتنف المدون لهذا التراث عبر أعلامه ، فهي تبدأ من عدم يسر المصادر كما أسلفنا .. مرورا بقلة رواة أحداث هذا التراث. اذ قد لايكون بقى منهم على قيد الحياة الا القليل . وتنتهى بقلة حصيلة المدون نفسه مما يريد تدوينه . علما بأنه قد لا تفتأ تطرق سمعه بين الفينة والأخرى أصوات عفوية ترتفع بالاشادة بأمجاد أعلام هذا التراث . فيتقصد مصدر الصوت ، فلا يجد من صاحبه الا لسانا يتلجلج بحوادث معينة .. تكون عادة غير مرتبة فى سياق سردها ولكنها قد تكون لامست صاحب الصوت بمعاناة خاصة .

اذن هل نسمح بضياع هذا التراث عبر نسيان أعلامه ، متذرعين بندرة ما كتب عنهم ، أو ما حفظ عنهم من ذكريات ، ونقعد .. ؟

لماذا لاندون هذا القليل الذى عثرنا عليه ، ثم ننميه بالبحثوالتحرى عما شاكله بالجهد والوقت والمال ، ونحفظه للنشر على الناس فى الوقت المناسب .

---

(١) اشارة الى كتابنا (نابغة البحرين ... عبد الله الزائد)

اكتب هذا وهمهمات رفض تراث الأمة العربية من بعض أبنائها .. مع ما فى ذلك التراث من غالبية ايجابية سامية ، تتمنى كل الأمم أن تكون من بين لبنات تراثها ، كانت تلك الهمهمات ـ تصك أذنى ، ولا تكاد تبين ، لأن أصحابها يناقضون الواقع الحياتى للبشرية على ظهر الأرض . ولا سبيل الى اقناعهم بتعديل خط سيرهم مع الواقع البشرى ، الا باحالتهم الى طب نفسانى ..

واذا كان علي بعض الجهات المسؤولة عن حفظ التراث العربى فى هذه الجزر أن تلم من شعثه وتصونه ، ولم تفعل مثلا فهل يعذر المثقفون الآخرون ، وخاصة أولئك الذين يحملون غليان حب لهذا الوطن .

اذن لابد مما ليس منه بد .. لابد من التفرغ للبحث عن هذا التراث واستقصائه وتسجيله . ثم غربلته وتمحيصه ، فى شيء ممن الصبر والأناة اللذين قد يتطلبان فى جزء منه فقط .. الوقت والجهد والمال .

فأين الحصول على هذه الحوافز الثلاثة لواحد مثلى .. ؟!

علي العموم فان للواجب الحق فى خدمة العلم الدافع الأسمى لاعداد هذه الدراسة المتواضعة عن القاضى الشهير قاسم بن مهزع .

غير انه وفى اثناء تنفيذ مخطط هذه الدراسة ، برزت القاهرة كجهة أستطيع أن أحصل فيها على شيء من المراجع فى هذا الخصوص . لكن أينها مؤنة الطريق وأنا لا أستطيع ذلك بسبب ما يعانيه مثلي من قلة الرعاية ، وليس هناك ما يوحى بوجود جهات معينة يجتمع لديها المال والرغبة فى اخراج شيء من تراث بلادها المجيد ، فتقوم باخراجه ، ان لم تضع أمامه المعوقات .

لذلك فقد اعتبرت الذهاب الى القاهرة لهذا الغرض لن يتحقق ، وبدأت أطرد الفكرة عن رأسى ، الى أن جاءتنى دعوة الحكومة الليبية لحضور مؤتمر الشباب الاسلامى العالمى بطرابلس الغرب ١٩٧٣ . فاغتنمتها فرصة ثمينة . فبعد انتهاء المؤتمر ، وعن طريق العودة الى الوطن دخلت قاهرة المعز ، وهناك خلال ثلاثة أسابيع استطعت أن أحصل على ما كنت أود الحصول عليه من مراجع فى موضوع دراستى هذه . هذا وأعترف بأني عاجز عن ازجاء الشكر للمسؤولين فى كل من وزارتي الاعلام فىالكويت والبحرين .. الذين قدموا لي كل ما يستطيعون تقديمه من تسهيلات فى اخراج هذه الدراسة ..

وفى نهاية المطاف أزجي شكرى وتقديرى لكل من أمدنى بمعلومات قيمة فى موضوع دراستى هذه .. واعدا اياهم وكل القراء – على امتداد الخليج – أن أقوم باخراج الجزء الخاص برسائل الشيخ قاسم وتقاريره القضائية وتوثيقاته .. وما الى ذلك فى القريب ان شاء الله لتكون مرجعا لذوى الاختصاص .

ابن مهزع .. وحده

هذه الدراسة عشت بداياتها قبل سنوات حينما كنت أعد دراستى عن عبد الله الزائد . أثناء ذلك كانت تطوف بي أطياف لأعلام أجلاء ، خدموا هذا الخليج بأمانة واخلاص ومعرفة .

كان من بين تلك الأطياف طيف القاضى الجليل الشيخ قاسم بن مهزع فكنت أسجل عنه ما يمر بي من هفهفات عبقة واحتفظ بها ..

من ذلك تلك القصة البديهية الطريفة التي رواها لي المرحوم الشيخ الأديب الشاعر محمد بن عيسى الخليفة بالنص قال : (حينما زرت أمريكا أراني أحد كبار المسؤولين هناك صورة فتوغرافية للشيخ ابن مهزع ،وقال لي : هل تريد نسخة منها ؟ فقلت كلا ، ان الشيخ عندنا فى البحرين بجسمه وروحه . وكان ذلك علي حياة الشيخ ابن مهزع)

هذه القصة حققتها بعد ذلك ، أثناء وضع هذه الدراسة عن معمرين آخرين فأكدوها .. لكن الشيخ محمد الحباب بن أحمد المهزع أكدها لي بتوسع قليل ، نقلا عن الشيخ محمد بن عيسى نفسه .

لكن لماذا تجيء دراستنا هذه اليوم عن القاضى ابن مهزع وحده ..؟ مع أن سبحة القضاء الاسلامى التي لم ينفرط عقدها فى البحرين ابان القرن التاسع عشر كانت تزهو بمنظوماتها من أشياخ القضاة ..

فمن القاضى عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف الى ابنه ابراهيم الى محمد بن راشد الحسينى الى خلف العصفور ، والسيد عدنان الى أحمد بن حرز فعبد الحسين الحاي .

فلماذا .. ابن مهزع وحده .. ؟

أجل .. لماذا ؟

لأن ابن مهزع وحده .. هو الذى لازال ذكره حيا خالدا فى أذهان الناس فى هذه الجزر ، وما حولها من بلاد الخليج ، رغم مرور قرابة نصف قرن على آخر قضاء أصدره . وسيبقى كذلك ما دامت أشواق الانسان تحدوه الي وضع مظلمته وهو مطمئن أمام قاض عادل زرع – بقسطه وانصافه – طمأنينته فى قلوب مواطنيه .

ولأن ابن مهزع .. هو وحده الذى يتناقل عنه أبناء هذه الجزر وما حولها من البلاد – أبا عن جد – صنوف طرائقه المختلفة المعجزة ، فى انتهاجه أيسر السبل وأجداها اجراء فى التحقيق المدني والجنائي ، كل ذلك فى تصرف معجز كأنه الهاما .

وابن مهزع هو وحده الذى كان يصدر أحكامه عن رؤية عميقة واضحة ، يرسلها فاحصة تتخلل – دائما – خلفيات المتقاضين أمامه ، فتجيء حيثيات أحكامه مختصرة ، ولكنها كالقذيفة التى أصابت الهدف . ومع ذلك فهو لا يترك المتقاضين أمامه الا وهما مقتنعان – في أكثر الأحيان – بما قضى بينهما .

وهو وحده الذى كان قاضى هذه البلاد لخمس وخمسين سنة . وفى عهد قضائه الطويل هذا ، كان الناس فى البحرين ، وكأنهم فى مدينة فاضلة .. آمنين على أموالهم وأرواحهم .. حكومة وقضاء . وان غاية أمرهم اذا حزبهم أمر شديد أن يقولوا : – (**انروح للشيخ جاسم .. انروح حك بن مهزع**) .

وابن مهزع وحده هو الذى كانت تنخلع من ذكر اسمه قلوب اللصوص والفسقة والمجرمين ، والظلمة ، وآكلي أموال اليتامى ظلما وعدوانا ، الذين كان لهم علي زمانه حول وطول ..

وهو وحده الذى كانت له السفن تشق حباب أمواج الخليج بمتقاضيها الآتين ينشدون قضاءه فيما شجر بينهم بكل طواعية واختيار .

وهو بعد ذلك القاضى الذى لا تلومه فى الحق لومة لائم ، وهو العالم الذى كان يؤتى اليه ، ولا يأتى .

ثم بعد ذلك كله كان ابن مهزع الطبيب العلاجى المتبحر فى التشخيص .. وفى زمانه كان كل من يستطيع الوصول اليه .. لا يؤوب من عنده الا بشيء من العلاج . وكثيرا ماشفى أناسا مرضى بارشادات طبية شفهية.(1)

لهذا .. ولغيره جئنا بهذه الدراسة .

---

(1) تعلم الشيخ شيئا من الطب العلاجى على يد الطبيب التركى أسعد أفندى الذى جاء البحرين من الكويت عام ١٩١٣ هاربا من وجه أمير الكويت مبارك الصباح .

القضاء .. على عهد ابن مهزع

قبل أن نبدأ معك أيها القارىء بتصفح سفر حياة الشيخ القاضى قاسم بن مهزع .. نود أولا اعطاءك فكرة مبسطة عن مناخ القضاء فى البحرين ابان مجىء الشيخ القاضى ..

كان القضاء الاسلامي هو قضاء أهل هذه البلاد .. منذ دخلت هذه الجزر فى حضيرةالاسلام على يد العلاء بن الحضرمي ، ابان عهد ملكها المنذر بن ساوى . (١)

وظل هو القضاء الرسمى فيها حتى شاركته سلطة القضاء المدنى الوضعى عام ١٩٢٣ (٢)

وقبل عام ١٩٠٣ كان كل المقيمين فى هذه الجزر من مواطنين وأجانب يخضعون لأحكام القضاء الاسلامى ، الا أنه فى هذا العام نفسه اختصت سلطة الحماية البريطانية بالفصل فى كل القضايا المدنية للأجانب فى البلاد ، وبقى الأمر كذلك حتى بدأت تلك السلطة فى تحويل هذه القضايا الى القضاء الوطني ابتداء من عام ١٩٥٢ . (٣)

وان حدثت هناك مقاضاة بين مواطن وآخر أجنبى فى قضية مدنية أو جنائية ، فأمره متروك الى حاكم البلاد والمعتمد حيث يلتقيان ، فيشكلان — هما أو من ينوب عنهما — محكمة تسمى المحكمة المشتركة تقضى بين المتخاصمين .

والمعروف أن القضاء الاسلامى فى البحرين قضاءآن .. سني وجعفرى ، وكان الحاكم قبل قرن هو الذى يحول المتخاصمين من أهل البلاد كل الى قضائه . وهو ما تقوم به المحاكم المدنية الآن .

---

(١) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : (وينسب الى البحرين قوم من أهل العلم منهم محمد بن معمر البحراني البصرى وهو ثقة ، حدث عنه البخارى ، وهو محمد بن معمر بن ربعي القيسي . ومنهم العباس بن يزيد أبى حبيب البحرانى ، ويعرف: بعباسويه ، حدث عنه خالد بن الحارث وابن عيينه ويزيد بن ذريع . ومنهم زكريا بن عطية بن عثمان بن عطاء الخرسانى البحرانى ..

(٢) ملوك العرب للريحانى جزء (٢) .

(٣) راجع مجموعة القوانين لحكومة البحرين عام ١٩٥٨ — الاعلان العدد ١٣٧١/١٨ — ١٩٥٢/٥/١ والاعلان العدد ٤٦ / ١٣٧٢ — ١ / ٥ / ١٩٥٢ والاعلان العدد ١٣ / ١٩٥٧ .

وجاء الشيخ قاسم الى الحياة والقضاء الاسلامى فى البحرين وسائر البلاد الاسلامية ــ حتى الآن ــ يعتمد فى شغل مناصبه على العلماء البارزين فى الشريعة الاسلامية .

وكان اختيار حاكم البلاد للقاضى فى ذلك الزمان يعتمد على حصول القاضي المعين اما على أجازة من شيخه فى فهم الشريعة ، وتطبيق أحكامها. أو أن يتحدث عنه الناس بالتفوق فى فهم الشريعة . وهذه الشهادة كثيرا ما ينالها من متقاضين اختاروه ليقضى بينهم . فاشتهر عنه قضاؤه العادل فيهم . فالقضاة على زمن الشيخ ابن مهزع وقبله موجودون فى كل مدينة وقرية فى البلاد . وهم فى ذلك الوقت محتاجون الى براءة من الحاكم ليصبحوا قضاة يقضون بين قصادهم ــ من المتقاضيين ــ فى مدارسهم العلمية ، أو فى مساجدهم أو فى مجالسهم ، أو حتى فى بيوتهم كل ذلك على أسس الشريعة الاسلامية .

وان أمثال هؤلاء القضاة كانوا لا تعوزهم الأداة المنفذة لأحكامهم اما أن ينفذوها هم ، أو يرفعوها الى الحاكم ما لم يقم المتقاضون أنفسهم بتنفيذها فيما بينهم عن طواعية ، حيث كان الناس اذ ذاك يتحلون ببقية من تربية اسلامية بناءة ، وتعمر قلوبهم طمأنينة الايمان بعدالة حكم الله فى الأرض عبر الشريعة الاسلامية .

ومع ذلك فقد جرت عادة حاكم البلاد ــ آنذاك ــ ان يعتمد قاضيا معينا فى كل من المدن أمثال المنامة ، والمحرق والحد والقرى الأخرى ليحكم بين الناس بما أنزل الله ، ولينفذ فيهم ما أصدر من أحكام . فنرى الناس يهرعون بقضاياهم الى هؤلاء القضاة ، لا ليصدروا فيها الأحكام فقط بل ليقوموا بتنفيذها كما يعبر عنه باقامة الحدود آنذاك .

وولى الشيخ قاسم القضاء فى المنامة ، وقد بدأت تدرج بسرعة فى التوسع السكاني والتجارى . لكن بساطة الحياة وقلة تعقيدها كانت السمات المميزة لأهل البحرين عامة آنذاك . فلا حوادث طلاق كثيرة مع شيوع تعدد الزوجات ، ولا وفر فى المشكلات المالية المعقدة ، مع أن البلاد تعيش ازدهارا ماليا بسبب كونها المركز الرئيسى ــ لتجارة ــ اللؤلؤ ــ اذ ذاك ــ فى الخليج ان لم يكن فى العالم .

ولكن ليس معنى ذلك أن ليس هناك قضايا وأحكام ؟

كان الناس قبل أن يلي ابن مهزع القضاء فى المنامة يتحاكمون امام

القضاة ، كل فى بلدته ، فلما تسامعوا بقضائه العادل ، وسرعة صدور أحكامه فى ظلامات المتظلمين ، جاءوه من كل حدب وصوب يتحاكمون اليه وهم مطمئنون .

كان قاضيا للمنامة وأصبح بعد هنيهة من الزمان قاضيا للبحرين كلها ، وان شئت أن لا تعدو الحقيقة فقل كان قاضيا للخليج كله . ومن هم من الناس المعمرين فى الخليج أو حتى الاحساء ونجد من لم يسمع بذكر ابن مهزع وقضائه ، وقد عاش ابن مهزع قاضيا لهؤلاء كلهم مايزيد على نصف قرن من الزمان ، واعتزل وكل مكافأته فى تولى قضائهم منحه ثقتهم الغالية التي كثيرا ما كانت عزيزة المنال على غيره ، فلقد تجسدت فيه كل أشواقهم القضائية .

وان قاضيا فى مثل أبى محمد ــ آنذاك ــ كان مشغولا طول وقت جلوسه فى مجلس القضاء ، يدأب فى حل منازعات الأطراف المعنية فى تجارة الغوص .. وهل هذه المنازعات غير الملاحم المعاشية المستمرة بين بحار الغوص ونوخذاه ؟ !

ثم اذا فرغ الشيخ من ذلك هل يترك له الضامن أو المالك وقتا فى نزاعهما على النخلة التي هي مصدر القوت الرئيسى للناس اذ ذاك ؟

ثم هل للمشاكل المعقدة فى سقى الزروع بالأوضاح أناء الليل والنهار ــ فى نظام الرى القديم فى البحرين ــ غير الشيخ يحلها باستمرار؟!

وكذلك فان للقضايا الكبيرة فى الاوقاف ، وخاصة أوقاف الذرارى المثيرة للخصومات المريرة نصيب كبير فى قضاء الشيخ . ويصدر أحكامه فى قضايا مصائد الأسماك على اختلاف أنواعها . وفى قضايا النقل فى البر والبحر ، والقضايا الجرمية الأخرى .

وعلى عهد قضاء الشيخ قاسم لم يكن للأيتام وال غير القاضى .. أى قاض ، اذا لم يكن لهم وال من أهلهم . واذا كان من أولئك الأولياء ممن يأكلون أموال اليتامى ظلما وعدوانا .. وقد سمعنا نحن المتأخرين من تلك الحوادث الأهوال والعبر ، فكيف بربك اذا كان ولاة الأيتام من القضاة .. فى مثل ولاة الأيتام من الأرحام ؟ !

عندها تكون حاجة الانسان لقاضى البلاد الشجاع العادل الحازم فى مثل حاجته للماء والهواء .. فجاء الشيخ قاسم وقد تجسدت فيه كل متطلبات الانسان الحقوقية .. وبمثل هذه المزايا قضى فى المشكلات القبلية والعشائرية التي كانت سائدة آنذاك ، بذيولها من الخفض والرفعة .

عصر الشيخ قاسم

النصف الثاني من القرن التاسع عشر
والنصف الأول من القرن العشرين



- بين عصرين
- الحقبــة الأولى
- الحركة الفكرية ١٨٥٠ ــ ١٩١٨
- الحركة الأدبية ١٨٥٠ ــ ١٩١٨
- الحقبة الثــانية



الشيخ قاسم من العلماء القضاة الأفذاذ الذين قل ما تجود بهم العصور ، ولطول عمر الشيخ رحمه الله ، فانه عاش عصره ، وكأنه عاش اعصرا . خصوصا وانه عاش زمن التحولات الحضارية الضخمة السريعة ، ابان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وأواخر النصف الأول من القرن العشرين .

وبلاده البحرين كانت ضمن بلاد الشرق الأوسط ، وفى مقدمة بلاد الخليج ، التي قبلت بعض تلك التحولات ، ولم ترفضها لعدة أسباب أهمها اتصالها — فى العصر الحديث — بالهند ، المستعمرة البريطانية اذ ذاك ، وكذلك بأوربا عبر تجارة اللؤلؤ . ولأنها مركز ومعبر تجاريان مهمان بين أوربا والشرق ، واسهام اسطولها التجارى الضخم ابان القرن التاسع عشر كله فى ذلك الاتصال . (١)

الحقبة الأولى ١٨٥٠ — ١٩١٨

يمكن القول بأن الشيخ مر بحقبتين مهمتين فى حياته ، أولهما حقبة ما قبل الحرب العالمية الأولى حتى نهايتها ١٨٥٠ — ١٩١٨ وثانيهما حقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى حتى أوائل الحرب العالمية الثانية ١٩١٨ — ١٩٣٩ .

ففى الفترة الأولى من الحقبة الأولى ومنذ اشراق فطنته حتى نضوجه الفكرى ١٨٥٠ — ١٨٧٠ وتوليه القضاء فى البحرين ، عاش

---

(١) ذلك الاسطول التجارى الذى كان يتحول بسرعة عظيمة الى اسطول حربى مصفح بألواح من النحاس (البكارات والبغال المصفرة) كلما دعت الضرورة لرد الغزاة عن هذه الجزر . ذلك الاسطول الذى كان يجوب الخليج ، فالمحيط الهندى ، فجنوب شرقى آسيا للتجارة . كان ذلك الاسطول سيد مياه الخليج بلا منازع طوال قرن من السنين وهو الذى أوصل للخديوى اسماعيل بمصر هدايا البطل الملهم محمد بن خليفة حاكم البحرين ١٨٤٢ — ١٨٦٩ من خيول البحرين العربية والسجاجيد العظيمة الحجم الجيدة الصنع .

ذلك الاسطول هو الذى كان على استعداد دائم لانجاد عرب شرق أفريقيا كلما دعت الضرورة كما فعل حين قاده عيسي بن طريف البنعلى ففتح به مدينة (بمباسة) فى شرق أفريقيا اعانة لسلطان عمان — آنذاك — السيد سعيد بن سلطان آل أبي سعيد (من تأريخ الكويت ص ١٠٩ لسيف مرزوق الشملان) ومحمد بن نبهان في تاريخ البحرين .

الشيخ بن مهزع بقية عهد التنازع العشائرى فى القبيلة الأولى فى البلاد.(١) واشترك فيه وهو مازال بعد فى آخر مرحلة من طلب العلم .

وفى هذه الفترة أيضا عاش الشيخ عهد الطلب فى البحرين أولا ، وبين الاحساء ومكة المكرمة ثانيا وأنهي تعليمه ، وفيها فقد والده ، وفيها أصبح فقيها متمكنا ، وبدأ يلقي دروسا فى الفقه واللغة والتشريع كلما سنحت له الفرصة ، سواء فى مسجد الشيوخ بالمنامة أو فى بيته .

وهو بعد كل ذلك وقبله عاش هذه الفترة فى كنف ورعاية الشيخ علي بن خليفة . (٢) وفى نهايتها رأى الاتصال السلكي بين البحرين والعالم .

وفى هذه الفترة عاش الشيخ فى مجتمع سكاني متكامل كان قد ودع حياة التجوال وعدم الاستقرار واستقر فى هذه الجزر قبل نصف قرن من مولد الشيخ مكونا مع من سبقه من العرب المقيمين فيها شعبا قائما بذاته ، له طابعه الخاص فى ممارسته لأخلاقياته المنبعثة من اسلامه وعروبته .

فى هذا المجتمع عاصر الشيخ الحياة الاقتصادية المزدهرة برواج تجارة اللؤلؤ آنذاك . وأبصر يسرها فى سيولة النقد فى أيدى الناس وأبصر نظامها فى سجلاتها الحسابية المحكمة ، وفى عقودها وتوثيقاتها على الطريقة الاسلامية .

وفى مجال الزراعة عاش الشيخ عهد ازدهار الزراعة فى البلاد .. خرج الى الدنيا وقد تسامقت أشجار النخيل الجديدة فى كل من زويد وفارسيه وستره (٣) وقد جيء بفسائلها من الاحساء والقطيف . وأنشئت

---

(١) راجع ترجمة علي بن خليفة ص ٢٤

(٢) هو علي بن خليفة بن سلمان بن أحمد الفاتح من مواليد العقد الثاني من القرن التاسع عشر كان مع أخيه الكبير محمد بن خليفة حين امتشق هذا الأخير الحسام واستولى علي الحكم فى البحرين عام ١٨٤٢ منتزعا اياه من عمه الكبير عبد الله بن أحمد الخليفة . لذا فقد عين أخاه عليا هذا حاكما من قبله علي منطقة المنامة وما حولها ، وولاه قيادة جنده . ثم حدث بينه وبين أخيه محمد شقاق عنيف عام ١٨٦٨ فتعاهدا على وأده فى مهده ، لكنهما عادا واقتتلا عام ١٨٦٩ فقتل الشيخ علي فى المعركة .. كان جوادا محبا للعلم وأهله .

(٣) مسقط رأس الشيخ قاسم كان فى عسكر ، القرية الصغيرة التى على مرمى حجر جنوبى مصيف رأس زويد المليء ببساتين النخيل حتى عهد قريب ، ثم جف ماؤه فمات نخله ، وتقع بساتين فارسيه جنوبي زويد وحالها اليوم كحاله . وكذلك ستره مصيف عائلة الشيخ ، وبينها وبين عسكر عاش طفولته .

المزارع الجديدة وجيء لها بالفلاحين حتى من خارج البلاد . (١) وأبصر غلال القمح والشعير البحرانى في الأسواق . (٢)

الحركة الفكرية ١٨٥٠ – ١٩١٨

الحركة الفكرية التى عاصرها الشيخ فى هذه الفترة هي بقيةالحركة الفكرية الاسلامية وظلت تجرى علي نسقها ولكن بصورة مصغرة .

ففى مجال التعليم انتشرت مدارس التعليم الدينى بشكل واسع ، فى كل من المحرق والمنامة والحد منذ مطلع القرن التاسع عشر ، وأوقف عليها المحسنون الموسرون الأوقاف والحبوس لتأمين ميزانيات للصرف على أساتذتها وترميمها أو بنائها من جديد اذا لزم الأمر ، لتبقى تؤدى رسالتها العلمية . (٣)

وفى مجال الحركة الفكرية فى هذه الفترة أيضا عاصر الشيخ اتجاه الفكر الاسلامى الجديد الذى بشر به ودعا اليه شباب البحرين الذين درسوا آنذاك فى الأزهر بمصر ، وجامعة عليكرة فى الهند . (٤) أولئك الذين اعتنقوا آراء السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ،

---

(١) كالقطيف والاحساء والبصرة فى قليل من الأحيان .

(٢) كان يؤتى بغلال القمح والشعير من حقل وادى عبد الله .

(٣) بهذه المدارس تحتل العلوم الدينية المقام الأول ، وكان الفقهاء بها يتمتعون بمنزلة سامية ، تحيطها هالة من الحشمة والاحترام . وتأتى علوم اللغة وآدابها فىالمرتبة الثانية . وعلم الحساب والفلك فى المرتبة الثالثة . ويبتدىء طالب العلم بقراءة القرآن فى الكتاب ، ثم يتعلم الكتابة ، واذا طلب المزيد اتصل بأحد علماء عصره ولازمه ودرس علي يده الحديث والفقه والتوحيد والنحو والصرف والعروض ، واذا امتحنه ونجح أجازه .

وقد يأخذ هذه العلوم من عدة علماء كل عالم يجيزه فى فرع منها ، واذا أجيز في علم أصبح من علمائه . أما الحساب ويسمونه فى اصطلاحهم (الهندية) فيتعلمون منه القواعد الأربع ، وما هم فى حاجة اليه فى ضبط مرابحات الغوص ، والنقل البحرى (القطاعة) والفرائض الشرعية ، ومعاملاتهم التجارية وغيرها . وكانوا يتعلمون الفلك ومواضع النجوم وحساب الأنواء وتنقلات الشمس فى البروج حيث يستفيدون من ذلك فى أسفارهم وزراعتهم وغيرها (ديوان عبد الجليل الطباطبائى – طبع عمان – الأردن)

(٤) أمثال الشيخ أحمد بن مهزع الذى درس فى الأزهر من حوالى ١٨٨٣ الى ١٨٨٧ ، والشيخ محمد صالح يوسف الذى درس فيه أيضا من عام ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ .

وعبد الرحمن الكواكبى واضرابهم فى مصر والشـــام والعراق (١) الذين وجدت آراؤهم صدى لها هنا بين الشباب اذ ذاك ، عبر ما يقرأونه هنا من صحف هؤلاء المصلحين المجددين . أمثال : العروة الوثقى للأفغاني ومحمد عبده ، والمؤيد لعلي يوسف ، والمنـــار لرشيد رضـــا ، واللواء لمصطفى كامل . (٢)

كانت هذه الصحف تحمل آراء هؤلاء الى كل أبناء المسلمين فى كل الأرض .. كانت عناوين مقالات تلك الصحف من مثل : (أخبار الجاويين (أى مسلمى أندونيسيا) ، جمعيات المسلمين فى الهند ، المسألةالشرقية، نقد كتب التمدن الاسلامى لجرحى أفندى زيدان ، الجامعة الاسلامية ، المسلمون الروس فى مجلس الدوما السوفياتي ، الاستعمار فى شـــبه جزيرة العرب ، الغارة على العالم الاسلامى) .

ومن أخبارها : مثل (شيخ البحرين والأهالى يرفضون احصـــاء سفن الغوص ، والبحارة وما اليهما .. خوفا أن تفرض عليهم الدولة الانكليزية ضرائب تجارة الغوص ، كما فعلت في الملايو) (٣)

وكان الشيخ قاسم يقرأ فى هذه الصحف ويتابع بحوثها وخاصة فيما تنشره عن التبشير والمبشرين ، وكان يعتبر آراء مثل مجلة المنـــار المصرية ، الأقوال الفاصلة بالحق . وكانت رسائله الي أخيه أحمدالطالب فى الأزهر ــ آنذاك ــ تحمل طابع الاصلاح الاسلامى ، وكان علماء الأزهر فى تلك الآونة يطرون تلك الرسائل فى سياق تعابيرها السلس .

---

(١) أما طلبة البحرين الذين بدأوا دراستهم فى جامعة عليكرة فى الهند ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر الى أوائل القرن العشرين ، فهم كثيرون لأن آباءهم كانوا يقيمون فى الهند لأجل التجارة فى اللؤلؤ ومن هؤلاء الطلبة على بن حسين يتيم ، وناصر مبارك الخيرى ، ثم أحمد حسن ابراهيم وخليل ابراهيم كانو وأضرابهم .

(٢) المنـــار القاهرية

(٣) كان ظهور هذه الصحف العربية الاسلامية آواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين كردة فعل جاءت بالفكر الاسلامى الاصلاحى الجديد وكسلاح فكـــرى اسلامى لوقف الأخطبوط الماسونى التبشيرى الذى غزا الأمة الاسلامية على حين غـــرة ممهدا السبيل للهجمة الصليبية الاستعمارية الجديدة التى استهدفت عقيدة هذه الأمة وتراثها ، ليسهل أمر استعبادها فكريا وبالتالى ليستمر استعبادها جسديا وقد كان ..

الحركة الادبية ١٨٥٠ ـ ١٩١٨

وفى مجال الحياة الأدبية عاصر الشيخ منها بقية عصر تخلف الأدب العربي ، وغلبة الزخرفة اللفظية التي لا طائل تحتها ، وسيطرة السجع المشتت للمعنى على حساب المبنى . (١)

وفى أواخر هذه الفترة عاصر الشيخ أيام الحرب العالمية الأولى التي لم يلامس البحرين منها غير غلاء أسعار السلع الاستهلاكية وغير تكريس الوجود البريطانى فيها عبروجود أسطولهفى مياهها نتيجة للحرب فى العراق . وعلي أى حال فان الشيخ عاش العصر الأول من حياته العمليه فى عهد الحاكم السابع للبحرين الذى تميز بالهدوء والاستقرار. الا ماكان من بعض حوادث داخلية بسيطة اذا قورنت بحوادث ما قبل عهد هذا الحاكم .

أما الشيخ قاسم فقد كانت له فيه اليد الطولى فى مجالدة المبشرين وحصر نشاطهم فى دائرة ضيقة من العاصمة . (٢) وكان حربا على البغاء وتجارة الرقيق الأبيض . ومناهضا للاستعمار الانكليزى كما سيجىء فى فصل « دور الشيخ الوطنى .. »

الحقبة الثانية ١٩١٨ ـ ١٩٤٠

هذه الحقبة من حياة الشيخ قاسم العملية هى حقبة قصيرة فى الزمن طويلة فى الأحداث ، اذا قورنت بحياة الشيخ العملية فى الفترة ما بين ١٨٧٠ ـ ١٩١٨ ، وما فى تلك الفترة من أحداث .

---

(١) في عام ١٢٥٣ هـ كتب شاعر البحرين الكبير السيد عبد الجليل الطباطبائى رسالة الي صديقه عبد الباقى العمرى الموصلى ببغداد جاء فيها : (الداعى لتحرير ذريعة الوداد ، ووشم وجنة طرسها بمسك المداد ، هو التفقد عن صحة تلك الذات ، التى هي مطلع شموس الكمالات . وأعلام الجناب ، أن من الاجتماع ما يثبت فى القلوب رسوم الالتياع ، لاسيما اذا كانت الفرقة له تالية ، ولم يقض الفؤاد من اللقاء أمانيه ، كالظمآن أرى الماء ثم قيل له الحق ، والعرج لا تبارى الذود المرتوى المطلق .)

فأجابه صديقه عبد الباقى برسالة جاء فيها :

(الى درة البحرين ولؤلؤة صدف الخافقين ، ونور سنا النيرين ، الذى سامت قدره فرق الفرقدين ، محط رحال الفضائل ومسقط ذلك الطل الوابل ، البليغ الذى مضغ البلاغة بلحييه ، فلم يزل يخرج منها اللؤلؤ والمرجان . والبحر الذى مرج البحرين بين شفقيه يلتقيان .)

(ص ١١٠ ـ ديوان السيد عبد الجليل الطباطبائى . طبع عمان ـ الأردن) .

(٢) راجع فصل (الشيخ قاسم والتبشير .. حيثيات الصراع ..)

ففى عام ١٩٢٧ تنازل عن القضاء ، وفى عام ١٩٤١ توفى بعد أن كف بصره .. (١)

تبقى الفترة ما بين ١٩١٨ و ١٩٢٧ ، وهي وان كانت قصيرة كما أسلفنا الا أنها حملت للشيخ فى طياتها ما لم يكن يتوقعه من الحوادث الجسام ..

أولها تنحية الحاكم السابع عن عرشه ، وهو من يكون بالنسبة للشيخ قاسم .. غير أخيه ووليه ، ومن حكومته كان الشيخ يستمد الشرعية فى اقامة شرع الله فى الأرض . (٢)

وثانيها الغاء المحاكم الوطنية التي كان يديرها حاكم البلاد المنحي على الطريقة الشرعية الاسلامية . والتي كان الشيخ قاسم قاضيها الأول . (٣)

وثالثها تقلص التعليم الدينى لعدم استطاعة علمائه تطوير أنظمته مما لا يخل بأصوله ، ولكنه يواكب تطور الزمن .

وفى هذه الحقبة أيضا عاصر الشيخ التحول فى الحياة الفكرية للبلاد، ففي أولها انتشر نظام التعليم الحديث، وأسست له المدارس، وتأسست الأندية الثقافية .

وفى أولها أيضا رأى التغيرات الجديدة فى النظام الادارى للبلاد عبر مؤسساته الادارية الحديثة اذ ذاك .

وفى أوسطها عاني مع شعب البحرين تلك الهجمة البريطانية الشرسة ، التي وقف منها الأحرار هنا وفى البلاد العربية والأجنبية ينتقدون الاسلوب العنجهي التي مارسته فى تقييد ارادة ذلك الشعب الصغير المسالم . وتدخلها فى شؤونه الداخلية (٤) عام ١٩٢٣ .

وما أعقب ذلك من نفي زعمائه وتشريدهم ، وذلك الحجر الفكرى المقيت الذى فرضته على المفكرين الشباب آنذاك . (٥)

وفيها عاصر الشيخ أول عهد النفط فى البلاد ، وأول مطالبةعمالية بزيادة الأجور ، وتحسين أوضاع العمل فى شركة نفط البحرين عام ١٩٣٧ وفى هذه الحقبة أيضا وفى أوسطها بالذات انتهت تجارة اللؤلؤ كمصدر رئيسى للتكسب فى البحرين ، وتحول الناس عنها تدريجيا الى العمل فى صناعة النفط .

وعاصر الشيخ أيضا فى هذه الحقبة أوان انشاء القواعد البريطانية فى البحرين .

---

(١) و (٢) و (٣) راجع فصل الشيخ بين القضاء والعزل .

(٤) و (٥) راجع فصل ما بين الشيخ قاسم وحافظ وهبه .

الفصل الثاني

حياة ابن مهزع

١٨٤٧ - ١٩٤١م



- النسب والعشيرة
- مجيء الشيخ قاسم
- تلقيه العلم
- يتمه
- فى الأحساء
- فى أم القرى
- فى مسرح القتال
- العودة الي المنامة .. والاخلاد للمطالعة
- توليه قضاء المنامة
- القضاء علي عهد قضائه
- توليه قضاء المحرق فوق قضاء المنامة



النسب والعشيرة

ولد الشيخ القاضي قاسم بن مهزع بن فايز فى بلدة عسكر الواقعة على الساحل الشرقى لجزيرة أوال ، كبرى جزر أرخبيل البحرين .

كان جده لأبيه قاسم بن فايز ينتمي الي عشيرة سبيع وهي بطن من قبيلة همدان . وان بعضا من أفخاذ سبيع هذه .. كانت تتخذ من شرقى الجزيرة العربية المواجه للخليج العربى .. منازل ومنتجعات ، [1] ومن بينها كانت جزيرة العماير الواقعة علي مرمى حجر من الساحل الشرقى للجزيرة العربية ، بين رأس (أبو علي) فى الشمال ومدينة الجبيل فى الجنوب .

من هذه الجزيرة كان الجد قاسم بن فايز يجيء .. يتردد على مدينة المحرق قصبة جزر البحرين آنذاك فى تجارة .. من بضاعتهاالصوف والوبر والسمن واللبن المخيض المجفف ، وما الي ذلك من نتاج الثروة الحيوانية يأتى بها من مصادرها فى البر الشرقى للجزيرة العربية .

كان قاسم يمكث أياما فى المحرق ، فاذا ما باع كل ما جاء به من بضائع ، تزود من أسواقها .. من سلع الأوبة الى دياره كل ما يحتاجه الانسان البدوى ــ آنذاك ــ فى تلك النواحى .. وتأتى القهوة والأرز والمنسوجات علي رأس تلك السلع .

ومدينة المحرق آنذاك كانت جديدة فى بنائها الأخير ، الذى ابتدأ علي يد قبائل العرب النازحة اليها من الزبارة قبل عام ١٨١٠ بقليل ، لكنها كانت تدرج سريعا فى الاتساع والازدهار .

وهي منذ أنشأتها هذه القبائل النازحة .. ذات سفائن الغوص ، والنقل البحرى (القطاعة) ، أصبحت مدينة بحرية كبيرة ، وثغراً بحرياً مهما . وأسواقها ككل أسواق المدن البحرية المهمة هدفاً لتجار البلاد الشرقية القريبة منها والبعيدة .. يأخذون منها ويعطون .

ومجتمعها ككل مجتمعات المدن الساحلية الأخرى فى الخليج التي اتخذت من تجارة الغوص ــ آنذاك ــ مكسباً وثراء . وهو مجتمع يتسم عادة بسمات الطيبة المتوارثة .. وكل الأخلاق الوثوقية الأمينة .

---

(١) منها المهازعة من سبيع ، أهل الاحساء . (المنتخب فى قبائل العرب) ص ٢١٥ الطبعة الثانية ــ دمشق .

وأصبحت المحرق ـ آنذاك ـ ملتقى كثير من الأغراب الآتين مما حولها من الأقطار المجاورة .. يأتونها أما ليتكسبوا من أعمال البحر ، أو ليزاولوا أعمالا مهنية فى داخلها .

لكن أهل المحرق ـ كعادة العرب يومذاك ـ يتحاشون كثرة تواجد الأغراب العزاب فيما بينهم ، لذلك تراهم يشيرون على هؤلاء العزاب بالتأهل من نساء المدينة والاستقرار بها ، فكان قاسم بن فايز ـ جد شيخنا القاضى ـ ممن عمل بهذه المشورة فى وقتها ونفذها ، فبنى على احدى كرائم الأسر المحرقية .

لكنه بعد فترة وجيزة من ذلك اضطر للعودة فى تجارة الى أهله وعشيرته فى جزيرة العماير ، وما حولها ، بيد أنه أوصى أصهاره ، بالعناية بزوجته ، فان أنجبت له ابناً ذكراً فليسموه مهزعا ، وان أنجبت أنثى فاليها .. كانت الزوجة حبلى فى أشهرها الأولى يوم تركها قاسم وغادر المحرق .

وتلد الزوجة المحرقية مهزعا . كان الزمن أول عهد حكومة الشيخ عبد الله بن أحمد الفاتح فى البلاد . (١) ويشب مهزع عن الطرق ، ويدخله أهل والدته (٢) أحد الكتاب .. ثم الى احدى المدارس الدينية التي تعج بها المحرق آنذاك .

كان مناخ التعليم آنذاك مناخ علمي رباني فى أغلب مواده ، لذا فقد أخذه مهزع علي يد علماء ربانيين أفذاذ مثل الشيخ عثمان بن سند ، والشيخ عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف ، والشيخ عثمان بن عبدالله ابن جامع ، وآخرين .

فى هذا المناخ عاش مهزع وتربي .. وفيه أصبح شيخا بعد ذلك .

وفى المحرق تزوج الشيخ مهزع .. وانه لكذلك ـ وقبل أن ينجب ـ اذ جاء الى المدينة نفر من عشيرة آل أبي عينين قادمين من بلدتهم عسكر ، لقضاء بعض شؤونهم ، فوجدوا فى الشيخ مهزع ضالتهم لتولي القضاء فيهم والامامة فى مسجدهم ، فقد كانوا يفتقرون الى مثل الشيخ مهزع

---

(١) تولى امارة البحرين بعد وفاة أخيه سلمان من عام ١٨٢٠ ـ ١٨٤٢ .

(٢) لا نعرف هل عاد قاسم بن فايز الي زوجته فى المحرق أم لا ، لكن كلما نعرفه ان ابنه مهزع تربي فى كنف أهله لأمه بالمحرق .

لتولي هذه المهمة . وحين خاطبوه في الأمر وافقهم على النزوح من المحرق، والمجيء اليهم في بلدتهم .

وفي عسكر قام الشيخ الشاب بمهمته خير قيام ونجح في أن يصبح بعد ذلك .. القاضي والامام لا في عسكر وحدها بل فيما جاورها كجو ، والدور ، ومصايف ستره وزويد ، وفارسيه علي ذلك العهد .

كان أهل عسكر وكثير من عرب تلك النواحي ينتقلون صيفا بأجمعهم الى تلك المصايف . وكانت سترة تفوز بالسهم الأوفر منهم ، لذا فقد كان الشيخ مهزع ينتقل بأهله اليها مع المنتقلين .

في ذلك الوقت كان الأمير الشاب علي بن خليفة الخليفة (١) المصطاف الأول في جزيرة سترة بأجمعها . وكان يشمل برعايته كل المصطافين فيها، هناك توطدت بينه وبين الشيخ الشاب مهزع أواصر الصداقة ، ثم تعززت بعد ذلك بمودة وثيقة . فكان الأمير على يبر مهزعاً ويجزل له العطاء .

مجيء الشيخ قاسم بن مهزع

في شتاء عام ١٨٤٧ .. وفي بلدة عسكر جاء الشيخ قاسم بن مهزع الى الدنيا .

يقول الشيخ محمد الحباب بن أحمد بن مهزع **(أن عمه الشيخ قاسم ولد بعسكر ، وان والدته قد أشركت معه في ثدييها الشيخ عيسى بن علي (٢) أثناء ماكانوا جميعا مع (المكايظة) (٣) في ستره .)**

ويقول **(أنه كانت بين مهزع والأمير علي بن خليفة مودة وأخوة ظاهرتين للعيان في ذلك الزمان ، وذلك لما يتمتع به الاثنان من علم رباني ، وصلاح وتقوى . لهذا نشأت بين الصديقين مودة ورحمة ، لم تنفصم عراها الى الأبد . لكن مودة ابنيهما (٤) كانت أعظم .. كانت تعززها أخوة في الرضاعة) .**

---

(١) راجع فصل عصر الشيخ قاسم (الحقبة الأولى) ص ٢٤ .

(٢) الشيخ عيسى بن علي بن خليفة حاكم البحرين ١٨٧٠ – ١٩٢٣ .

(٣) المكايظة : المصطافين .

(٤) يعني الشيخ عيسى بن علي والشيخ قاسم .

ويترعرع الصغير قاسم، ويدرج فوق ثرا بلدة الصحابي الجليل صعصعة بن صوحان العبدى . وفيها أشرقت عليه فطنته ، الا أنه يفاجأ يوماً بزيارة الأمير علي بن خليفة للبلدة ، ويجتمع برجالها فيسمعه يقول لهم : انه جاء ليأخذ الشيخ مهزع منهم ليختص به وليكون امام مسجده في المنامة ، مقر امارته اذ ذاك ، وعزز ذلك بقوله لهم أن الشيخ مهزع كبير فى امامته على بلدتهم الصغيرة عسكر ، وهو أولى به .

ويستجيب أهل البلدة - على مضض منهم - لطلب الأمير على ، ويتركون الأمر للشيخ مهزع وحده ان شاء انتقل الى الأمير أو بقى بين ظهرانيهم . ولكن هل لمهزع من الأمر شيء ، والأمير يطلبه ليزيده تشريفا بجعله امام دار الحكم فى المنامة ؟

لذلك فقد انتقل الشيخ مهزع بأهله الى المنامة ، فأسكنه الأمير علي فى بيت كبير قرب مقر حكمه (١) وجعله امام مسجده الخاص (٢) وأجزل له العطاء فوق ما يرضيه ويستره ، كان ذلك حوالي عام ١٨٥٣ يوم كان الفتي قاسم بن مهزع يدرج نحو الثامنة من عمره (٣) .

فى هذا المناخ الأميرى ، وفى بحبوحة من العيش تنشأ الفتى قاسم واخوته أحمد وابراهيم تنشئة حسنة ، بين أترابهم أبناء الأمير على بن خليفة وهم عيسى وأحمد وابراهيم وخالد .. وأبناء الشيوخ الآخرين .

كان الفتى قاسم واخوته لا يرون الا مع أبناء الشيوخ من الأمراء فى جدهم ولعبهم . (٤)

---

(١) هما بيته ومجلسه اللذان كانا الى عهد قرب مقر بلدية المنامة القديم ،واللذين أصبحا الآن موقفا للسيارات الصغيرة بوسط سوق المنامة .

(٢) هو أقرب مسجد الى هذه المنطقة شمالي بيت القاضى ابن مهزع وخلف صيدلية المسقطى القديمة .

(٣) لم تدون ولادة الشيخ قاسم بن مهزع بتاريخ ، ولكن اذا أجمع كل من ابني أخيه الشيخين الجليلين محمد الحباب وعبد الرحمن ابنى أحمد بن مهزع ، ومن فيدرجتهم من العلم والفقه ، وكذلك بعض من اتصلنا بهم من المعمرين من سكان بلدة عسكر ، على أن ولادة الشيخ كانت بهذه البلدة . وانه أخ فى الرضاعة مع الشيخ عيسي بن على .. وانه يكبره بحوالى عام ، وانه كان من المعروف للجميع أن الشيخ عيسي بن على ولد عام ١٨٤٨ ، تأكد لنا أن الشيخ قاسم بن مهزع ولد عام ١٨٤٧ م .

(٤) لم يهمل آباء هؤلاء الفتية ومؤدبوهم تربيتهم وانباتهم نباتا حسنا ، فلم يتركوا للعفوية والصدف مجالا فى تقويمهم . فكان من نتيجة ذلك أن أصبح هؤلاء الفتية ممن لا يستهويهم اللعب كثيرا ، وخاصة على مقربة من بيوت الأمراء .. =

تلقيه العلم

قبل أن ينتقل الأب مهزع بأهله الى المنامة ، كان لا يقطع صلته بأهل العلم فيها ، فكان يزورهم من آن لآخر ، وذات مرة صحب ابنه البكر قاسم معه فى واحدة من هذه الزيارات . فرآه الفقيه الشيخ محمد بن راشد الحسينى ، فتوسم فيه الذكاء والنبوغ فقال لوالده : لو أبقيته عندى فى المنامة للدرس ، فلم يمانع مهزع فى ذلك ، فأبقى الفتى قاسم عند الشيخ الحسينى للدرس والتحصيل ، كان ذلك قبل انتقال الأب مهزع الي المنامة بعام .

وحين انتقل مهزع الى المنامة ، كان ابنه الصغير قاسم قد تلقى عن شيخه الحسينى مبادىء العلوم الدينية فحفظ القرآن الكريم والعشماوية فى الفقه المالكى ، والرحبية فى الفرائض والاجرومية فى النحو كل ذلك وسنه لم تتجاوز العاشرة .

ثم استمر يأخذ عن شيخه .. فكان يختلف عليه فى مسجده صباح مساء ، فيأخذ عنه توسعا لما أخذه عنه سابقا مثل الفية ابن مالك فى النحو ، وشيئا من علم الفلك والحساب .

= فان هم خرجوا الى البساتين ليقضوا سحابة يومهم فى النزهة والقصف ، لم يخرجهم ذلك عن جادة التعقل والوقار .

كان من ألعاب هؤلاء الفتية ـ آنذاك ـ امتطاء الخيول والتسابق بها والتبارز بمختلف أنواع السلاح النارى والأبيض . والتصارع فيما بينهم .. كانوا بحق أبطالا صغارا . كما كان آباؤهم أبطالا كبارا . فى ذلك الزمن كان النظام الانضباطى في بيوت آباء هؤلاء الفتية وأمثالهم صارما ، فكل صغيرة وكبيرة لا تخرج عن ارادتهم الأخلاقية ، وكل من فى البيت .. أى بيت قد تدرب بالوراثة أن لايرفع صوته كي لايؤذى جاره . كانت أوقات الأكل والنوم والاستيقاظ مؤقتة بدقة ونظام ، فتقاس المدة التى تفصل وقت كل عادة من هذه العادات بأوقات الصلاة الخمس المكتوبة .

فبعد صلاة الفجر مثلا يكون الافطار ثم تلقى الدروس من المشايخ العلماء ، وقبل صلاة الظهر بساعتين يكون الغداء ، ثم القيلولة ، وبعد صلاة الظهر فلا نوم ولكن قضاء ما استجد من حاجات .. وبعد صلاة العصر يكون تلقى الدروس مرة أخرى ، وبعد صلاة المغرب مباشرة يأتى العشاء ، وبعد صلاة العشاء ، لا يكون شيء فى الغالب غير النوم للاستيقاظ فى البكور .

ثم مايكون بين هذه الأوقات من مجالسة الاولاد لآبائهم وامرائهم والتخلق بآدابهم في المجالسة ، والنظام ، ما لم تحدث طوارىء الحروب والاضطرابات المحلية وما أكثرها فى تلك الأيام .

لقد اشتهر الفتى قاسم ـ اذ ذاك ـ عند القاصى والداني بذكائه الخارق وذاكرته القوية ، وبقيت هذه الميزتان ، له وميزات أخرى عظيمة ظلت معقودة اللواء له حتى وفاته ، وسنذكرها فى وقتها ومكانها فقد كانت من أهم العلامات الفارقة التي اتصف بها بين علماء وطنه فى هذا العصر .

كان حاله فى الدرس والتحصيل عجيبا ، فهو اذا ما أراد المذاكرة فى دروس شيخه فانه لا يفارق مسجد أبيه ، فاذا ما قضيت صلاة فيه ، وخرج الناس منه ، يبقى هو فيغلق عليه أبواب خلوة المسجد ويظل يستظهر تلك الدروس ، ولا يفتح أى باب من أبواب تلك الخلوة مهما طرقه الطارق .

كان هذا دأبه أثناء المذاكرة .. فيما عدا مكثه فى البيت لتناول طعامه ، أو نومه الذى كان قليلا من الليل ما يهجع فيه ، وفيما عدا بقائه عند شيخه لتلقى الدروس أو تسميعها .

ولقد سمع عن شيخه الحسينى أنه كان يقول عنه : حافظة قاسم كحافظة المعرى .. يحفظ ان شاء ـ ليست دروسي فحسب ـ بل شروحى عليها بنصها الحرفى .

وسمع عنه ـ دائماً ـ يحكي لخلصائه .. الحكاية التالية ، ممتدحاً رجولة الفتي قاسم المبكرة ، وتعشقه للعلم ، ومحاولة محاكاة علمائه فى تصرفاتهم التعليمية .

كان الشيخ الحسينى يقول : دخلت مرة الي بيتى بعد صلاة العصر لبعض شؤوني ، والصغار ينتظرون داخل خلوة المسجد فأبطأت عليهم قليلا ، فلما أقبلت داخلا الخلوة عليهم سمعت لغطاً بحديث كأنه لفظي أثناء القائى الدروس ، فعدت أدراجي وتواريت خلف أحد أبواب المسجد، دون أن يشعر بي أحد من الطلبة ، بحيث أراهم في الخلوة ولا يروني ..

هناك أبصرت الفتى قاسم يجلس مكانى وقد تحلق حوله الصبية الصغار ، وهو يلقي عليهم درسى المقرر أن أعطيهم اياه فى تلك الساعة .

فيا لشدة دهشتى حين سمعت الولد قاسم, وهو يشرح الدرس عن ظهر قلب من غير ما تلعثم ولا تلجلج ، لكأنه يقرأ ذلك فى كتاب بين يديه . فلما اكتفيت بما اكتشفت من حال الفتي قاسم والأولاد فى تلك

الساعة ، دخلت عليهم الخلوة كعادتي فى المجىء اليهم دون أن يشعروا بتلصصى عليهم .

وأسررت الأمر فى نفسى فلما كان فجر الغد ، وجئت أسلم على الشيخ علي بن خليفة فى مجلسه همست اليه بما أبصرته من حال الفتى قاسم .. فأجابنى قائلا : نرسله الى الاحساء فقلت صغير ، فلم يرد علي ، ولكنه لم يرسله فى ذلك الوقت .

يتمه

حين نلتزم الأخذ بالتسلسل التاريخى لمجىء الحوادث المهمة فى حياة الشيخ قاسم ، لا يسعنا الا أن نثبتها فى الزمان والمكان اللذين حدثت فيهما ، وان كان الفصل الذى أثبتناها فيه .. معقودا لغيرها من حوادث أخرى مهمة أيضا فى حياة الشيخ .

لذا فقد جاءت حادثة يتمه زمنياً أثناء رصدنا لخط سير تلقيه العلم ، ففرضت علينا اثباتها فى هذا الفصل . لكن الأمر قد يختلف فى تسجيل هذه الحادثة تاريخيا عن أخواتها من الحوادث الأخرى فى حياة الشيخ .

حادثة يتمه هذه أصبحت مؤثرا مهما فى دفع حياته التعليمية الى الأمام ..

حادثة يتمه هذه أصبحت جسراً فى نقلته ، وتحوله الى طلب العلم خارج البلاد .

تتلخص الحادثة فى أنه حينما كان الفتي قاسم فى سن الرابعة عشرة من عمره ، وفى ظهر أحد الأيام حين كان يستذكر دروسه فى خلوة مسجد والده ، جاءه طارق بباب الخلوة ، وأنبأه عن احتضار أبيه مهزع ..

فزع الفتى .. فترك باب الخلوة مفتوحا ، وجاء الى والده فوجده فى الرمق الأخير يجود ببقية أنفاسه ، فبقى بجانبه حتى توفى . ثم انطلق بالنبأ الى الأمير على بن خليفة فوجد فيه العزاء والمواساة (١) .

---

(١) كانت التجمعات الأسرية على ذلك العهد تتخذ لها من أكبرها وأغناها وليا لأمرها .. يفزع اليه أفرادها اذا حزبهم أمر .. وكان الشيخ على بن خليفة علاوة على كونه أميرا للمنامة فانه أيضا ولى أمر كل الأسر من حوله فى جميع شؤونها .

بعد وفاة أبيه تفرغ كلية لطلب العلم .. كان قبل ذلك يصرف جزءا من وقته للعناية بوالديه ، وقضاء ما يلزمهما من حوائج خارج المنزل وهذا ما عرف عنه فى حي الشيوخ بالمنامة مذحط رحاله بها مع أهله .

أصبح جل وقته مخصصا لطلب العلم . وواصل الحياة فى كفالة الأميرعلي بن خليفة ، واستمر فى دراسته على شيخه الحسينى .

كان كافله يجرى عليه ما يجرى علي أولاده .. بل انه ليبره عليهم في بعض الأحيان ليتمه (١) . وأصبح قاسم لا يقطع صلته بمجلس كافله ، وانه لينتهز الفرصة فى بعض الأحيان فيقرأ على رواد المجلس ما حفظ من دروس الشيخ الحسينى وشروحها ، عن ظهر قلب .

لكن الفتى ماكان يكتفى بتلقى دروس شيخه الحسينى فقط ، بل كان يختلف الى علماء آخرين غيره كلما استطاع الى ذلك سبيلا .

الى الاحســـاء

كل هذا المناخ العلمى الاسلامى الذى لا ينازعه منازع فى البحرين ، ولا أثر لمناهج علمية أخرى فى البلاد ، ولا مشاركة له فى أساتذة ولا معاهد، فى ذلك الوقت .

كل هذا المناخ .. وكل هذه الأرضية الاسلامية ، أراد الفتى قاسم – لفرط طموحه العلمى – تجاوزها الى ما هو أعم وأشمل منها .

تلفت فلم يجد مكانا قريبا يحقق له ذلك .. غير الاحساء . كان الذين مارسوا هذه التجربة من قبله ، يختلفون عنه ، فى أنهم ذهبوا الى الاحساء (٢) وكلهم على أقل تقدير قد جاوزوا العشرين عاما . بل أن من

---

(١) (.. فأنا الحبة التى بذرها الهمام الامام جدك الأجل (على) ولما بسقت سقاها هيكل الفضل والمعالى ... والدك ، ثم الكل من حضراتكم جعل ثمرها صدقة فى الصلاح والمصالح ...) . من رسالة مطولة بعث بها الشيخ قاسم الى الشيخ عبد الله بن عيسي الخليفة بتاريخ ١٦ ربيع ٢ / ١٣٣٨ هـ .

(٢) الاحساء أو هجر القديمة ، كانت على مدى القرون الثلاثة الماضية وحتى منتصف القرن العشرين .. مهوى أفئدة طالبى العلم الاسلامى الربانى ، يأتونها من فجاج الأرض الاسلامية .. من الهند وأفريقيا والشرق الاوسط ، فتمتلىء بهم الأربطة .. التى أنشأها العلماء الصالحون ، والتى هي بمثابة أقسام داخلية للطلبة الأغراب ، مثل رباط الكوت، والرفعة ، ثم الصالحية ، يقيم فيها طلاب العلم حتي يبلغوا مأمنهم بعد نيلهم الاجازة العلمية . وكل نفقات هؤلاء الطلبة كانت تصرف من ريع الأوقاف التى حبسها أهل العلم من الأثرياء على هذه الأربطة .

بين هؤلاء الطلبة من حط رحاله للتعليم فيها وسنه قد جاوزت الأربعين . أما هو فقد هبطها وسنه لاتتجاوز الخامسة عشرة .

كان وراء هبوط الفتى الى الاحساء جهده الخاص ، ورغبته الملحة فى اقناع أهله وذويه بوجوب السماح له بالذهاب الي ذلك الاقليم لتلقى العلم الربانى ، ووراء ذلك أيضا وعد من الأمير على بن خليفة ، بتنفيذ ذلك .

غير أن الأمير علي نسى وعده ، ذلك الذى أعطاه للفتى قاسم عبر تفوهه به للشيخ الحسينى .. وقبل أن يفقد الفتى أباه . وهل يأخذ ذلك الوعد حيزاً فى ذاكرة الأمير علي .. وهو الذى نصب نفسه للحوادث الجسام .. قائداً لجيش أخيه محمد بن خليفة يخمد فتن الخروج على حكمه أينما نشبت .

لكن الفتى قاسم لم ينتظر أن يتذكر الأمير علي وعده .. فأجمع أمره وخاطبه فى ذلك ، فنال موافقته ووعده خيرا فى أمر تجهيزه للسفر الى الاحساء ...

ومعنى ذلك من كافل هو الأمير علي المعروف ببذله وعطائه للعلم والعلماء ، أن يذهب الفتى قاسم لطلب العلم خارج البلاد ، ويعود بالاجازة العلمية ولو بعد سنين ، وهو فى كنف رفادة اميره ، ناهيك بما سيحمله الفتى قاسم معه الى الاحساء من توصية أميرية سيكون لها شأن عظيم عند العلماء الموصى بها اليهم هناك ، وما سيحمله الفتى قاسم أيضاً من هدايا الى أولئك العلماء .

وقد تم ذلك ـ كالعادة المتبعة ـ وهبط الفتى قاسم الى الهفوف ونزل علي الشيخ العلامة عبد اللطيف بن ابراهيم المبارك فى مدرسته بالرفعة . (١)

وبالرفعة قضى الفتي قاسم عاماً واحداً يأخذ عن شيخه زيادة وتبحراً فى الفقه والتشريع واللغة العربية وآدابها ، وبعد نهاية العام مرض شيخه ، وطال به المرض ، فلم يستطع الفتى قاسم ولا بعض تلامذة الشيخ البقاء هكذا بلا تفقيه ، خصوصاً وان الشيخ أصبح لا يقوى على حضور مجلس الدرس ، فتحولوا باجازة منه الى بلدة (المبرز) .

---

(١) حى من أحياء مدينة الهفوف بالاحساء .

وفى المبرز هذه ، وهي تحتل ضاحية جميلة من ضواحي الهفـوف ويقيم بها آنذاك العديد من الطلبة المسلمين من أجناس شتى ، قضى الفتى قاسم سنتين أو تزيد قليلا فى التحصيل فى موضوع دراساته على يد شيخيه محمد بن عبد المحسن ، ومحمد بن كثير .

على هذا النسق كان تلقى الفتى قاسم للعلم فى أول رحلة علميـة له خارج بلاده .

رحلة الى بلد قريب جداً من بلده .. ومجتمع قريب الشبه من مجتمعه آنذاك . كذلك فقد تيسر له مثلما تيسر لرفاقه طلبة البحـرين هناك طبيعة المناخ اياه الذى عاشوه في بلادهم مما ساعدهم فى رحلتهـم العلمية ، والعودة باجازتهم من مشايخهم .

وكان لهؤلاء الطلبة ـ فى رحلة علمية قريبة كهذه ـ زيارة أو زيارتين فى العام يجيئون فيها الى ذويهم فى البحرين . (١)

بعد ما يزيد علي ثلاثة أعوام قضاها الفتى قاسم فى الدراسة فى الاحساء ، عاد الي البحرين ، وعمره يدرج الي التاسعة عشرة عاد وقـد أصبح شيخاً باجازة علمية من شيوخه هناك .

وبذلك أصبح الشيخ قاسم ذا اجازتين علميتين ، أولاهما من شيخه الحسيني نالها قبل أن يضع رجله فى السفينة الى ميناء (العقير) (٢) ثم الاحساء .

بعد أوبة الشيخ الي المنامة واستقراره فيها لبعض الوقت ، اقترن بزوجته الأولى . ومن ثم أصبح رب أسرة وبيت . وهي شهادة زكانة واحصان لطالب العلم آنذاك .

فى أم القـرى

بعد أن تزوج الشيخ غادر البلاد الي الديار الحجازية لتأدية فريضة الحج . وما أن هبط مكة حتي راح يجلس الي علمائها وعلمـاء البـلاد الاسلامية الأخرى ، القادمين ـ لحج بيت الله الحرام ـ واحداً بعد واحد،

---

(١) كان الطلبة المسلمون فى الاحساء آنذاك ـ أولئك الذين من مواطن اسلامية بعيدة ـ لا يغادرونها ، لا صيفا ولا شتاء حتي يستكملوا دراستهم ويأخذوا الاجازة العلمية من أشياخهم .

(٢) ميناء العقير ، أشهر الموانىء الشرقية في شبه الجزيرة العربية قبل حـوالي نصف قرن من الزمان .

وحين انتهت مناسك الحج ، قصد الي المدينة ..وهناك أيضا جلس الى علماء الحرم النبوى وأخذ عنهم علوما ربانية محضة ، ثم قفل راجعاً الي مكة المكرمة .

وهناك بقي مجاورا للبيت العتيق ما يزيد علي العام . قضاه مجدا فى التحصيل .. حتى اذا عاد عليه الموسم الثانى للحج أداه مرة أخرى ، وشد الرحال الى البحرين .

وفى الديار الحجازية وفى مواسم الحج – كما هي العادة – يتواجد كثير من العلماء الأجلاء المبرزين فى جميع مجالات الشريعة الاسلامية . لذلك نجد أن من الأمنيات العزيزة لدى طلاب العلوم الشرعية آنذاك أن يذهبوا الى الحجاز .. ومكة المكرمة بالذات لتلقي هذه العلوم من مصادرها عند هؤلاء العلماء ، الذين يجيئون عادة من كل أنحاء المعمورة ، فكان الطلاب الذين يحضرون تلك المواسم يعيشون فى مناخ علمي عالمي ، لا يتوفر لكل منهم فى بلاده .

كان الشيخ قاسم .. الذى عاش هذا المناخ العلمى العالمي مدة تزيد علي العام .. (١) مفخرة بين طلابه وعلمائه .

كان هؤلاء يطرون باعجاب سلسلة المدهشات التي يتميز بها الشيخ الطالب ، من اعجاز فى البلاغة .. الى لسان مقوم فصيح ، لاينطق ولا يعبر الا بلغة عربية فصيحة .. الى ذاكرة حافظة واعية .. الى مقدرة فى تخريج الأحكام من التشريع الاسلامى ليس كمثله تخريج ، أثبت فيما بعد أنه صادر من فكر مصلح مجدد .

لقد أفاد الشيخ من هذه الرحلة ، أيما افادة ، ذهب اليها بفكر متفرغ للتحصيل . وقلب مطمئن فى نفسه وأهله . فقد خلفه فى رعاية أهله أرحم خلف وأقدره وهو الأمير علي بن خليفة .. الذى تكفل أيضاً بنفقة المجاورة للشيخ قاسم فى مكة المكرمة .

وحين آب من رحلته الحجازية الى سربه فى المنامة ، وجده فوق ما يرام أمنا وسلامة ويسراً . ووجد زوجته قد جاءته بهدية الله اليه .. ابنه البكر .

---

(١) كان طلاب العلم فى بلاد المسلمين .. لا يدفعون مالا فى تحصيله .. غير ماينفقونه علي ذهابهم وايابهم وطعامهم واقامتهم .. وحتى الطعام كان يكفل لهم فى كثير من الأحيان .. هكذا عاشت الأمة الاسلامية فى مجانية العلم منذ مجيء القائد الأعظم محمد رسول الله .

فى مسرح القتـال

عاد الشيخ قاسم من مكة المكـرمة يتفجر معرفة ، ونضـوجاً فكرياً عاد الى البلاد وسنه تصعد الى الثانية والعشرين من سلمها ، وأصبـح ملفتاً لأنظار الناس ذكاء وادراكاً .

لذا فقد ضمه الأمير الى قائمة مستشاريه من العلماء .. بل وأضاف الى ذلك بأن جعله امام مسجده الخاص . فصار يرافق الأمير فى غدواته وروحاته ، يغشى معه مجالس علية القوم فى البلاد ، ويحضر معه مناسبات الأعياد والأفراح .

لم يمض على ذلك بضعة اشهر ، حتى جاء ذلك اليوم الذى لم يكن الشيخ قاسم ليعلم فيه انه سيفارق اميره الودود .. الى الابد . فقـد دقت طبول الحرب ، وخرج عرب المنامة بقيادة اميرهم علي بن خليفـه ، الذى كان قد أصبح حاكماً على البحرين وتوابعها ، قبل بضعة أشهر .(١)

خرجوا جميعا لقتال الشيخ محمد بن خليفة الأخ الأكبر لأميرهم .. خرجوا سراعاً فقد فاجأهم نبأ نزول محمد بالجـزائر قرب الزلاق مع خمسمائة مقاتل من بني هاجر قادمين معه من شرق الجزيرة العربية (٢).

كان فى جيش الامير علي بعض بقية من آل عبد الله الطامعين فى حكم البحرين ، ولكنهم لم يناوؤه .. حين تولى حكم البلاد قبل بضعة اشهر ، فبقى يوجس منهم خيفة .. غير أنهم لما علموا بنزول محمد بن خليـفة وجيشه الى البلاد .. أعطوا علياً عهداً بانضمامهم تحت لوائه فى مقـاتلة أخيه ، وأضمروا فى قلوبهم نقيض ذلك تماماً .

---

(١) كان سلف الشيخ علي في حكم البحرين ، وهو محمد بن خليفة قد غادر البحرين أوائل عام ١٨٦٩ الى الكويت منفياً من قبل أخيه علي بسبب ذيول جرتها معركة دامسة البحرية، ، بين جيشه بقيادة أخيه علي وأهل قطر .. فخلفه علي فى حكم البحرين ، ووقع مع الانكليز صلحاً يقضي بعدم شن حروب بحرية فى مياه الخليج .

(٢) كان مع الشيخ محمد بن خليفة أحد أبناء عمومته من آل عبد الله ويدعى ناصر بن مبارك آل عبد الله من الطامعين ـ آنذاك ـ فى حكم البحرين .. وبمساعدة هـذا الرجل كان تجميع الخمسمائة مقاتل من بني هاجر لمساعدة محمد بن خليفة فى قتـال أخيه على . ولعل لناصر هذا مصلحة عظيمة في اقتتال الأخوين ..

كان على رأسهم كبيرهم محمد بن عبد الله بن أحمد الخليفة (١) . فلما قدم الأمير علي بجيشه من المنامة ـ قاصداً لقاء أخيه محمد ـ ونزل علي عين أبي زيدان ، ليمكن أفراد جيشه من الاستحمام .. تطهراً للقتال، كما هي عادة المقاتلين المسلمين فى الماضى ، كان أخوه محمد قد وصل بجيشه الي الرفاع الغربي وأخذ يستعد للزحف علي المنامة .

وفى أبي زيدان ، ومع جيش الأمير علي كان الشاب الشيخ قاسم قد استحم مع الجميع . ثم لما فرغ من ذلك ، جاء الى الأمير علي وهو جالس فى المسجد حيث دنا منه وناجاه علي مرأى ومسمع من بعض حاشيته ، ودون أن يفطن الي ذلك أحد من آل عبد الله أو أصحابهم ، قال له : ياطويل العمر يا أبا أحمد (٢) هل تأمن .. آل عبد الله من أن يخذلوك فى القتال .. أو يقاتلوا ضدك ؟ اني أشير عليك بأن تصرفهم عنك، فلا يقاتلوا معك أخاك ..

قال الأمير علي : لا يحيق مكر السوء الا بأهله .. وقد أخذت عليهم مواثيقهم بنصرتى ، فكيف يغدرون .. ؟ !

فرد الشيخ قاسم قائلا : ماضل من استشار ، والدين النصيحة فأطعني بصرفهم عنا ما دمنا فى أبي زيدان .. فانى أرى السوء فى عين ابن عبد الله الصحيحة (٣) ، فسكت عنه الأمير وأمر بالرحيل لمواجهة أخيه (٤)

---

(١) محمد بن عبد الله هذا كان يمني نفسه بحكم البحرين خلفا لأبيه عبد الله الذى انتزعه محمد بن خليفة عن عرش البحرين عام ١٨٤٢ . ولعل محمد بن عبد الله هذا قد تواطأ مع ناصر آل عبد الله من جيش محمد بن خليفة ، أن يقتتل الأخوان ، فيفوز آل عبد الله بحكم البحرين وكان هذا الذى حصل لبعض الوقت .

(٢) كان الأمير يحب أن يدعي بأبي أحمد وهو ابنه الثالث ، وذلك تيمنا بجد أبيه أحمد الفاتح ، مع أن عيسي هو الابن الأول له ، الا أن أمه كانت احدى بنات عيسي بن طريف زعيم عشيرة البنعلي ، الذى دخل فى منازعات عشائرية مع الخليفة ، فقتل فى قتال نشأ بين عشيرته وآل عبد الله من جهة وجيش الشيخ محمد بن خليفة بقيادة الأمير علي فى قطر من جهة أخرى .

(٣) كان محمد بن عبد الله هذا وحيد العين .

(٤) روى لي هذه الحادثة المرحوم حمد بن عبد الله الفتم عام ١٩٦٨ ، وقد توفى عام ١٩٧٢ عن عمر يناهز المائة عام ، وقد سمع هذه الحادثة من لسان الشيخ عيسي بن علي بالذات ، وأكد هذه الحادثة لي أيضا كل من أحمد بن عبد الله الفتم عن مصدرها السابق وكذلك الشيخ محمد الحباب بن أحمد بن مهزع .

لكأن الشيخ الشاب قاسم ينظر من سدف الغيب .. فما عتم الجيشان أن التقيا على هضبة الرفاع ، ولكن قبل أن يبدأ القتال انطلقت بعض رماح الحلفاء من آل عبد الله لتصيب من الفارس الشاب ابراهيم بن علي ــ حليفهم ــ مقتلا فترديه أمام أنظار أبيه .

ثم يبدأ القتال بين الجيشين وينتهي فى يومه ، علي أثر سقوط الأمير علي بن خليفة قتيلا ، وانهزام جيشه ، وكل ما استطاع هذا الجيش فعله .. هو أن يستنقذ بقية أبناء أميره ، وفيهم ابنه الأكبر عيسى ، وقد أثخنته جراحه .. ويعود بهم الي المنامة .. الى بيت أبيهم فيها .

عاد من استطاع العودة الي المنامة من أفراد الجيش المغلوب .وفيهم الشيخ قاسم ، الذى ما أن وصل حتى دخل داره وأوصد بابها عليه ، وصعد الي سطحها ، ليشرف منه علي قصر الامارة .. ويومها رأى ــ فيما رأى ــ حشود بني هاجر حول القصر ، ونظر الي الشرق فرأى أزقة المنامة خالية من المارة وكل حوانيتها مغلقة (١) .

العودة الى المنامة ..

والاخلاد الى المطالعة

وحين استقر الظافرون بأمرة الشيخ محمد بن خليفة فى المنامة ، لم يأخذ الشيخ محمد أحدا من أصحاب أخيه علي بجريرة قتالهم معه ، ومنهم الشيخ قاسم ، فقد كانت مصيبته فى أخيه عظيمة .

وحين استقر الشيخ الشاب قاسم في بيته الذى كان على مرمى حجر من قصر الامارة ، كان قد خسر كل شيء بفقد أميره الشيخ علي بن خليفة . هنا استعرض مشاهد هذه المصيبة الدهياء ، وهي تترى سريعة أمام ناظريه .. كأنه كان يحلم بمشاهد مأساوية مفزعة يعرضها شريط سريع اللقطات .. لكأنه كان يحلم .. لولا أنه نظر الي ما يرتديه من قميص فوقه (شلحات) أبيض به أثر من دماء وطين .. ولولا أنه تذكر .. حين نظر الي كفيه فتأكد أنه قلب بهما أميره حين خر صريعاً .

---

(١) لقد انتهبت المنامة في ذلك اليوم من قبل أفراد الجيش الظافر من بني هاجر وغيرهم ، وخاصة متاجر الهنود فيها فان محتوياتها قد تنوهبت وحملت الى القطيف والاحساء ونجد وغيرها من المناطق المجاورة وبيعت هناك . (دليل الخليج ل . لوريمر) ص ١٣٥٦ القسم التاريخى / ج ٣ .

ثم استعرض فيما استعرض فقده لرفيق صباه ابراهيم بن علي الذى سقط كأول قتيل لرماح حلفاء أبيه .

كل هذه المشاهد المأساوية التي أخذ يستعرض لقطاتها كانت علي وشك النهاية . كان زمانها يوماً أو بعض يوم من أواخر أيام شهر أغسطس عام ١٨٦٩ .

وبانتهاء ذلك اليوم الصائف الذى حدثت فيه هذه المأساة كان قد تغير الوضع كلياً فى البلاد .. لم يكن أحد ليستطيع أن يتنبأ بأن ذلك اليوم كان الحد الفاصل الحاسم بين عهود الفوضى الماضية ، وعهود النظام المقبلة .

كان الشيخ قاسم ـ آنذاك ـ يعيش فصول مأساوية لم تنته بعد .. كان الفراغ يملأ الدنيا من حوله . فهو لم يعرف بعد مصير أخيه ـ فى الرضاع ـ عيسى بن علي ، كان آخر علمه به أنه أدخل الي قصر أبيه وهو جريح . كان يريد أن يطمئن عليه . وليس هناك من يتنسم أخباره له ، فكل قد أغلق عليه باب بيته فى حي الشيوخ بالمنامة .

كان يود أن لو يفعل له شيئاً .. ولكن ماذا كان يستطيع والمقاتلون من بني هاجر ، وآل عبد الله يجوسون خلال المنامة ، ويتكاثفون حول القصر المغلق على أصحابه . ولكنه علم فى الغد أن عيسى قد غادر البلاد بمساعدة عمه المنتصر .

ثم علم فيما بعد أنه وصل الي قطر وأقام عند عشيرة النعيم هناك. وبذلك سرى عن الشيخ قاسم الشيء الكثير من حزنه ، وساعده فى ذلك وجود أخوة الشيخ عيسي مثل أحمد وخالد .. فى بيت أبيهم فى المنامة لم يمسسهم سوء .

وبعد أشهر قليلة وبالتحديد فى ديسمبر عام ١٨٦٩ شاء الله أن يعود الطريد من قطر الي بلاده مملكاً عليها .. وأن يلتقي قاسم بأخيه عيسى ليعيشا حياة هادئة دامت أثنين وستين عاماً .

بعد هذا كله تفرغ الشيخ الشاب قاسم للمطالعة وبدأ فى اقتناء الكتب الفقهية والتشريعية . وبدأ من جديد فى الجلوس بمسجده للدرس والوعظ والارشاد ، وكان لايقطع زيارته الأسبوعية للشيخ عيسى بن علي فى المحرق .

وكان هذا يأنس به ويستشيره فيما يطرأ من مشكلات فى شؤون الحكم .. حتى قيل أنه كان يرسل اليه فى المنامة ليأتيه فيستأنس برأيه فيما جد من قضايا وأحداث فى سياسة الحكم .

وفى أول أيام حكم الشيخ عيسى للبلاد كان قاضى المنامة هو الشيخ محمد بن راشد الحسيني أستاذ الشيخ قاسم ، كما تقدم ، ولما أن مرض هذا وطال مرضه عين الشيخ عيسى الشيخ الشاب قاسم بن مهزع قاضياً .. حتى شفي الشيخ الحسينى فعاد الي قضائه .

توليته القضاء

حين تولي الشيخ عيسى بن علي الخليفة أمارة البلاد ، بدأت البحرين تدخل عصر الهدوء والطمأنينة ، وبدأ الناس – وخاصة الشباب منهم – يتطلعون الى شيء من الثقافة العصرية ذات التنظيمات الجديدة نتيجة ما شاهدوه فى الهند من تطورات ، فى مجال الثقافة الهندية حين كانوا يسافرون مع آبائهم تجار اللؤلؤ الى تلك البلاد .

كان ما شاهدوه هناك من تطور فى الثقافة يتركز فى مناهج التعليم .. وطرائق التصنيع ، ووسائط النقل ، وكل ما استجلبه المستعمر الغربى من وسائل الحضارة الغربية الحديثة .

ولكنهم وجدوا أن أخذهم لنتاج هذه الحضارة علي علاته كصورة أصلية من (نيجاتيف) الفكر الغربى البحت لن يأخذ بيدهم الىالاستفادة من حضارته والتخلص من نير استعماره معاً ، خصوصاً وأنه استغل وسائل حضارته لاسترقاق الشرق وتكريس عبوديته له (١) .

لذلك فقد تلمس هؤلاء الشباب .. ومن علي شاكلتهم طريقاً وسطاً لا ضرر ولا ضرار . لذا فقد أصبحت مشاربهم الفكرية كلها تلتقى علي آراء دعاة الاصلاح الاسلامى – الشباب آنذاك – مثل جمال الدينالأفغاني

---

(١) من ذلك استغلاله للتبشير والمبشرين ، وبعض المستشرقين والملحدين .. كغزو فكرى متقدم .. لاستعماره الشرق . وفرض مناهج تربوية خاصة عليه ، ساهمت فى خلق أجيال لاتعرف الا حضارته وفكره .

ومن ذلك تكريسه ومباركته للجمود الفكرى – آنذاك – عند المسلمين عبر طرقه المنحرفة ودراويشه .

وخلقه لملل ونحل جديدة تضاف الى فرق المسلمين الكثيرة .. وتستظل بظله وتغذى وجوده كالبهائية والبابية والقاديانية .

وعبد الرحمن الكواكبي ، ومحمد عبده ، وميرزا باقر (١) ، وشيخهم السيد أحمد خان (٢) .

على آراء هؤلاء .. التى تحملها كراريسهم المخطوطة بأيديهم الآتية من الهند وايران والبلاد العربية ، وعبر مجلة العروة الوثقى (٣) - بعد ذلك - تتلمذ الشيخ الشاب قاسم ، ومنها استمد القوة الي حريةالقضاء واستقلاله ، كما كان فى القرون الأولى للاسلام .

فى هذا المناخ الفكرى الذى عاشه الشيخ الشاب قاسم بن مهزع قبل عقد من السنين توفى شيخه الحسيني ، وكان آنذاك قاضى المنامة كما أسلفنا ، فلم ير الشيخ عيسى بن علي حاكم البلاد أجدر من الشيخ قاسم لتولى قضاء المنامة فعينه قاضياً عام ١٨٧٥ .

كان الشيخ قاسم قد شغل هذا المنصب قبل سنة حين غياب شيخه الحسينى فى الحج .. كان ذلك لمدة ستة أشهر فقط . وفيها أخذ الشيخ قاسم فكرة عملية عن القضاء ، ومشاكله . وفيها أظهر من البراعة فى احقاق الحق بين المتخاصمين ما أدهش الناس .. كأنه يصدر أحكامه عن الهام رباني . فلما تولي القضاء اتخذ من بيته مجلساً له .. وكان عمره يومذاك ثمان وعشرين سنة وأشهر .

---

(١) العلامة الفيلسوف ميرزا محمد باقر الشهير بابراهيم جان معطر ولد فى فارس، وتنقل الى الهند والصين وآسيا الوسطى وأوربا .. ثم بغداد واستقر فى لندن أواخر القرن التاسع عشر فاخذ علي عاتقه مراسلة مجلة العروة الوثقى فى باريس عام ١٨٨٤ ، فظل يترجم لها ما تنشره الصحف البريطانية عن الشرق الاسلامى ، ويرسله اليها لتنشره . ولما احتجبت العروة عن الصدور جاء الي بيروت وتزوج بها وانجب .. ثم ضايقته الدولة التركية فغادر بيروت الى طهران ومكث فيها ثلاث سنوات ثم توفي بها .

شاعر وله دراسات عقائدية باللغات العربية والفارسية والهندية ويجيد بالاضافة الى هذه اللغات اليونانية والعبرية والانكليزية كأحد أبنائها اللغويين . (الدكتور ادوارد برن فى مقدمة مجلد العروة الوثقى)

(٢) العلامة المصلح الكبير السيد أحمد خان العربي الأصل ولد بدهلي عام ١٨٠٧ وأنشأ بها جامعة عليكرة المشهورة له كتاب فى تاريخ دهلي توفى عام ١٨٩٨ .

(٣) المجلة العربية المشهورة لمنشئها بباريس السيد جمال الدين الأفغاني بمعاونة الامام محمد عبده ، صدر العدد الأول منها يوم الخميس ١٣ مارس ١٨٨٤ وتوقفت فىأواخر بعد صدور ثمانية عشر عددا منها . كانت تصدر في باريس وتوزع فى الشرق فتقض مضاجع الانجليز فى الهند والسودان ومصر .

حين تولى الشيخ الشاب قاسم قضاء المنامة .. كان هناك قاضيين رسميين غيره أحدهما جعفرى المذهب ويقيم فى بلاد القديم ، والآخر سني المذهب ويقيم فى مدينة المحرق .

لكن الشيخ قاسم بعد فترة وجيزة من توليه القضاء فى المنامة وبعد ما عرف عنه من ذكاء ابان الستة أشهر التى قضاها فى القضاء نيابة عن شيخه الحسينى .. أصبح القاضى الأول فى البلاد .

مذهبه

كان الشيخ قاسم مالكي المذهب .. وهو مذهب حكومة الشيخ عيسى بن علي ومن قبله من حكام البحرين ، فبسبب أن جميع الذين استوطنوا البحرين ، من القادمين من الزبارة بقطر آنذاك وأغلبهم من القبائل العربية ـ كانوا مالكيي المذهب ، أصبح هذا المذهب هو المذهب السائد .. منذ أواخر القرن الثامن عشر .

لكنه كان من القادمين من الزبارة من هم شافعيو المذهب ، وأغلبهم من العلماء والتجار . وكان من بين القادمين أيضاً فى نفس الوقت بعض أرباب الحرف من أهل الزبارة .. كالصاغة والحياك والبنائين الجعفريي المذهب . وان من بعض القادمين كذلك من هم من الحنابلة .. كالعلماء من بيت ابن جامع (١) .

وحين جاء الشيخ قاسم الي القضاء كان كل أتباع هذه المذاهب الاسلامية ، ومن هاجر اليهم فى البحرين ـ بعد ذلك ـ من عرب السواحل الفارسية ، ومن الايرانيين . وأولئك الذين جاءوا من شبه جزيرة العرب .. نجد والاحساء والقطيف ، من سنيين وشيعة .. قد استوطنوا البحرين .. واستقطبهم فيها المذهبان السني والجعفرى .

---

(١) كل هذه العينات السكانية نجدها ممثلة بوضوح فى مدينة المحرق ، وذلك بسبب أنها أول منطقة فى جزر البحرين تلقت هجرة أهل الزبارة اليها عام ١٨١٠ بصورة جماعية ، أضف الى ذلك من انتقال حكومة الزبارة اليها فى هذه الهجرة . على أنه مما يسترعى النظر وجود مساكن العرب من أرباب الحرف قريبة جداً من مساكن حكام البحرين علي ربوة المدينة ، وهي أول موقع سكن فيها ، وذلك يفسر حاجة الحكام الماسة ـ آنذاك ـ الي أرباب الحرف من العرب .. فاذا ما التمسوهم وجدوهم قريبا منهم وكذلك يفسر أيضا أنهم كانوا يعيشون في الزبارة .. بمثل هذا النمط .

وكان لهذين المذهبين قضاة ــ كما أسلفنا ــ يقضون بين أتباعهم بأمر الحاكم ، فلما جاء ابن مهزع جعل الحاكم يحيل اليه كل القضايا المدنية المهمة والمستعصية الحل . لذا فقد أصبح يومها قاضي القضاة فى البلاد ، يحكم بين الجميع بما أنزل الله لا يتزحزح عنه قيد أنمله . فلقد عرف عن الشيخ خلال سنى قضائه التى تزيد على نصف قرن أنه كان لا يرهب أى قوة تقف فى وجه تنفيذ الحكم الشرعى الذى يصدره (١) .

القضاء .. على عهد قضائه

جل القضايا المدنية كانت تحال للشيخ قاسم ، بما فيها قضايا الأحوال الشخصية للمسلمين السنيين ، مع الأخذ بعين الاعتبار قلة تلك القضايا ، وخاصة الأحوال الشخصية منها . ومرد ذلك أن النظام القبلي فى البحرين كان هو السائد .

فقد كان العرف والعادة يقضيان بأن رئيس القبيلة هو المنوط به حل منازعات أفراد قبيلته فى حيه . (٢) وكانت جل هذه المنازعات تتركز فى أحوال شخصية ، ومدنية غير معقدة .

وفى عصر قضاء ابن مهزع كان العرف السائد هو أن لرؤساء هذه القبائل المام عام بأحكام الأحوال الشخصية الخاصة للمسلمين نتيجة تتلمذهم علي بعض الفقهاء فى أحيائهم .

ففى تلك الأيام كان من المسلمات المألوفة أن يمر كل الأبناء البارزين فى قبائل البحرين بمدرسة دينية أو شيخ دين فى مسجد ، للأخذ عنه معرفة الحلال والحرام ، وأصول الدين وفقه العبادات والمعاملات فى الاسلام . وبعضهم يستمر فى هذه الدراسة حتى يأخذ الاجازة من شيخه .

وكان كل حاكم يأتي لحكم البلاد ــ آنذاك ــ يؤيد هذا العرف السائد ولا يخالفه ، لأن فيه راحته وطمأنينته ، فى الوقت الذى يشعر رؤساء هذه القبائل بأن لهم من الأمر شيئاً فى ادارة شؤون البلاد ، فلا يحاولون

---

(١) عرف عن الشيخ قاسم أنه أصدر مرة حكما شرعياً بقطع يد سارق من أبناء كبار القوم فى المنامة ، فجاءوا يتشفعون فى رد الحكم فلم يفدهم ذلك ، واستعانوا بأمراء وتجار من علية القوم فلم يستطع هؤلاء وقف تنفيذ حكم الشيخ .. فنفذ .

(٢) كانت كل قبيلة تتخذ لها حيا تسكنه ، فتأتي الى موقع فى العراء لا يشاركها فيه أحد فتبنى مساكنها فيه ، وهذا ما يشاهد حتى الآن بوضوح فى كل من المنامة والمحرق والحد والرفاع وما اليهما .

اثارة القلاقل ضده ، الا اذا منعهم بعض عطائهم السنوى ان كان ميسور الحال .

لهذا تراه يجزل لهم أعطياتهم .. ما استطاع الى ذلك سبيلا ويستشيرهم فيما يحزبه من أمر ، حتى يؤكد لهم أن لهم ما يعيشون من أجله فى هذه البلاد ، فكان مثل هؤلاء من رؤساء القبائل العربية فى البحرين بعض مستشارى الشيخ عيسى بن على ، فى وقت لم تفرض فيه الحماية البريطانية أى مستشار أجنبى على البلاد . (١)

لكن الشيخ قاسم عاش مدة قضائه كلها ولم يقبل مشورة من أحد من هؤلاء ، فطبيعة عمله كانت تحتم عليه ألا يأنس من هؤلاء برأى مادام ينفذ فيهم شرع الله .

وحين تولى الشاب قاسم بن مهزع القضاء .. كان الشيخ عيسى بن على قد عين ــ منذ توليه الحكم ــ أمراء من قبله وجعلهم بمثابة المحافظين فى المدن المهمة فى البلاد .. فللمنامة أمير وللمحرق أمير وللرفاع أمير . وجعل تحت امرة كل أمير مجموعة من الشرط (الفداوية) (٢) لحفظ الأمن فى البلاد .. فهم نواطير .. وهم عسس وهم فوق ذلك الأداة المنفذة لأمر حاكم البلاد . وكان أمراء هؤلاء (الفداوية) اليد الطولي لابن مهزع فى تنفيذ أحكامه الشرعية .

كانوا لا يتقاعسون عن تنفيذ أحكامه . يقومون بذلك عن طواعية واقتناع نفسى .. معزز بالتجارب بأن أحكام الشيخ قاسم لا تصدر الا بالحق ، والقسط . فهم يعتقدون أن التقاعس عن تنفيذها اشتراك فى جرم من صدرت ضده ، ومعنى ذلك اغضاب الشيخ ، وفى اغضابه معصية لحاكم البلاد .

---

(١) كان أول مستشار انكليزى عينته بريطانيا في البحرين هو السير تشارلس بلكريف من عام ١٩٢٦ ــ ١٩٥٧ . وقد جاء الى البحرين باختيار الميجر ديلي له كمستشار لحاكم البحرين آنذاك الشيخ حمد بن عيسي الخليفة (مذكرات تشارلس بلكريف) .

(٢) أى الفدائيون وهو اسم يطلق ــ آنذاك ــ علي فئة الحرس الخاصة بحاكم البلاد فى كل من أمارات الخليج والجزيرة العربية . ثم تعمم اطلاقه بعد ذلك على كل من يقوم بأعمال الشرطة فى البلاد وهذه الفئة الحرسية كانت موجودة فى البحرين ، وليس لها زى خاص ، حتي الستينات ، ثم تحولت الي فئة من قوة الشرطة تختص بالخفارة .

علي هذا المنوال قضى الشيخ قاسم مدة قضائه الطويلة كقاض للقضاة فى هذه البلاد . وفى عهد قضائه تولى قضاة مشهورون القضاء فى مدن البحرين ، ومنهم من عزل الواحد تلو الآخر ، مثل الشيخ عبد الرحمن بن جعفر المالكي . والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ،والشيخ شرف اليماني (١) وهو باق كمصدر للأمن والطمأنينة لأهل البلاد . (٢)

---

(١) التحفة النبهانية ص ٢٣٧ لمحمد بن خليفة النبهاني .

(٢) فى أوائل القرن العشرين أخذت قبضة سلطة الحماية البريطانية تشتد على المواطنين في البلاد ، فمرة تستغل عادة بيع الرقيق التي كانت آنذاك فى طريق الزوال . ومرة تستغل المشاجرات والمشاحنات بين المواطنين من جهة والأجانب من جهة أخرى .. أولئك الذين دائما ما يظهرون الصلف والغرور أثناء استغلالهم لموارد البلاد . يحفزهم الي ذلك ويشجعهم وقوف تلك السلطة الي جانبهم ، اذ أنها دائما ما تمارس — فى مثل هذه المشاجرات — مهمة الخصم والحكم معا فى هضم حقوق أهل البلاد .. كحادثة الوكيل التجارى الألمانى عام ١٩٠٤ .

فلما كان عام ١٩١١ أرادت سلطة الحماية أن تجرد أهل البلاد من سلاحهم الذى هو سببهم الأول فى عزتهم وكرامتهم .. وحتى لايكون فى أيديهم شيء من القوة كي يدافعوا بها عن أوطانهم في ظروفهم الحرجة آنذاك . فامر معتمدها البريطانى بمنع الاتجار بالسلاح..

وبما أن هذه الحادثة لها مساس بأحد القضاة فى البحرين على عهد ابن مهزع فلندع النبهانى فى تاريخه عن البحرين يحدثنا عنها :

قال : أمر معتمد بريطانيا بمنع بيع السلاح والرقيق فى البحرين فهاجت الأهالى وماجت ثم اجتمعت فى بيت الحاكم سمو الشيخ عيسى وطلبوا منه أن يضع حدا لاعتداء الانكليز ، فأجابهم بعجزه ما لم يتفقوا معه على رأيه ، وحثهم بالتعاضد وأن يكونوا يدا واحدة علي من سواهم ، ليتمكنوا من النهضة لاسترداد حقوقهم المغصوبة . فتكفلوا له بذلك وطلبوا أن ينشيء لهم مجلسا يضم رؤساءهم وذوى الرأى منهم ، ويخول لهم حق انتخاب القضاة الشرعيين ورؤساء الدوائر . وعزل غير الوطنيين ، واتخاذ الأسباب اللازمة لحفظ حقوقهم . فأجاب الحاكم طلبهم وأعطاهم أوراقا ووثائق بذلك ، وأخذ منهم أخرى يتعهدون فيها بالسمع والطاعة ولزوم أوامره مادام سمو الحاكم متبعا لمشورة ذلك المجلس.

ولما تم انشاء هذا المجلس علي أحسن ما يرام وعلمت به الأعداء تيقنت بأنه الضربة القاضية على سياستها . فسعت الي حله ، حتى أوعز الى قاضي المحرق الشيخ شرف اليمانى فاتي ذلك القاضي الي سمو الحاكم ووسوس له بان هذا المجلس عقد على خلع عظمتكم .

فأوجس الحاكم في نفسه خيفة من ذلك المجلس فاصدر فى الحال أمره بحله فانحل وتفرقت أعضاؤه ثم أعلن بأن من يفه ببنت شفة فى مسالة المجلس يسجن . وبذلك نال العدو بغيته وتمكنت قدمه . ولكن سرعان ما تكشفت أحوال القاضي المذكور فخلع وطرد ، وأشفق علي نفسه فلجأ فى الحال الي دار المعتمد البريطانى طالبا الأمان علي نفسه . (التحفة النبهانية ص ٢٥٠ — ٢٥١ طبع القاهرة) .

تولية قضاء المحرق
فوق قضاء المنامه

وفي عام ١٩١١ حين طرد قاضي المحرق الشيخ اليماني ، كان لهذه الحادثة ، وما جرت من ذيول أثر سيء على الشيخ قاسم ، فسيستشار .. وستؤخذ موافقته فى تعيين خلف لذلك القاضي المعزول والبحرين آنذاك تنوء بحملها من العلماء الفقهاء في التشريع الاسلامي، ومنهم من يفوق القاضي المعزول علما وتفقها ...

وعلى الشيخ قاسم أن يجتهد فى اختيار قاضي المحرق الجديد من بين أفراد هذه التركيبة المتجانسة من علماء الدين فى البلاد . ان طريقة الاختيار هذه صعبة ، وعلى الذى يمارسها فى مثل موقف الشيخ قاسم فى المسؤولية القضائية للبلاد أن يستعمل مقاييسه العلمية فى التشريع الاسلامي ، مع ذكائه وفراسته لاختيار القاضي الجديد ، الذى يجب ان تتوفر فيه مزايا قاض عليم .. لمدينة تعج بآلاف السكان ، وهي العاصمة ومقر الحكومة آنذاك .

والشيخ قاسم الذى هو فى اعتبار حكومة البلاد آنذاك أنه هو قاضي القضاة فى البحرين ، وان قضاتها وعلماءها وأهلها كانوا يعتبرونه كذلك .. اعترافا منهم بعلمه ونزاهته (١) ، وكان يتألم كثيرا من عدم وجود الوعي الاسلامي عند كثير من قضاة البلاد ، وعلمائها بين معاصريه منهم ، مما كان له تأثير سيء فى تقدم البلاد ، عبر حوادث كان أقربها الى ذهن الشيخ قاسم .. تلك الحادثة التي هب فيها علماء وقضاة من الذين لا وعي اسلامي لديهم ، وعلى رأسهم كان القاضي شرف بن احمد اليماني قبل ذلك يقاومون بعض الاجراءات الصحية الوقائية التي كانت تقوم بها الحكومة ... آنذاك اثر انتشار وباء الطاعون فى البحرين . (٢)

وكان على الشيخ قاسم أن يضع فى اعتباره ظروف البلاد الحرجة التي تمر بها آنذاك ، وكان أشدها حراجة ما خلفه حل المجلس الاستشارى البحريني عام ١٩١١ من قبل الانكليز ، وارتباط اسم قاضي المحرق المعزول بذلك الحل ، وما خلفه من اجراءات تعسفية مما ترك الباب مفتوحا لنقمة

---

(١) بريطانيا أيضا كانت تعترف بالشيخ قاسم رئيسا للقضاة فى البحرين . راجع فصل دور الشيخ قاسم فى العمل الوطني ، المرحلة الثانية ص ٩٤ .

(٢) دليل الخليج ل ج لوريمر — ص ٢٥٧٦ و ٣٥٧٧

أهل البلاد على ذلك القاضي وسحب ذيول هذه النقمة على كل العلماء والقضاة مما خلق فجوة واسعة بين الناس وعلمائهم ، وترك الفرصة سانحة لطلائع الاستعمار من المبشرين فى البلاد أن يشككوا الناس فى قدرة الدين الاسلامي عبر علمائه على مقارعة الاستعمار والظلم والطغيان (١) .

من هذه المنطلقات وأمثالها استعرض الشيخ قاسم علماء البلاد من معاصرية ، فلم يجد من تستكمل فيه جميع المواصفات التى ينشدها فى واحد منهم ... ورأى ان مسئولية تولى قضاء المحرق ـ آنذاك ـ مسؤلية عظيمة ،ولا يستطيع ان يجزم بتزكية واحد من هؤلاء العلماء .. لشغل ذلك المنصب . فيأتى بمثل ما جاء به الشيخ شرف ، وأمثاله ، فيحدث ما لا تحمد عقباه فيتهم الشيخ قاسم فى ثاقب نظره وفراسته .

لهذا كله فقد اعد للامر عدته .. فلما استدعاه الحاكم عيسى بن علي واستشاره فيمن يولى من العلماء للمنصب الشاغر بعزل الشيخ شرف منه .. اجابه بأن يوليه هو ذلك المنصب الشاغر ، فلما رد عليه الحاكم قائلا : والمنامة يا شيخ قاسم ؟! قال الشيخ والمنامة ايضا . سأجعل ثلاثة ايام فى الاسبوع للمنامة ، ومثلها للمحرق . فولاه الحاكم قضاء المحرق . واقطعه بيتا ليجلس فيه للقضاء .

وبذلك كلف نفسه بمسئولية جديدة فوق مسئوليته كقاض اول فى البلاد ... مسئولية كان سيكلف بها غيره ويبقى ضميره يتطوح بين القلق والاطمئنان ، لكنه اختار ان يأخذها على عاتقه فان ناء بها أوده فسيرتاح بها ضميره .

فى الايام الاولى من تولى الشيخ قاسم قضاء المحرق كان يأتى اليها في الصباح من مقر سكناه فى المنامة ، ويغادرها فى المساء . لكنه حين رأى ان قضايا المحرق الحقوقية .. من تجارية واحوال شخصية .. وجنائية فى بعض الاحيان ، تفوق قضايا مدن البحرين مجتمعة بسبب أنها مقر الحكومة آنذاك وتتركز فيها تجارة اللؤلؤ ، وتجارة النقل البحرى(القطاعة) ورأى عسر المواصلات البحرية بينها وبين المنامة ، اضطر ان يقيم فيها نصف ايام الاسبوع المقررة لها لا يقطعها بالذهاب الى المنامة . فكان يسكن فى البيت الذى كان يجلس فيه للقضاء طيلة تلك الايام ثم تزوج فى المحرق من احدى بنات عائلة فليفل .

---

(١) المنار /م١٦/٥/ص٣٧٩/١٩١٣ .

وعلى هذا المنوال استمر الشيخ فى قضائه بالمحرق حتى عام ١٩٢٣ . فكانت مدة قضائه فيها حوالي اثني عشر عاما (١) .

أما خلال تلك المدة وحين تحدث قضايا طارئه فى المحرق ويكون الشيخ قاسم فى المنامة ، فان الشيخ عيسى يحولها اليه باستمرار ليقضي فيها وهو بمجلسه فى المنامة .

---

(١) بقي الشيخ كذلك حتى جاءه كتاب عام ١٩٢٣ من الميجر ديلي المعتمد البريطاني فى البحرين آنذاك بمنعه من الذهاب الى المحرق . (راجع فصل الشيخ بين القضاء والاعتزال

الفصل الثالث

دور الشيخ قاسم في العمل الوطني



مدخـــل

ما هو دور الشيخ قاسم فى العمل الوطني منــذ بواكير نشأة الحركة الوطنية فى البلاد حتى اعتزاله القضاء ؟

ما هي مراحل ذلك الدور ؟ ولماذا اعتقل الشيخ فى بارجة حربية ..؟

لماذا حجر الميجر ديلى على الشيخ قاسم ومنعه من الذهاب الـــى المحــرق بالــذات .. ؟

ما هي القناعات التي توصل اليها ديلى عن الشيخ حسب مفاهيمـــه الاســـتعمارية ؟

وهل للشيخ دور وطني فىمعارضة الاجراءات البريطانية الاستعمارية فى البلاد منذ عام ١٩٢١ حتى اعتزاله ١٩٢٧ ؟

واذا كان ذلك حقا .. فما هي قصة فتوى الشـــيخ بتأييد الحاكـــم المعـــزول ؟

وحين يتبادر الى الذهن تواتر تلك الادوار الحية الكبرى التي لعبها الشيخ أثناء فترة قضائه الطويلة فى خدمة بلاده .. فلماذا لا يكون له دورفى الحركة الوطنية . وخاصة ما كان فى العشرينات من هذا القــرن ؟

باستقرائنا ما وقع تحت أيدينــا مــن تراث الشيخ قاسم الكتابي يتبين لنا بحقيقة لاتقبل الجدل ، ولايعتورها الضعف أنه كان للشيخ قاسم ذلك الدور الرئيس الكبير فى الحركة الوطنية وتأييد الحاكم ، وهــذا مــا سنحاول اعطاء صورة واضحة عنه فى الصفحات التالية :

وكما هو معلوم مما طالعناه فى الابواب السابقة مــن هذا الكتاب .. أنه كانت للشيخ قاسم أدوار كثيرة وكبيرة قام بها فشارك فى أهم أحداث بــلاده ، وعلى أعلى المستويــات . فهو كــان رئيس القضاة (١) فى البلاد والمستشار المؤتمن والمرجع الديني والدنيوي..كما بيناه سابقا وماسنجده الان ممثلا بوضوحفيمجموعة النماذجمنالشواهد التراثية للشيخنفسهوالتى سندلل بها على قيام الشيخ بدور فاعل عظيم فى تأييد الحركة الوطنية قبل وأثناء مدها القومي فى مناهضتها للتدخل البريطاني فى شؤون البحريـــن الداخلية، فكان ماكان من عزل الحاكم الشرعي للبلاد، ومنع الشيخ قاسم من الاتصال به ، ثم اعتقال أحمد بن حسن الدوسرى كأحد أركان الحركــة

---

(١) وهي صفته الوظيفية الرسمية ، كما سيأتي فى مخاطبة الرسميين الانكليز له .

الوطنية ودفاع الشيخ قاسم عنه حيث أطلق سراحه . ثم ماكان أيضا من اعتقال زعيم الحركة الشيخ عبد الوهاب الزياني وزميله احمد بن لاحق ، ونفيهما . وماكان من مواصلة الشيخ الاتصال سريا بالحاكم المعزول عن طريق الرسل والرسائل .. وما حدث قبل كل ذلك من عدم انصياع الشيخ قاسم لاوامر رئيس الخليج حين طلب منه هذا برسالة رسمية أن يصدر منشورا يعلن للناس — كقاض للقضاة فى البحرين — استراحةالشيخ عيسى بن علي من حكم البلاد وتعيين ابنه حمد بدله .. وما كان أيضا من ذلك العهد السرى الذى أعطاه الشيخ قاسم للحاكم المعزول بتكريس ولائه لهواعتباره حاكما للبلاد سواء فىولايته أو عزله حين قال لهفى رسالته المؤرخة فى ١٠ ذى القعدة ١٣٤١ هـ ما نصه ((**على أنني أدين الله جل جلاله بموالاتك فى ولايتك وعزلك**)) مما اعتبرت عند جميع الاوساط من وطنية واستعمارية فتوى شرعية ببطلان عزل الحاكم .. كما سيجي .

المرحلـة الاولى

الشيخ فى مواجهة الانكليز

ترجع أول ممارسة الشيخ قاسم لدورة فى العمل الوطني الى عام ١٨٨٧ — ١٨٨٨ حين ابتدأ الانكليز فى التدخل فى شؤون البحرين الداخلية، عبر محاولتهم الاولى للتسلل الى موقع من أهم مواقع السلطة الوطنية فى البلاد .. ألا وهو موقع السلطة القضائية الاهلية فيها ، تلك السلطة التي كان يمثلها القضاة الاسلاميون آنذاك . فحين تدخل الانكليز عام ١٨٨٧ — ١٨٨٨ فى تقرير مصير الرجل محمد بن عبد الوهاب الفيحاني (١) أحد كبار رجال الحاكم حيث أمروا بابعاده عن البحرين دون محاكمة أمام السلطة القضائية الاهلية فى البلاد وقف الشيخ قاسم فى وجههم لكي لايخرجوه من البلاد دون أن تثبت ادانته . . حسبما اتهموه به من اثارة الاضطراب فىالبحرين وقطر . ولقد طالبهم الشيخ بقوة بأن يعطى الرجل فرصة للدفاع عن نفسه أمام السلطة القضائية الاهلية فى البلاد .

من أجل ذلك الموقف فقط صنف الانكليز الشيخ قاسم ولاول مرة فى عداد مثيرى الاضطراب فى البحرين ضدهم (٢) . فكان ان منحوه — دون قصد — وسام شرف تلك المهنة المثلى التى امتهنها كل الرعيل الاول من

---

(١) أحد رجال السياسة والحكم البارزين فى الخليج أواخر القرن التاسع عشر ومن كبار تجار اللؤلؤ فيه ، عمل مستشارا ووكيلا لحاكم قطر الشيخ قاسم بن ثانى ، ثم انتقل الى البحرين . ومنها رحل الى دارين .

أصحاب الحركة الوطنية فى البحرين أوائل القرن العشرين اقتداء بــه ، وببطل البحرين الملهم الامير محمد بن خليفه الخليفة من قبله (١) . لقــد سجل الانكليز فى سجلاتهم ذلك الحادث .. فقالوا فيه عن الشيخ قاسم :

« أنه قام هو واخوه احمد وانصارهما بدور في الاضطراب الذى نسب الى محمــد بن عبد الوهــاب .. »

كذلك فان الانكليز سجلوا فى سجلاتهم الرسمية ان الشيخ قاســم أثار الاضطراب فى البحرين عام ١٨٩٢ فقالوا عنه : « أنه أشار على الحاكم بأن يزيد رسوم الوفاة بحيث تصبح ٣/١ الميراث » كما وصفوه هو وأخــوه احمد بأنه أسوء ناصحي الشيخ عيسى (٢) .

ولانعرف ما هي علاقة الانكليز بهذا الموضــوع من حيث أنه يتعــلق بالاحوال الشخصيةللمسلمين فى بلادهم ؟ولماذا يثير الشيخ قاسم الاضطراب لولا محاولتهم هم للتدخل فى شؤون البلاد الداخلية ، عبر التســلل الى موقع السلطة القضائية الاهلية فى البلاد ، وهو ما استمروا فى محاولته بعد ذلك حتى عام ١٩٠٣ حيث نجحوا فى حرمان القضاء الاهلي فى البلاد مــن ممارسة سلطتة على الاجــانب فى البلاد .

بعد ذلك نصل مع الشيخ قــاسم فى ممــارسته لدوره الوطني ضد تدخل الانجليز فى شئون البحرين الداخلية .. كما أسلفنا ألى عام ١٨٩٩ حين قام الانكليز بالضغطعلى الحاكم لابعادثلاثة من كبار رجاله عن البحرين لاشتراكهم في حادث الهجــوم على مخزن يخص الحــاكم وتستعمله شركة فرانسيس وتايمز لخزن بضاعتها من السلاح الذى أكثره من البنادق . لقد استطاع الانكليز بسببهذه الحادثهتغريم الحاكم ألف (١٠٠٠) روبيه وابعاد رجاله الثلاثة وهم صالح بن راشد ، وشريدة بــن احمد وابنه فهد عــن البحرين (٣) وتم كل ذلك بصورة تعسفيه دون ان يحصل المبعدون على حق الدفاع عن أنفسهم أمــام محاكمهم الاهلية . وكــالعادة فقد وقف الشيخ قاسم ضد هذا التدخل البريطاني الجديد فى شئون بــلاده الداخلية ، أو بالاحرى فى شئون هي من اختصاصه كرئيس القضاة فى البلاد ..

---

(١) حاكم البحرين من عام ١٨٤٢ حتى عام ١٨٦٩ .
(٢) دليل الخليج ل ج . ج لوديمر / القسم التاريخى ج / ٣ .
(٣) دليل الخليج القسم ٣ ص ١٤٠٥

لقد طالب الشيخ قاسم أن يساق المتهمون ليأخذوا حقهم من المحاكمة أمام محكمة البلاد العليا التى هو قاضيها ، فاما أن يبرأوا ويطلق سراحهم، أو تثبت ادانتهم ، وعند ذلك لايخرجون مـن بلادهم ، بـل تنفذ فيهـم العقوبة وهم فيها . لهذا السبب عـد الانكليـز الشيـخ قـاسم مثيراً للاضطراب ضدهم فى البلاد ، وخفضو ذلك له .. واستمروا فى محاولـة تكريس نفوذهم السلطوي فى البلاد .

وفى عام ١٩٠٤ جاءتهم الفرصة سانحة هـذه المرة حينما حـدثت مشاجرة عرضية (١) كما تواضعوا وسجلوا ذلك فى سجلاتهـم من وجهة نظرهم هم وحدهم ! ومن فمك أدينك .. ! غير أن خلاصة الحادثة هى أن أحد رجال احمد بن على الخليفه ابن أخى الحاكم، وأحد خدام حاجى عبد النبي كبير التجار الايرانيين فى المنامة تشاجرا واتسع نطاق هذاالشجار فشمل أفرادا من رجال احمد بن علي من جهة والايرانيين من جهة أخرى، وأصبحت فتنة ، أوقد عليها الانكليز باشاعتهم بيانات شفهية بين الناس ـ وخاصة الايرانيين ـ تقول بأن بريطانيا هي المطالبة الوحيدة بحقـوق الاجانب فى البحرين لانهم فى حمايتها ، ومنهم الجالية الايرانية فيهـا .. فأثاروا هؤلاء على أهـل المنامة ، واتسع نطاق الفتنة بعد أن أخرجوهـا اخراجا مسرحيا ، وأسموها حركة معاديـة للشيعة الايرانيين يريـدون قمعهـا (٢) .

لذلك فانه حينما علم الشيخ قاسم بأمر الحادثة أراد ان يقمعها وهي فى مهدها فأرسل نفرأ من تلامذته وأصحابه برآسة أخيه احمد للسعي فى الصلح بين الفئتين ، لكن بما أنهم سنيون جاءوا للصلح بين فئتين مسلمتين وحسم مابينهما من نزاع فى يومة الاول (١٤ نوفمبر ١٩٠٤) فقد عد الانكليز هذا العمل منهاضا لسياستهم فرق تسد .. لانه يحول دون اتمام صفقتهم فى اخضاع البحرين لسيطرتهم المطلقة .. لذلك فقد أوهموا الاخـــوة الايرانيين عبر عملائهم المندسين فى فئتي النزاع ان رسل الشيخ قاسـم جاوا للاشتراك ضدهم فى هذه الفتنة ، فلم يمهلوهم ليقولوا ما عندهـم وهاجموهم ودافع الرسل عن أنفسهم ، وانتهى الامر بأن احتمى الاخـوة الايرانيون ببيوتهم فلم يلجها عليهم احد سواء من الرسل او غيرهم ، وساد الهدؤ آخر النهار حوارى المنامة وأزقتها . وبدأ الحاكم فى المحرق فىمحاولة حصر الفتنة والقبض على مسببيها الذى تبين له بأن بعض الايرانيين لهم ضلع فى اشعالها باديء ذى بدء .. وحين حاول احالتهم الى القضاء الاهلي

---

(١) دليل الخليج القسم التاريخى / ج ٣ ل ج ج لوريمر

(٢) المصدر نفسه

في البلاد وقف في وجهه الكابتن بريدو أول وكيل سياسي بريطاني في البحرين وأخذ يساوم الشيخ في توظيف هذه الفتنة لصالح التدخل الانكليزي الجديد في شؤون البلاد الداخليـــة ..

جاء بريدو الى الحاكم في المحرق وقال له ((**ان الايرانيين الذين في جزر البحرين أجانب ، وأنهم بالتالي تحت الحماية البريطانيــة ..**))

فرد عليه الحاكم قائلا : ((**..وهل أهل البحرين بأجمعهم ليسوا تحت الحماية البريطانية ، . وهم رعيتي ؟ ان الايرانيين مسلمون ، وان النزاع حدث بين طائفتين مسلمتين ، وستحسمه محاكم الشرع الموجودة في البحرين(١) لذلك لا أقبل تدخلك في هذا الموضوع .**)) بعد تلك المقابلة عاد الوكيل الى المنامة ومنها طلب على وجه السرعة بارجة بريطانية .. فجاءت البارجة (رد بريست) ورست في مواجهة المنامة .

هذا ماكان من الحاكم في مواجهة الوكيل السياسى ، أما الشيخ قاسم فقام يندد بتدخل بريدو في شؤون القضاء الأهلي في البحرين واشتد في ذلك حتى وضعه هذا الأخير في قائمة أولئك الذين يريد الانكليـــز ابعادهم عن البلاد .

وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٠٥ وصل الى البحرين الميجور برسى كوكس المقيم السياسى في الخليج ، وبمجرد وصوله اتصل بالحاكم وحـــاول أن يملي عليه شروطاً جديدة تحقق التدخل الانكليزى في شؤون القضـــاء الأهلى في البلاد ، وخلال أربعة أيام من المفاوضات لم ينجـــح كوكس في زعزعة الحاكم من موقفه السابق الذى أوضحه بكل جلاء للكابتن بريدو من قبل ، فغادر البلاد في ١٠ ديسمبر مغاضباً . غير أنه عاد اليها يوم ٢٣ فبراير ١٩٠٥ وهو يقود حملة بحرية قوامها الطواف فوكس، والقارب المسلح سنفكس وقوة مؤلفة من ١٥٠ جندياً بالاضـــافة الى البـــارجة الحربية رد بريست . وفي ٢٥ منه أنزل جنوده الى البر وقدم انذاراً الى الحاكم بتسليم ستة من زعماء أهل المنامة علي رأسهم الشيخ قاسم وأخيه أحمد الذى فر الي قطر آنذاك .

وبين الخامس والعشرين من فبراير والرابع من مارس من العام نفسه جرت أحداث ليس هنا محل لذكرها (٢) أما الشيخ قاسم فقد بقي معتقلا علي ظهر بارجة من بوارج كوكس الحربية لعدة أيام ثم أطلق سراحه وسمح لأخيه بالعودة الى البلاد . غير أن كوكس أراد أن يكلل جهوده بانذار خاص يقدمه الي علماء المسلمين وقضاتهم في البلاد في شخص الشـــيخ

---

(١) دليل الخليج ل ج ج لوريمر / القسم التاريخى ج / ٣

(٢) من اراد التفصيل في هذه الاحداث فليطالع المراجع التى تعنى بالتاريخ السياسي للبحرين والخليج .

قاسم وأخيه أحمد . فالتقي بهما ووجه اليهما انذاراً بعدم ممارسة أى نشاط سياسى فى البلاد (١) . الا أن الشيخ قاسم لم يمهله ورد عليه فى وقتها قائلا : **((ان السياسة الشرعية يجب أن يعمل بها علماء المسلمين وقضاتهم فى البحرين ، وان اهل البحرين هم والايرانيين ذوو دين واحد وشريعة واحدة ، فلا يمكن أن يتحاكموا الى شريعة أخرى))** .

وانتهى اللقاء بين كوكس والشيخين فغادر الأول البحرين يوم ٤ مارس ١٩٠٥ منهياً فصول مسرحية استطاع الانكليز فى نهايتها من اتمام حرمان القضاء الأهلي فى البحرين من حقه فى الفصل فى قضايا الأجانب فى البلاد . . . ولخمسين سنة قادمة .

المرحلة الثانية

ولندخل الآن فى تفاصيل ما أجملناه . . لنرى أن الشيخ قاسم كان علي علم ومعرفة تامين بشؤون مواطنيه صغيرها وكبيرها ، وقد هيأ له ذلك موقعه الحساس فيهم ، فطيلة الخمسة عقود ونصف من السنين التي قضاها فى القضاء ، لم يفرغ مسجده أو بيته أو مجلس قضائه من أصناف شتي من الناس يتجددون بين ناظريه فى كل ساعة من ساعات اليوم . فهؤلاء يتقاضون أمامه . . وأولئك يستفتونه . . وآخرون يعقدون زيجاتهم وتوثيقاتهم عنده ، ومثلهم يأتون لزيارته وللاستفادة من علمه . وعن طريق هؤلاء كلهم كان الشيخ يتنسم الاخبار . . كل الاخبار ، وعلي رأسها أخبار المسؤولين والتجار . وحتى أخبار أمراء المنطقة العربية من حوله كالملك عبد العزيز بن سعود ، والشيخ أحمد الجابر الصباح ، والأمير عبد الله بن جلوي كما سيجيء مفصلا بنماذج من رسائله فى هذا الكتاب . كذلك فان خبرة الشيخ بالانكليز وطبائعهم مما لا يختلف عليه اثنان فى صحتها . كانت فراسته وذكاؤه تعينانه على ذلك فكانت استنتاجاته عنهم دائماً ما تجيء صحيحة سريعة .

لقد مكنه عنصرا فراسته وذكائه من أن يتمتع برؤية تقدمية واضحة، استطاع علي ضوئها أن يكون عوناً للحركة الوطنية فى البلاد بزعامة الشيخ عبد الوهاب الزياني وأصحابه ، أولئك الذين كانوا أعضاء دائمين فى مجلس المعارف القديم المؤسس عام ١٩١٩ كما سيجيء . ولم يكن لسوء التفاهم الذى كان قد حدث بين الشيخ قاسم وبين هؤلاء بشأن دكان الوقف أى تأثير ــ يذكر ــ على مسيرة الشيخ مع الحركة الوطنية ــ كما سيجيء ــ

---

(١) من أراد التفصيل فى هذه الأحداث فليطالع المراجع التى تعني بالتاريخ السياسي للبحرين والخليج .

وخاصة عبر قمة عملها الوطني من أجل الاصلاح الداخلي ومناهضة تدخل سلطة الحماية البريطانية فى شؤون البلاد الداخلية .. الذى نتج عنه عزل الحاكم عيسى بن علي .

كان الشيخ قاسم مع هذه الحركة قلباً وقالباً ، وكان أصحابها يعتبرونه الأب الأكبر لهم بدليل أنه كان يعتبرهم – وفيهم كثير من الشباب آنذاك – أنهم من أهل الحل والعقد فى البلاد . كان يقترح أسماء بعضهم علي الشيخ عيسى بن علي لينوبوا عن حكومته أمام ممثلى الحكومةالبريطانية سواء علي مستوى رئاسة الخليج أو حكومة نائب الملك فى الهند (١) .وكان يستعين ببعضهم كذلك فى حل قضايا الغوص والتجارة .. حتى كان يعين بعضهم قضاة صلح فى البلاد . ورسائله فيهم للحاكم الشيخ عيسى قبل عزله ومن بعده موجودة . هذه الرسائل تشهد بتزكيته لهم وثقته الغالية فيهم (٢) فى الوقت الذي لم يكن لأحد أن يتجاهل الشيخ قاسم أو يتجاوزه.

---

(١) قال الشيخ قاسم فى رسالته الثانية بتاريخ ١٧ ربيع الاول ١٣٤٢ الي الشيخ عيسي بن علي بعد عزله بخمسة أشهر ما يلى : « .. ولكننى أبدى مايجب على من نصحكم، فالبدار البدار بتعجيل كتاب حضرتكم الذى حررتموه ، ومصحوبة عريضة مشتكى رعيتكم أما مع عبد الله بن حسن الدوسرى أو أحمد بن لاحج .. » وقد نتج عن ذلك فيما بعد اعتماد الشيخ عبد الوهاب الزيانى وأحمد بن لاحج لمطالبة حكومة نائب الملك فى الهند بالغاء كل الاجراءات التي قامت بها سلطة الحماية البريطانية فى البحرين من التدخل في شؤون البلاد وعزل حاكمها . ولم يكن عبد الله بن حسن الدوسرى معهم آنذاك بسبب أنه غادر البلاد الي الدمام لتفقد شؤون جماعته الدواسر هناك بعد هجرتها من البحرين نتيجةلقرار الميجر ديلى بغزوها فى بلدتها البديع بعد عصيانها وعدم اعترافها بعزل الحاكم .

(٢) بتاريخ ٢٥ ج ٢ ، ١٣٣٨ رفع الشيخ قاسم تقريراً الى الشيخ عيسى بن علي عن قضية المدعي عليه فيها رجل اسمه محمد بن يوسف القطيرى قال فيه : « وأهل الفكر والبصائر يستنتجون من صوادر أعماله وأفعاله التي زعمها المدعون عليه بحضرته لم ينكرها وتعدادها بذواتها فى أوقاتها قد تكرر منى بيانها . وهذه من المسائل التى يتعين الحكم فيها بمفهوم العقول ومعلومها ، وبما يرون بحكم حاكم الرعية . فمن حضرتكم الامر على الشيخ عبد الوهاب بن حجى وعبد الله بن حسن وعبد الرحمن بن محمد الزيانى ومحمد بن راشد بن سلطان البنعلى وعيسي أحمد سياديه فيحضرون بين المتنازعين ويسمعون دعوى المدعي ومنافاة المنافى ويستدلون بما يسمعون فيستنتجون مقتضيات الجنايات أو البراءة منها والسلام عليكم .. »

فوصف أصحاب الحركة الوطنية بأهل الفكر والبصائر .. وتقارير الشيخ القضائية ورسائله في هذا الموضوع كثيرة ومتنوعة كان يبعثها الى هؤلاء أما كأفراد أو كمجموعات فى شتى الموضوعات القضائية من اصلاح ذات بين سواء كان فى أحوال شخصية أو تجارة أو حتى فى حوادث جنائية ، وسنوفى هذا الموضوع حقه فى الجزء الثاني فى المخصص لرسائل الشيخ وتقاريره .

في تعيين قاض أو امام مسجد ، أو حتى مأذون كما مر بنا ورسائل الشيخ وتقاريره القضائية تشهد أيضا بذلك كما سيأتي في هذا الكتاب .

نأتي الآن للكشف عن حيثيات هذه المرحلة من دور الشيخ قاسم في الحركة الوطنية في البلاد .. فهذه الحيثيات تبدأ مع بواكير بروزالحركة الوطنية عام ١٩١١ حين تم على يدها تشكيل أول مجلس استشاري وطني في البحرين ، ثم ماكان من سعي سلطة الحماية البريطانية في حله ونجاحها باستعمال قاضي المحرق شرف أحمد اليماني في ذلك ، مما ترتب على الشيخ قاسم من اعتماد عزله ، واضطراره هو نفسه الاحلال محله وتحول مسؤولية قضاء المحرق اليه مع علمه بحراجة الموقف فيها آنذاك بسبب أن الحاكم اضطر بضغط من سلطة الحماية أن يعلن ما يشبه الاحكام العرفية اليوم ، حيث أعلن أن كلّ من ينبس ببنت شفة بشيء من المعارضة في حل المجلس يسجن . (١)

ثم ماكان بعد ذلك من اعتماد الشيخ قاسم علي أصحاب الحركة الوطنية باعتماده لهم أهلا للحل والعقد في البلاد (٢) والتعاون معهم على أساس ذلك سواء كانوا أعضاء في مجلس التجارة والغوص القديم أو أعضاء في مجلس المعارف ، للتعليم الحديث في البحرين .. الذى كان للشيخ قاسم دور كبير في انباته نباتاً حسنا .. ودورا وطنيا كبيرا كهذا للشيخ يعتبر بحق امتداد لدوره الوطني الاول كما أسلفنا .

---

(١) راجع فصل (حياة الشيخ قاسم) باب القضاء علي عهد قضائه ، وباب تولية قضاء المحرق ..

(٢) كتب الشيخ قاسم الي الشيخ عبد الوهاب الزياني الرسالة القضائية التالية المؤرخة في ٩ ذى الحجة ١٣٤١ ، وأسنى سلام الاسلام لحضرة همام الهمة الفاضل الشيخ عبد الوهاب بن حجى .. وانني أحمد اليك الله وقد دفع محمد بن عبد الله امكينزى مشتكى لبيت الدولة ووجه أميرها دعوى ذلك المدعى مع من عليه يدعى وهو عبد الله بن سلمان المزروعي لدى المحكمة الشرعية فاستبنت من محمد بن عبد الله امكينزى مايدعيه فقال ان ولده أحمد الكائن في بمبى الهند أرسل مع عبد الله المزروعي ما لا في بقشة وأن المتمول لم يصله أصلا ، فطلبت من المدعي محمد المذكور ثبوت وكالته عن ولده أحمد ، ولتعذر الشهود فحضرتك من مصادر العلم والحق ، فأرجو من حضرتك آن تستبين من المرسل أحمد ما أرسله

وبيد من أرسله ، وتثبيت اقراره بتوكيله لوالده والسلام عليكم ورحمة الله

من محبك قاسم بن مهزع

المرحــلة الثالثة بين الشيخ قاسم والميجر ديكسون

ونصل مع الشيخ قاسم الى المرحلة الثالثة فى دوره الوطنى وتأييده للحركة الوطنية فى البلاد .. وهي تبدأ بقصة تلكؤ الشيخ عيسى بن على عن اجابة طلب المعتمد البريطاني الميجر ديكسون عام ١٩٢٠ باحضار طائرة بريطانية الي البحرين تبقى فيها بصورة دائمة لنقل البريد منها واليهـا عبر امارات الخليج والبصرة .. فما كان من المعتمد الا أن طلب لقاءالشيخ قاسم وحده فالتقيا وهناك طلب منه المعتمد التدخل لدى الحاكم للتـأثير عليه لاجازة طلبه باحضار الطائرة الى البحرين ، فرفض الشيخ الطلب[1] لما لمس فيه من سبيل خفي يؤدى الي التدخل فى شؤون البلاد ، نتيجـة لخبرته وخبرة المثقفين من أهل البحرين آنذاك بطرق تسلل السـيادة البريطانية فى شؤون البلدان المحمية عن طريق الحصول على امتيـازات جديدة فى تلك البلدان ، مما جعل الشيخ يعتقد ـ لبعد نظره وفراسته ـ انه قد يتوصل الانكليز عن طريق ذلك الي الحصول علي قاعدة جـوية فى البلاد .. ليكون عن طريقها السيطرة التامة عليها وعلى ملحقاتها التى قد تكون بعيدة عنها كجزر حوار مثلا ، وما يخشى منه كذلك علي صناعة الغوص فى مياه البحرين الاقليمية ، وعلى تجـارة البحرين الخارجيـة ، التي كانت قوية آنذاك . وأن كل من له المام وتقييم صحيح لحـركة الاستعمار آنذاك .. وفى مناخ كمناخ أهل البحرين عبر صراعهم فى تلك الفترة ضد التدخل الانكليزى فى شؤونهم الداخلية .. بأمثال الحصول علي امتيازات من أمثال تلك الوسائل التي هى حق يراد به باطل لايسعه الا أن يتوصل الي ما توصل اليه الشيخ من قناعات .. مما حدى بالشيخ فى لقائه بالمعتمد أن يقطع عليه خط الرجعة باثارته موضوع يتعلق بحركة نقل البريد بكل أنواعه عبر امارات الخليج والهند والبصرة الذي كان وقفا آنذاك على شركة كرمكنزى . وهجومه العنيف عليهـا وقوله للمعتمـد البريطاني تلك الجملة القيمة العظيمة حيث قال فى ابتداء نقاشه معـه :

((اسمح لي فيما أبدى .. ان المنتمي للعلم له حرية الفكر فيما يبـدى فى الشريعة وقانون الدول ..)) فأقره المعتمد .

وتابع الشيخ رده علي طلب المعتمد مواصلا جملته العظيمة قائلا :

((.. البحرين فى أمن من الله الكريم باستقلال ملكها ، وما أقامه الله جل جلاله فيه من اتباع الحق بالشرع ، ولا بادية لها عليها تسلط ، بل ولا ذى

---

(١) راجع فصل (الشيخ المرجع والمستشار ..) باب (مباركة الشيخ لمشروع التعليم للحديث فى البحرين) .

امرة ، لكن من سوء المعاملة فى وكيل مراكب الحمال (اكريبال) ، فانعنده خدام فاقدين لخشية رب العالمين ، وذواتهم شريرة ، وكلهم من السفلة ، فهم يفتكون بالانتهاب من كل مال ينزل من الميل (١) فى سفنهم بغير سلاح ولا عدات حربية ، ولو سألت أو استلفيت (٢) مشتكى المنقوصين فى كل ميل لاستدعى بك الأمر الى الحيرة والحسرة »

فقال المعتمد : أمس تحقق عندى ذلك .

قال الشيخ : هذه قضية من ألوف .

قال المعتمد : سأعمل اقدامات (٣)

فقال الشيخ : نعم ان لم تصغ الى مجادلة (اكريبال) عنهم . .

كل ذلك وأكثر منه أبلغه الشيخ قاسم الي حاكم البلاد عيسى بن علي فى رسالة وجهها اليه بتاريخ ٢٤ ج ١٣٣٨/٢ وقال فى أولها :

« وقد قدر لي اجتماع بالباليوز (٤) بطلب منه حثيث ، وبعدالمجالسة والمؤانسة طلب أن أذاكر حضرتكم فى أمر قد ذاكركم فيه من اذنكم فىورود

---

(١) الميل : كلمة تعارف الناس آنذاك على اطلاقها على سفن البريد أو أى وسيلة لنقله والاصل هو الكلمة الانكليزية : MAIL

(٢) استلفيت : تتبعت ودققت

(٣) اقدامات : قضايا

(٤) الباليوز : أى المعتمد .. وهو هنا المعتمد البريطانى فى البحرين الميجر ديكسون عمل فى البحرين من عام ١٩١٨ حتى ١٩٢١ ، وهو من مواليد سوريا ويتكلم العربية بطلاقة وقد أصبح أثناء الحرب العالمية الأولى ضابط مخابرات فى الجيش البريطانى ، جاء الى البحرين من العراق بعد نهاية الحرب ، وفيها رسم الخطط في مقاومة الحركة الوطنيـة فى البلاد وطبقها .. فتحين له الوطنيون الفرصة أوائل عام ١٩٢١ وكان يومها مسافرا الى العراق لاحضار زوجته فشكوه الى حاكم البلاد عيسي بن علي بعريضة قدموها ضـده ، طالبوا الحاكم برفعها بتوثيق منه الى رئاسة الخليج فى (أبو شهر) بطلب تغييره ، فوافق الحاكم ورفع موافقته بتغييره مع العريضة الوطنية الى الرئاسة فجات موافقتها مننسختين واحدة الى الحاكم ، والاخرى الي نائب المعتمد آنذاك ويدعى خان بهادر صديق حسـن . فلما كان يوم قدوم المعتمد الى البلاد من العراق ومعه زوجته استقبله على ظهر البـاخرة التى أقلته كل من نائبه فى المعتمدية ونفر من أفراد الحركة الوطنية فى البلاد وفي مقدمتهم عبد الرحمن بن محمد الزيانى وعبد الرحمن القصيبي وهم يحملون نسخة الحاكم من موافقة رئاسة الخليج علي عدم استمراره معتمداً لبريطانيا فى البحرين ، واجتمعوا به فى صالون الباخرة فبادره عبد الرحمن محمد الزياني قائلا : يؤسفنا جدا ياميجر ديكسون أن تصل الحالة بيننا وبينك الي هذا الحد ، فسياستك الغير موفقة هي التى أدت الى ذلك . ثم أبرز له نسخة رفض اعتماده ، وقابلها نائبه صديق حسن بالنسخة الواردة لدار الاعتماد بعدها عاد ديكسون ادراجه علي نفس الباخرة الى العراق مرة أخرى .

طيارة لعجلة سيرها بالمكاتبات والمخابرات لما بالمـراكب من التعـويق ، فاعتذرته .. »

★★★

هذه بعض الردود المفحمة التى واجه الشيخ بها المعتمد البريطانى وفيها يبرز الشيخ قاسم واحداً من قادة الفكر المسلم الشجاع فى البلاد العربية .. فأى كلمات حرة شريفة تلك التي قذف بها الشيخ فى وجـه المعتمد البريطاني حين قال له : **« اسمح لي فيما أبدى .. فان المنتمي للعلم له حرية الفكر فيما يبدى ، فى الشريعة وقانون الدول »** .

انها كلمات فيها جوامع كلم .. وفيها فصل خطاب .. وفيها أيضا ايمان بحق الانسان فى التعبير عن آرائه بكل حرية .

كلمات يجب أن تكتب بمداد من ذهب وتعلق بصدر قاعة المجلس الوطنى فى البحرين ، فالشيخ يقرر هنا بحـق أن الشريعة الاسـلامية العظيمة قد كفلت للانسان حرية التعبير عن آرائه ، فلا حجر علىالفكر .. ولا اكراه فى الرأى ، ثم جاءت القوانين الوضعية الدولية الحديثة تؤكد ذلك ..

لقد كانت كلمات الشيخ حق أريد بها حق ، مما حدى بالمعتمـد البريطاني أن يقر الشيخ عليها ، فكل الذين من أمثاله كانوا مستعدين للاقرار بها والاعتراف بها .. كان ذلك بديهياً دون أن يسألوا عن تنفيذها الذى كان لايجيء الا لصالح الاستعمار . الا أن اقرارها هنا من معتمـد بريطاني يمثل دولة فى عز عنفوان استعمارها ، وفى بلاد صغيرة ضـعيفة كالبحرين ، وأمام ممثل شريعة أهل البلاد فيها فانه يعبر عن انتصـار لفكر الشيخ قاسم .

ويضيف الشيخ الي كلماته الحرة تلك .. كلمات حرة أخرى فيقول للمعتمد : **« ان البحرين فى أمن من الله الكريم باستقلال ملكها ما أقامه الله جل جلاله فيه باتباع الحق بالشرع ولا بادية لها عليها تسلط ، ولا ذى امرة »** .

فأى كلمات حرة شجاعة أيضا قذف بها هذا الشيخ ــ بشـجاعة العالم العامل ــ فى وجه ممثل سلطة الحماية البريطانية ، وهي فى سورة عنفوانها الاستعمارى السلطوى اذ ذاك فصدعه بها .. انه يقرر هنا ويؤكد

استقلال البحرين استقلالا كاملا كحقيقة واقعة فهو يقرر ما معناه :

أولا : أن بلاد البحرين مستقلة .

ثانيا : ليس بالبحرين صحارى شاسعة بها بوادٍ متعددة ..

ثالثا : ليس هناك من ينازع حاكم البلاد السلطة علي بلاده كلها ..

لذلك كله لا تحتاج البلاد الي طائرة ، فليس هناك من ينوى الاعتداء عليها لصده باستعمال هذه الطائرة . والبلاد لا تحتاج لها الآن لانه ليس بها صحارى شاسعة بها بواد كثيرة لاستعمال الطائرة للتنقل خلالها (١) .

اما رصد الشيخ قاسم لحركات وتصرفات شركة (كريمكنزى) السيئة فكان كافيا للكشف عن أوضاعها وتعريتها ، ثم الضغط على المعتمد البريطاني الا يصغى الى دفاع أصحابها عنها وعن موظفيها السيئى السمعة. وتلك لعمرى شهادة عمرها ستة عقود من السنين تضاف الى شهادات الادانة الكثيرة ، لهذه الشركة فيما اقترفت يداها من استغلال شعب الخليج كله .

المرحلة الرابعة والاخيرة

حين سحبت سلطة الحماية فى الخليج الميجر ديكسون من البلاد بناء على رغبة الحاكم المعززة برغبة أصحاب الحركة الوطنية فى البلاد كما أسلفنا فى التعريف بالميجر ديكسون .. سحبته وهي تضمر الانتقام والنيل من أهل البلاد لاجماعهم على رفضه ، اذ بعثت لهم بالميجر « كى . سي كلايف ديلى » من العراق أيضا .. ومن عينة الميجر ديكسون نفسها التى فى دوائر المخابرات البريطانية .

---

(١) أما حين زالت الاسباب فقد رحب أهل البحرين بقدوم الطائرات .. وليست طائرة واحدة فقط ، وذلك ابتداء من منتصف العشرينات . فقد ذكر الاستاذ أحمد الشيراوى أن الميجر ديلي المعتمد البريطانى آنذاك أمر بتسوية قطعة أرض في منطقة (عالى) لهبوط الطائرات .. فجاءت طائرتان صغيرتان من البصرة وحطتا هناك وقد اجتمع لرؤيتهما خلق كثير ثم ركبهما بعض أفراد الاسرة الحاكمة فذهبتا بهم الى القضيبية . ولقد تكرم الاستاذ سالم عبد علي العريض باطلاعنا على رسالة جاءته من زميله فى تجارة اللؤلؤ التاجر الفرنسي (دافيد بننفيلد) يقول له فيها أنه كان فى الخليج ابتداء من عام ١٩٢٥ ، وانه فى ١٩٢٧ كان فى البحرين وطلب من شركة طيران الامبراطورية البريطانية آنذاك في البصرة أن ترسل له طائرة خاصة الى البحرين لتقله الى البصرة ، فكان آن جاءت الطائرة وحطت بالقرب من قصر الحاكم بالقضيبية ، فتجمع خلق كثير لمشاهدتها ، ومن ثم ركبها هو وتاجر اللؤلؤ الكبير محمد علي زينل واتجهت بهم الى البصرة ، وكان ذلك فى سبتمبر عام ١٩٢٧ .

جاء ديلي الى البحرين وبدأ بسلسلة اجراءات سلطوية أصبحت اجراءات سلفه ازائها لا تعد شيأ مذكوراً .. فبدأ بانشاء أول جهاز سرى للمخابرات فى البلاد ، كانت أول باكورة أعماله تلك الفخاخ التي نصبت للشاعر قاسم محمد الشيراوى والاستاذ حافظ وهبه فنفي الأول الى الهند ونفي الثاني الى الكويت فى عام واحد .

ومع مجيىء ديلي وبدء اجراءاته التعسفية بدأت المرحلة الرابعة من دور الشيخ قاسم فى الحركة الوطنية ، غير أنه لم يكن للشيخ نشاط يذكر فى أول هذه المرحلة سوى قيامه بمحاولة افشال محاولة ديلى لنفى الشيخ حافظ وهبه التى لم تنجح . والتى اعتبرها حافظ اسهاما من الشيخ قاسم فى تجريمه (١) نتيجة لجهله بطبيعة عمل الشيخ في مجال السياسيين الانكليز (٢) ، وكيف كان يحاورهم ويداورهم بطريقة يظهر فى بعضها للناظر بسطحية أن الشيخ يتعامى ويتصامم عن تصرفاتهم بينما هو يتعامل معهم علي أساس أنه قاض واع بشؤون مهمته ، ومنها بقائه علي الحياد .. وبهذه الطريقة بقي مرفوع الجانب محترم المقام من جميع السياسيين البريطانيين طيلة حياته ، مما استطاع بدهائه الفذ أن يوظف هذه الميزة لصالح مواطنيه .. فكم تدخل لدى هؤلاء السياسيين فى مظلمة لأحد مواطنيه فتركت له ، وكم كتب اليهم فى اخراج أجنبي مضر باخلاق البلاد ومصالحها فأخرج (٣) . وما نقاشه مع الميجر ديكسون بشأن شركة كريمكنزى وتشكيل هذا الاخير قضايا ضدها كما سبق ، وما تدخله لدى المعتمد ديلي لاطلاق أحمد بن حسن الدوسرى فأطلقه كما سيجيىء الادليلان من أدلة كثيرة على رفعة جانب الشيخ قاسم نتيجة تعامله الذكي ـ الذى خفي على الشيخ حافظ ـ مع أولئك السياسيين البريطانيين .

وحين ندخل فى التفاصيل الدقيقة لهذه المرحلة من دور الشيخ الوطني نجدها أغني المراحل وأخصبها ، وسنستعين هنا بنصوص أربع رسائل للكشف عن خصائصها .. منها ثلاث من الشيخ قاسم وواحدة اليه ، بينما تقع رسالتان من رسائل الشيخ ضمن رسالة واحدة وبصفحة واحدة .

لقد اخترنا هذه النصوص مما وقع بأيدينا من تراث الشيخ .

---

(١) راجع فصل بين الشيخ قاسم وحافظ وهبه ، باب (ما وقع بينهما من الخلف)

(٢) كان ذلك قبل أن يعمل مستشاراً للملك عبد العزيز بن سعود بعام ونصف ، وقبل أن يمارس العمل السياسى نتيجة لذلك .

(٣) سنوفى هذا الموضوع حقه في الجزء الخاص برسائل الشيخ وتقاريره .

بين رئيس الخليج والشيخ قاسم

وحسب التسلسل التاريخي فيما نحن فيه من الكشف عن خصائص هذه الرحلة كما اسلفنا ، تأتي الرسالة المهمة التي بعث بها رئيس الخليج كرنل ناكس الى الشيخ قاسم بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٢٣ وفيما يلي نصها :

((من كرنل ناكس أس. جي .ناكس. سي .أس. أى. سي. أى . اى رئيس خليج فارس الى جنـاب الاجل الاكرم المكرم حضرة العالـم الفاضل الشيخ جاسم بن مهزع رئيس القضاة فى البحرين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام . بعده قد وصلنـي كتابكم المكرم فشكرة(١)حضرتكم لبيانكم عنكم ولكنني تكدرة(٢)عندمابلغني عن انحراف مزاجكم وعيونكم لكنني أحببت الاجتماع مع حضرتكم فى المجلس العمومى لكى تكتبون وتنشرون الى العموم انه بسبب عدم استطاعة سعادة الشيخ عيسى بن علي الخليفة لادارة شئون الحكومة فنظرا لخير العمـوم الدولة البهية رأت من المناسب استراحة سعادة الشيخ عيسى من ادارة شئون الحكومة ولكى يكون مستريح (٣) ومسرورا تحولت شئون الحكومة اى حكومة البحرين لولى عهده وولده الشيخ حمد . ومن الان وصاعد (٤) سعادة المشار اليه الشيخ عيسى لا يتدخل فى أوامـر الحـكومة لذلك قصد محبكم أن يتذكر حضرتكم فى خصوص وضائف (٥) القضاة وترتيب لقدمات (٦) الشرعية انه سوى حكومة البحرين الذى هو الشـيخ حمد ومعتمد الدولة البهية ما لأحد مجاز أن يراجع . أن تنتقل المقدمات الشرعية الى محكمة القضاة . وكذلك القضاة يمعنون النظر فى المقدمات التى (٧) ترسل اليهم من غير أوامر الحكومتين الا اذا كان الخصمان راضيان بانفسهم أن يحضرون (٨) امام محكمة الشرعية (٩) .

هذا ما لزم وفى الختام اقبلوا فائق سلامي تحريرا فى ٢٥ مي سنة ١٩٢٣ مطابق فى ٩ شوال سنة ١٣٤١ .

كرنل. أس. جي. ناكس رئيس
الخليج

---

(١) كذا في النص والصواب : شكرت
(٢) كذا فى النص والصواب : تكدرت
(٣) كذا فى النص والصواب : مستريحا
(٤) هكذا فى النص والصواب : وصاعدا .
(٥) هكذا في النص والصواب : وظائف .
(٦) هكذا فى النص والصواب : المقدمات .
(٧) هكذا فى النص والصواب : التى
(٨) هكذا فى النص والصواب : يحضرا .
(٩) هكذا فى النص والصواب : المحكمة الشرعية

هذه هي رسالة رئيس الخليج الى الشيخ قاسم بكاملها .. وهي تعبر عن تلك النظرة الاستعمارية التى اتصفت بها بريطانيا فى عز عنفوانها السلطوي ، وعن طرقها الماكره فى التسلل الاستعماري البغيض . والرسالة ركيكة الصياغة سيئة التعبير .. توحي بأن كاتبها غير عربي .

فى افتتاحية الرسالة يشكر رئيس الخليج الشيخ قاسم على رسالته الاخيرة ، ويقول انه ساءه انحراف صحة الشيخ ، وما ألم بعينيه من مرض ، ثم يدخل مباشرة فى موضوع رسالته الى الشيخ ، فيقول أنه يود أن يجتمع بالشيخ فى مجلسة العام ، حتى يكتب هذا الاخير اعلانا ، ويصدره للناس معلنا فيه عزل الحاكم الشيخ عيسى بن علي والاجراءآت القضائية الجديدة ، ولايكتفي رئيس الخليج بذلك تاركا صيغة هذا الاعلان للشيخ نفسه كأبسط الاشياء فى الاستقلاليه القضائية ، بل يتعالى ويحاول أن يفرض صيغة من عنده لهذا الاعلان قائلا : « .. أنه بسبب عدم استطاعة سعادة الشيخ عيسى بن علي الخليفة .. » الى آخر الفقرة المتعلقة بعزل الحاكم، وآخر الفقرة المتعلقة بالاجراءات القضائية الجديدة المترتبة على قرار العزل .

لذلك فهو يقول أن على الحاكم السابق الا يتدخل فى شؤون الحكم فى البلاد ، ولذلك فلا يحق له التدخل فى شؤون القضاء ، ويريد من الشيخ قاسم أن يعلم مجددا أن حكم البلاد أصبح ثنائي بين الشيخ حمد ومعتمد الدولة البريطانية ، فيقول : « أنه سوى حكومة البحرين » ، الذى هو الشيخ حمد ، ومعتمد الدولة البهية ، مالأحد مجاز أن يراجع .. » الى آخر ما رسمه من خطة جديدة مفصلة للاجراءات القضائية الجديدة . والتى يراد من وراء تنفيذها نزع السلطة القضائية من القضاء الاهلي فى البلاد الذى كان التشريع الاسلامي مصدره الوحيد .

(طلبات الرئيس)

هذا ما تعنيه هذه الرسالة .. ونستطيع أن نحدد أهدافها ومراميها فى البنود التالية : ـ

أولا : الطلب من رئيس القضاة الذى هو الشيخ قاسم الموافقة على الاجتماع برئيس الخليج الذى هو كرنل ناكس فى مجلس الشيخ .. فى فترة من أحرج الفترات التي مرت بالبحرين .. فترة لم يمر فيها سوى يومين على مجييء رئيس الخليج للبلاد من (أبو شهر) ، واعلانه فيها عزل الحاكم عيسى بن علي وتعيين ابنه حمد مكانه ، وهذا الطلب لو تم لكان فيه تأثير ايجابي لصالح رئيس الخليج لأنه يكون قد استطاع أن ينحاز

بالشيخ الى جانبه .. ومن ذلك ما فيه من تأثيرسيىء على السمعة الوطنية الطيبة للشيخ . كذلك فان فيه تأثير تعويقي كبير على مسيرة الحركة الوطنية بالبلاد .. عبر مناخ الرفض الكبير للاجراءآت البريطانية الاخيرة .

ثانيا : الطلب من الشيخ قاسم أن يصدر بيانا رسميا من مكان الاجتماع الذى هو مجلسه العام والذى يفترض أن يكون به بعض الحاضرين من زواره .. أن يصدر ذلك البيان فيعلن فيه أمامهم ماحدث ، ثم يصدره كمنشور يعمم عن تلك الاجراءات البريطانية التعسفية الاخيرة ، حتى يؤمن ذلك التصرف من الشيخ قاسم الشرعية الاهلية الموثقة لتلك الاجراءات التعسفية .

ثالثا : الطلب رسميا من الشيخ قاسم عدم اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا وحيدا للقضاء بين الناس فى البحرين ، ويبلغه أن حكومة البحرين الثنائية الجديدة .. وهي الجهة الوحيدة التى تجيز تشكيل الدعاوى وسماعها ، ورفعها الى أي جهة قضائية ...

كذلك يحق للقضاة المدنيين الذين كانت نية سلطة الحماية معقودة على تعيينهم فى المستقبل عبر ما كان فى نيتها أيضا من استحداث نظام جديد للقضاء فى البلاد ، يكون بديلا للقضاء الشرعي الاسلامي .. أجل يحق لهؤلاء القضاة المدنيين المزمع تعيينهم النظر فى القضايا التي ترفع اليهم من المحكمة الشرعية ، التى يمثلها الشيخ قاسم وحده آنذاك وهو عين ما تعنيه بالضبط الجملة التالية من كتاب كرنل ناكس الى الشيخ :« وكذلك القضاة يمعنون النظر فى المقدمات التى ترسل اليهم من غير أوامر الحكومتين الا اذا كان الخصمان راضيان بأنفسهم أن يحضروا أمام محكمة الشرعية (١) » . فهل هناك جهة تستطيع ـ آنذاك ـ سماع أي قضية لم ترسل اليها من جهة رسمية .. أى ما يعبر عنه رئيس الخليج بقوله : « من غير أوامر الحكومتين » غير محكمة القاضي الشيخ قاسم ، التي كانت آنذاك هي الجهة التشريعية والتنفيذية الوحيدة بعد جهة الحاكم المعزول ؟ .

اذن .. فكل هذه الاجراءات القضائية الجديدة التى طلبت سلطة الحماية على لسان رئيس الخليج أن يعلنها الشيخ قاسم ـ كل ذلك ـ كانت لتقليص نفوذ التشريع الاسلامي فى البلاد . والذى يمثله الشيخ قاسم

---

(١) راجع نص الكتاب وتصويباته ص ٧٤ .

ومحكمته . وهذا ما كان يهدف اليه دهاقنة الاستعمار والتبشير في كل أرض مسلمة وطؤوها .. أووقعت تحت نفوذهم ، وهذا ما توضحه أيضا جملة رئيس الخليج التالية : « الا اذا الخصمان راضيان بأنفسهم أن يحضرون أمام محكمة الشرعية (١) » .

فرئيس الخليج يريد أن يقول : أنه عليك ياشيخ قاسم منذ اليوم أن تعلن لأهل البحرين أن المصدر الرئيسي للتشريع القضائي فى البلاد ليس هو الشريعة الاسلامية ، انه منذ اليوم سيكون قانون المستعمرات البريطانية . ولكن الدولة البريطانية البهية ! رأت من باب الانسانيةوالحرية أن تتكرم فتسمح لسكان محميتها البحرين أن يتحاكموا الى الشريعة الاسلامية اذا هم رضوا بذلك .. ولم يقل رئيس الخليج ، ولن يقول أبدا .. مثل هذه الجملة الأتية : « .. الا اذا كان الخصمان راضيين بنفسيهما أن يتحاكما الى قانون المستعمرات الانكليزي .. » أو والى أي قانون غير التشريع الاسلامي .. أو أي جبت أو طاغوت وقد أمروا أن يكفروا بهما ... » .

لايمكن أن يقول رئيس الخليج ذلك .. بسبب أن قانون المستعمرات القضائى الذى أصبح يمثله المعتمد البريطانى الميجر ديلى فى ثنائيته فى السلطة التشريعية والتنفيذية مع الحاكم الجديد ــ هذا القانون ــ هو القانون المدني الذي فرض على البلاد بعد اجراءات مايو الاستعمارية الجديدة فيها (٢) .

اذن فليس لأهل البحرين ملاذ بعد اجراءات مايو الاخيرة ــ ولا محيص الا محكمة الشيخ قاسم التى أصبحت صلاحياتها بموجب الاجراء القضائى الجديد تقتصر على الحكم فيما تقدم لها الحكومة الجديدة من قضايا لاتتعدى فى كثير من الاحيان الاحوال الشخصية للمسلمين الا قليلا .

ثم ترفع أحكامها الى محكمة ثنائي الحكم الجديد فى البلاد (٣) .

---

(١) راجع نص الكتاب وتصويباته .

(٢) وهذه البحرين مغلولة ... يقودها الغرب الى حفرته
والكل فى منصبه آلة ... يديرها (الباليوز) من سدته
مجالس الأعمال اسمية ... لا تصدر الحكم بلا رغبته
ومصدر العدل وقانونه ... من فكرة (الباليوز) أو حكمته

خالد محمد الفرج/١٩٢٧

(٣) لقد كان من المعروف ان المعتمد البريطاني ــ آنذاك ــ الميجر ديلى كان هو الحاكم الفعلي للبلاد وان الثنائية فى الحكم كانت شكلية حتى غادر ديلي هذا البلاد فى أغسطس عام ١٩٢٦ فخلفه فى مهمته تشارلس بلكريف .

(رد الشيخ السلبى ..)

هذا أهم ما تعنيه طلبات رئيس الخليج من رئيس القضاة فى البحرين وما ترمي اليه تلك الطلبات .. أو بالاحرى الاوامر ، من مقاصد وأهداف . لا نقول اننا اعطيناها حقها من الدراسة ، ولكننا استطعنا حصرها لاعطاء فكرة موجزة عنها .

فماذا كان رد فعل الشيخ قاسم ازاء هذه الطلبات .. والاوامر ؟

هل التقى برئيس الخليج ، وهل اجتمع معه فى مجلسه العمومي ؟

وهل أصدر بيانا للناس حسب ماطلبه رئيس الخليج فى كتابه اليه ؟

يقول بعض تلامذة الشيخ المقربين اليه .. وبعض جلسائه ..

« أن الشيخ قاسم كان مريضا اثناء وصول رئيس الخليج الى البحرين .. ولكن مرضه كان خفيفا بحيث لم يكن يمنعه عن سماع بعض القضايا .. » لقد ذكر الشيخ شيئا عن مرضه ذاك مسبقا لرئيس الخليج . لكن هذا الأخير لم يقم لذلك أي اعتبار وأرسل بطلباته عبر كتابه السالف الذكر الى الشيخ ، غير أن هذا لم يقم بأي عمل ايجابى لصالح رئيس الخليج ، فكل من عايش الشيخ في تلك الفترة من اقربائه وجلسائه الدائمين .. أجمعوا على انه لم يتصل برئيس الخليج أثناء فترة مجيئة لعزل الشيخ عيسى بن علي عن الحكم .

وقد غادر البحرين بعد تلك الفترة القصيرة ولم يزر الشيخ ، ولذلك فان الشيخ لم يقم بزيارته . فالشيخ فى تلك الفترة لم يغادر بيته أبدا لان حالة الاضطراب فى البلاد كانت موجوده ، ولان الشيخ كان يعانى من حزن شديد على تنازل الشيخ عيسى بن علي عن الحكم تحت ضغط الميجر ديلي وكرنل ناكس .

كذلك لم يذكر أحد من هؤلاء المقربين وهم عشرات أنهم علموا أو سمعوا باعلان أو بيان من الشيخ عن ذلك الحدث . بل على العكس من ذلك .. كان عدوا للانكليز وان كان يظهر لهم غير ذلك فى بعض الحالات . اذن فلقد استعمل الشيخ قاسم فراسته وذكاءه المشهود له بهما فاستنتج من سير أحداث شهر مايو ١٩٢٣ ومن وجود رئيس الخليج الطاريء فى البلاد أنها ليست فى صالح البلاد ولا حاكمها ولا الحركة الوطنية فيها ، وأنه ربما يكون البابا الذى سيبارك الاجراءات الاستعمارية الجديدة من الانكليز . أو انه سيكون السلم الى الشرعية الأهلية لتلك الاجراءات ان استطاع الانجليز أن يستعملوه لها . فاشاع أنه مريض ، وشرع يكتب بذلك الى رئيس الخليج حتى يشعره هو ومن خلفه مقدما أنهم لن

يستطيعوا أن يعتمدوا عليه فى مساعدتهم فى اجراءاتهم الجديدة فى البلاد، مثل الفاء منصب امارة المنامة مثلا والاستعاضة عنها بدائرة للشرطة .. لهذا لم يكن فى وسع رئيس الخليج أن ينال من الشيخ قاسم أي توثيق شرعي أهلي على اجراءاته الاستعمارية الجديدة (فجمع فريقا من الناس وأعلن فيهم تلك الاجراءات (١) والسؤال ـ لماذا اختار الشيخ قاسم هذا النهج السلبي فى مقاومة هذه الاجراءات الاستعمارية الجديدة . وهو ذو الدور الوطني الكبير فى الحركة الوطنية ـ كما أسلفنا فى ذكر أقله ، وكما سنجيىء بذكر اكثره فى الصفحات المقبلة ؟

والجواب فى هذا الصدد شبه معروف أو يكاد .. فالشيخ ما كان ليستطيع مجابهة سلطة الحماية البريطانية بخيلها ورجلها .. أذ لو جابهها لكان مصيره مصير حاكمه المعزول ، ولما استطاع أن ينقذ ما يمكن انقاذه ـ كما سيجيىء ـ وهو فى غير مركزه القوي ، وقد حيل بينه فى الاتصال وبين الرسميين الجدد من أهل البلاد فلا يتمكن ـ وهو ذو التأثير الناجع ـ أن يوجههم لما فيه خير بلادهم . ولما استطاع أيضا فى النهاية أن تكون له سعة فى التحرك لمناصرة الحركة الوطنية فى العمل ضد الاجراءات الاستعمارية الجديدة ، كما سياتي ..

هذا ما فعله الشيخ قاسم أثناء تنفيذ تلك الاجراءات .. بوجود رئيس الخليج فى البلاد . كان موقفه سلبيا كموقف جميع فئات شعب البحرين خلال تلك الفترة الحرجة الوجيزة التى قدرت بثلاثة أسابيع .. لكنه حتى فى موقفه هذا انتصر .. فلم يعط الدنيه فى دينه وقومه للانجليز .. كما تقدم . فماذا كان يستطيع أن يعمل وقد اضطر الحاكم تحت الضغط والتهديد الانكليزى أن يتنازل عن الحكم وهو أعلى سلطة فى البلاد ، ماذا كان يستطيع أن يفعل هو أو شعب البحرين أو حتى أصحاب الحركة الوطنية .. وهم فيما يشبه الذهول خلال تلك الاسابيع الثلاثة .. ماذا كانوا يستطيعون وقتها أن يفعلوا ضد تلك الاجراءات .. وقد جاءهم الخذلان من حيث لا يعلمون حين ذاعت فيهم كلمات حاكمهم المعزول ـ وقد تعرض للضغط والتهديد ـ فقال يخاطب رئيس الخليج : ((أكتب لي **خط رسمي على عزلي** ..)) . ومع ذلك فقد ظل عامتهم غير مصدق لما حدث .

---

(١) ملوك العرب ص ٢٦٤ للريحانى طبع بيروت ١٩٥١ .

فماذا فعل الشيخ قاسم خلال هذه الفترة الحرجة الوجيزه من تاريخ البلاد ؟ لقد أمضى الشيخ تلك الفترة فى سماع بعض القضايا القليلة جدا .. فدفتر تقاريره يشير الى أنه سمع وقتها أربع قضايا حقوقيه ، واحدة مرفوعه من الحاكم المعزول ـ مرسلة تجاوزا ـ وثلاث مرفوعة من الحاكم الجديد . بينما أمضى بقية وقته فى كتابة ثلاث رسائل شخصية الى الحاكم المعزول ، ورسالة الى الملك عبد العزيز ابن سعود ، وأخرى الى حاكم الكويت آنذاك الشيخ احمد الجابر الصباح . وهما رسالتان تتعلقان بما شجر بينهما بشأن المرسوم الجمركية التى فرضها الملك على البضائع التى تدخل من الكويت الى بلاده .

وكما قلنا سابقا ان الشيخ قاسم لم يشأ ان يجابه عاصفة الاجراءات الاستعمارية الجديدة ، والا لكان قد جرفته كأقوى معقل للسيادة الوطنية بعد الحاكم المعزول ، لذلك فقد استطاع الابقاء على هذا المعقل ممثلا فيه كرئيس للقضاة ولو بصورة مظهرة عن الاصل .. حتى خروج المعتمد البريطاني الميجر ديلى من البلاد فى اغسطس عام ١٩٢٦ وأن كان ديلي هذا هو الذي خطط لتلك الاجراءات ونفذها وأن استعمل رئيس الخليج آنذاك فى أهم مراحلها كما أسلفنا .

وخلال سنوات ثلاث وأربعة أشهر ، وهى كل المدة التى خلت بين عزل الحاكم عيسى بن على وبين خروج ديلى من البلاد ، ونتيجة لتصرفات الشيخ قاسم الحكيمة ازء هذه الاجراءات لم يتمكن ديلى ولا أعوانه من ازاحة الشيخ من طريقهم . لكن يظهر أن ديلى كان يخطط لذلك عندما فاجأه الشرطى الشهيد اسماعيل البلوشى فأطلق عليه الرصاص فنزع احدى صدفتى أذنيه وأصابه بجروج أخرى غير مميته . فأوصى ديلى تشارلس بلكريف بتنفيذ ما كان يخطط له ،فاستطاع هذا أن ينفذه فى الشيخ قاسم عبر سلطة الحكم المحلى بعد عشرة أشهر من خروج ديلى من البلاد (١) .

اذن فماذا فعل الشيخ قاسم فى هذه المرحلة حتى يكون له دور وطنى خصب فيها ـ كما أشرنا فى مقدمتها ـ وقد شاء أن لايجابه عاصفة تلك الاجراءات الاستعمارية الجديدة .. ؟

---

(١) راجع (فصل الشيخ بين القضاء والاعتزال) باب (لقاءان مثيران) .

الرد العملى ..

بعد ان انكسرت حدة العاصفة بدأ الشيخ عمله فى هذه المرحلة فقام بتاريخ الحادى والعشرين من يونيو عام ١٩٢٣ بزيارة الميجر ديلى بدار الاعتماد البريطانى ، وهناك تحدث معه وانتقد ما أقدمت عليه دولته بواسطته هو من عمل سىء فى البلاد بعزل حاكمها الشرعى ..
فرد ديلى بكلام نسب فيه الى الحاكم المعزول قوله : ان البحرين لاتوازى عنده سيجارة . وان ديلى نفسه قال للشيخ أنه ما نقم على الحاكم الا حين تفوه بهذه الجملة التى استطاعت أن تغيض رئيس الخليج نفسه ، فكانت عاملا مهما فى اتخاذ اجراءات العزل (١) ويدافع الشيخ عن أميره المعزول فيقول من خلال ذلك : **(انه ليس من المعقول فيمن هو فى رجاحة عقل الحاكم أن يقول ذلك .)**

وحين لم ير الشيخ فائدة من رده فى ذلك على المعتمد عرج الى الدفاع عن أحمد بن حسن الدوسرى أحد المعتقلين من أعضاء الحركة الوطنية فيطالب ديلى باطلاق سراحه فلا يجوز أن يعتقله ثم يغرمه قبل أن تثبت ادانته ، ويقول لديلى أن عمله هذا ليس تصرفاً يوجبه العقل أو العدل ..

غير أن هذا يعتذر من الشيخ فى الرد على ذلك ويحيله الى الحاكم الجديد الشيخ حمد بن عيسى الخليفة فيقول : أن الامر من اختصاص الحاكم الجديد حتى يظهر للشيخ أنه برىء مما لحق ويلحق أصحاب الحركة الوطنية فى البلاد من أذى على يديه .

وليدلل على ذلك طلب من الحاكم الجديد أن يتصل بالشيخ فما كان من الحاكم فى اليوم التالى الا أن ذهب الى الشيخ قاسم وهناك باداه الشيخ بالحديث عما استوجبه الله على الابن لأبيه ..

وطبيعى أن الشيخ قاسم توسع فى الحديث مع الحاكم الجديد عما أصاب البلاد من تدخل الانكليز فى شؤونها الداخلية .. وقد رد الحاكم بكلام لطيف وأفصح عما فى دخيلته من نية حسنة . ولكن الشيخ قال له أن الاعتماد على التطبيق لا على الوعود .

كل هذا هو ما قاله الشيخ قاسم فى رسالته الشخصية الى الحاكم المعزول بتاريخ ذى القعدة ١٣٤١ عن زيارته تلك للميجر ديلى .. فلنقرأ

---

(١) صدق كلام ديلى هذا يأتى من نقل الشيخ قاسم له وتأكيده .. والا فان الاسباب لاتخاذ هذه الاجراءات الاستعمارية عام ١٩٢٣ فى البحرين كثيرة ومهمه وليست فى مستوى السبب الذى نقله الشيخ عن ديلى .. وهذه أفانين من التضليل الاستعماري .

الآن نص ذلك كاملا فى الشق الاول من أول رسالة بعث بها الشيخ الى الحاكم بعد عزل هذا الأخير بشهر واحد . قال الشيخ :

« وأسنى سلام الاسلام يحف شيخنا وبركتنا فى بلاده الأجل الشيخ عيسى بن علي الخليفة . رجائى من ربى أن يحفكم بالطافه ، ويمدكم بنفحاته التى لا تخطر ببال مخلوقاته . وقبل أمس مضيت للباليوز وتبرعت بكلام شرع الله يوجب على من اتصف بالعلم أن يقوله . فنسب عن حضرتكم مالا يقتضيه عقلكم المعهود منكم من قولكم أن البحرين عندكم ما تساوى جكارى، وجعل ذلك القول حجة لبغية وبغى رئيسه .

ثم كلمته أن حجر أحمد الدوسرى قبل استبانة الحجج المستوجبة لحجره ، بل وتغريمة ليس من نتاج العقل ، ولا من مظهر العدل ، وأحالنى على نجلكم الشيخ حمد فجائنى الشيخ حمد أمس فكلمته قبل كلامه بما أوجب الله لحضرتكم عليه ، وأنه لا يستقيم دينه ولا تستقيم دنياه الا برضاكم عنه ، بجميل من الكلام . فأبدى قولا ظاهره جميل ، فقلت لـه المدارات على الأعمال ، وأخبر عن نيته وطويته بكلام يحققه الله منه .. »

هذا هو الشق الاول من رسالة الشيخ قاسم هذه .. اذ أنها تتألف من شقين منفصلين ، فالاول كما أثبتنـاه آنفاً هو تبليغى اخبـارى .. فالشيخ يبلغ فيه الحاكم المعزول ما قام به فى اجتماعه بالميجر ديلى ، ثم اجتماعه بالحاكم الجديد ..

أما الشق الثانى الذى سنأتيه بعد قليل ففيه يعتب الشيخ عـلى الحاكم المعزول ضعفه وقلة حزمه أمام رئيس الخليج .. ويتألم لذلك كثيراً كل ما تذكر موقف الحاكم .. من ذلك الرئيس . ثم لا ينسى الشيخ وهو فى ذروة حزنه وأسفه لكل ما حدث أن يؤكد للحاكم المعزول لا لغيره .. ولاءه والاعتراف به حاكماً للبلاد رغم موافقته مضطراً لاستخلاف ابنـه بدله . ثم يتوجه اليه بنصائحه وتوجيهاته بصورة موجزة لما يتوجب عليه فعله فى هذه الفترة الحرجة .

فلنقرأ الآن ذلك بنصه فى الشق الثانى من رسالة الشيخ هذه حيث قال :

« وأما أنا يا قاضيك فقد ملات قلبى حسرة كلما أتذكرها تتجـدد على من قولك لرئيس الخليج اكتب لى خط رسمى على عزلى ، فأواه ، هلا قلت انى ملك مملكة آبائى التى ملكوها بسيوفهم ودمائهم .. حليف دولتى

بريطانيا وقررت على شروط ولا زلت مستلزماً بها متمسك ، فالمخاطبة بيني وبينهم في لندن عاصمتهم ، أفترضى بخمسة أسطر من موظف تنخلع من ملكك ، ولكنني افوض أمري الى الله ، ومئات من نصائحي أضعتها ، على انني أدين الله جل جلاله بموالاتك في ولايتك ، وعزلك .

ثم الآن انصحك في أيضا بالمداراة واجتماع الكلمة مع ولدك الذى استخلفته بنفسك ، ولاتتحامق ولا تعتب ، ولاتظهر ما في جوجاك من غضب ووافقهم على مسكن المصيف ، الا أن يكون لك وسائل ترجح عندك ان تكون لها نتيجة فحينئذ تتجه بتجافيك حتى يأتي الله بأمر من عنده بسبب تلك الوسائل والسلام عليكم » .

من قاضيكم ومنصوبكم قاسم بن مهزع

هذا هو الشق الثاني والاخير من الرسالة وفيه يعبر الشيخ قاسم عن أساه وألمه كلما مرت بخاطره ذكرى قول الحاكم عيسى بن علي لرئيس الخليج كرنل ناكس : « **اكتب لي خط رسمي على عزلى** » ، ويقول له أما كان الاجدر ان ترد عليه بأنك ملك هذه البلاد أبا عن جد .. وأن هناك اتفاقيات بينك وبين الحكومة البريطانية أنت ملتزم بها .

وينعى الشيخ على الحاكم ضعفه وقلة حزمه فيقول له : « **أترضى بخمسة أسطر من موظف تنخلع بها من ملكك** » ومع كل ذلك فالشيخ قاسم مع تسليمه لله بما جرى .. يذكر الحاكم بمئات النصائح والتوجيهات التى قدمها له في الماضى ولكن الحاكم أضاعها كما يقول الشيخ .

ومع كل ماحدث .. الا أن الشيخ لايعترف بتنحية الحاكم عن امارته ويؤكد له مرة أخرى ولاءه لحكومته فيقول : « **على أنني أدين الله جل جلاله بموالتك في ولايتك وعزلك ..** »

ثم لايبخل عليه بارشاده وتوجيهه فيقول له تمسك بالحلم ولاتثر اى خلاف مع ابنك الحاكم الجديد .. فقد قمت باستخلافه بنفسك ، سواء كان ذلك برضاك او بعدمه . وينصحه ان لايكون للغضب والطيش الذين يفرقان الكلمة لصالح الاعداء سبيلا الى قلبه . ويطلب منه كذلك ان يوافق الحكومة الجديدة فيما تعينه له من مكان للاصطياف فيه ، الا اذا علم ان لديه من الوسائل ما تمكنه من استرداد حقه في امارته ، عند ذلك قد يكون هناك جدوى في معارضتها .

والجديد في موضوع الاصطياف الذى ذكره الشيخ هو أن الحاكم المعزول كان يصطاف بقلعة الديوان (وزارة الداخلية الآن) فكان يتخذها

هى وما حولها من البرارى مقراً صيفياً لحكومته .. ولقد وقع الانقلاب على حكومته ولم يبق عن انتقاله اليها الا أياماً قليلة فاتخذها الميجر ديلى مقراً رئيساً للشرطة وجعل بها مكتباً عسكرياً له . فأصبح من المتعذر انتقال الحاكم المخلوع اليها للاصطياف ، لذلك فقد خيرته الحكومة الجديدة فى مصيف أخر غيرها فرفض .. وأصر على الرفض ، وبقى فى بيته المتواضع بالمحرق لا يغادره صيفاً أو شتاء .. حتى وافته المنية فيه عام ١٩٣٢ .

الاستنتاج

نستنتج مما جاء فى رسالة الشيخ قاسم هذه الى الحاكم المخلوع عدة شواهد تثبت ما للشيخ من دور وطنى أصيل فى رفض الاجراءآت الاستعمارية الجديدة فى البلاد ، وهى بالتسلسل كالاتى :

أولا : رفض الشيخ قاسم تلك الاجراءآت الاستعمارية الجديدة فى البلاد .. كان من اول يوم لتنفيذها ، فلم يكن ليرفض طلبات رئيس الخليج كما أسلفنا فحسب ، بل كان يعمل من أجل الغائها أو احباط ما يزمع ديلى تنفيذه من جديد التدخل فى شؤون البلاد . فجاء اليه وكلمة فى عدم شرعية عزل الحاكم عيسى بن علي الذى كان قد خضع لتجريد بطىء من سلطته منذ وطئت رجل الميجر ديلى البلاد عام ١٩٢١ فما كادت تلك الفتنة الكبرى التى أثارها عملاء ديلى بين النجديين وأهل فارس تجىء فى مايو من عام ١٩٢٣ الا والحاكم قد أصبح بسبب ذلك التجريد .. لا يقوى على وأدها فى مهدها ، فقيادة الشرطة لم تكن تخضع له ولا تأتمر بأمره ، انما كانت تأمر بأمر . رئيس بلدية المنامة خان بها دور محمد شريف قطب الدين (١) أما الطائفتان طرفاً النزاع فكانتا تخضعان آنذاك بكونهما أجنبيتان لسلطة الحماية البريطانية فى البلاد . كل ذلك ومثله من قبل .. اتخذه ديلى ذريعة لخلع الحاكم .

ثانياً : ما كان من اعتقال أحمد بن حسن الدوسرى وهو من افراد الحركة الوطنية فى البلاد ، وأمير رؤساء قبيلة الدواسر التى ثارت من أجل عزل الحاكم وطالبت بعودته الى الحكم فلما أراد الميجر ديلى غزوها فى عقر دارها البديع لم تمكنه وهاجرت الى المنطقة الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، وقد تكلم الشيخ قاسم فى عدم شرعية اعتقال رئيسها لكونه هو وقبيلته قد انتصرا لحاكم البلاد لا لعدو يريد غزوها .. وقد أفلح الشيخ فى ذلك فأطلق ديلى سراح المعتقل ..

---

(١) راجع ملوك العرب للريحانى أمين ص ٢٦٥ ج/٢ .

ثالثاً : بروز الشيخ بوضوح تام فى معارضة للاجراءآت الاستعمارية الجديدة فى البلاد ، مما جعل الميجر ديلى يحس أن وراء ذلك عملا مهماً يقوم به الشيخ لصالح الحركة الوطنية فى البلاد ، فقد تحاشى التحدث معه بتوسع فى أمر عزل الحاكم لذلك فقد أراد التخلص منه واحالته الى الحاكم الجديد الشيخ حمد الخليفة ، وفعلا جاء هذا في اليوم التالى الى الشيخ قاسم لتتمة الحديث كما سبق . لقد خشى ديلى من غلبة منطق الشيخ على منطقة فيسلم له بأشياء كثيرة ، وقد يتنازل عن بعضها لصالحه كما فعل من موافقته على اطلاق سراح أحمد بن حسن الدوسرى فيتسامع الناس بذلك فتسقط أسهمه التى استثمرها فى الناس بالارهاب والترويع لتعزيز سلطة الحماية البريطانية فى البلاد ، فى الوقت الذى قد يتعزز فيه مركز الشيخ قاسم تعزيزاً جديداً بالاضافة الى تعزيزاته السابقة .. الامر الذى يناقض خطة ديلى فى تقليص نفوذ الشيخ فى البلاد بكل ما استطاع من قوة ، فأشار الى الحاكم الجديد بزيارة الشيخ قاسم كما سبق .

ونحن هنا لسنا بصدد ذكر كل الأهداف التى يرمى اليها ديلى من ذلك كالتى منها استعماله للطرق الدبلماسية لحصر النقاش الذى سيدور بين الحاكم الجديد والشيخ قاسم فى اطار محلى قد لا يتجاوز فعله سدة سلطته المتحكمة فى البلاد ، ومنها ما قد يرمي منه ديلي الى حدوث شقاق بين الحاكم الجديد والشيخ ، باستثارة الاول ضد الثانى فى الدفاع عن ملكة الجديد ..

رابعاً : ثبوت الشيخ قاسم على ولائه للحاكم السابق .. وتجديد ذلك الولاء له بقوله : « على أنني أدين الله جل جلاله بمولاتك فى ولايتك ، وفى عزلك » . ومعنى ذلك أن الشيخ قد بايع الحاكم السابق من جديد ، ومع أن هذه المبايعة كانت بصورة سرية ضمن رسالة سرية أيضاً .. الا أنها فشت فى الناس آنذاك فشو النار فى الاحراش ، فكانت بمثابة الرد الوطني المعاكس من الشيخ على طلبات سلطة الحماية منه التى جاءت على لسان رئيس الخليج كما تقدم وقد أعتبرت فتوى شرعية من الشيخ ببطلان الاجراءآت الاستعمارية الجديدة فى البلاد . ومنها عزل الحاكم (١) مما دعم حق الحركة الوطنية فى مقاومتها لتلك الاجراءآت فيما بعد .

---

(١) يقول الشاعر الكبير الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك .. من قصيدة طويلة .. يسجل فيها سخطه على تلك الاجراءات ما يلى : ـ

عجباً تباع وتشترى البحرين لا ... من ثائر فضلاً عن المناع
وتلاعبت فتيان أوروبا بنا ... كتلاعب الصبيان بالمرصاع =

خامساً : موقف الشيخ قاسم الأدبى الشجاع .. فهو يتقدم الى الحاكم المعزول بانتقادات بناءة فكان يسجل أسفه وألمه على ضعف الحاكم وقلة حزمه حيال رئيس الخليج حين طلب هذا للاخير منه التنازل عن حكم الامارة لابنه الأكبر فأجابه هذا بقوله : « أكتب لى خط رسمى على عزلي » فالشيخ يحتج بشدة على هذا الموقف المتخاذل ، ولكنه يقدم بديل ذلك اقتراحاً بناء فيقول للحاكم : « هلا قلت : أننى ملك مملكة آبائى .. الرسالة .. الخ » كما يسجل الشيخ على الحاكم احتجاجه على عدم الاهتمام بتوجيهاته وارشاداته واضاعتها مما كان سبباً فى تكثيف التخاذل والضعف حتى أمام موظف بريطاني .. كما يقول الشيخ .

سادساً : عدم رضوخ الشيخ قاسم للامر الواقع بعزل الحاكم .. وذلك بتقديم الارشادات له عما اذا أراد مقاومة اجراءآت عزله حيث قال : « لا تتحامق ولا تعتب ولا تظهر ما فى جوجاك من غضب ، ووافقهم على مسكن المصيف ، **الا اذا كان لك وسائل ترجع عندك أن يكون لها نتيجة فحينئذ تتجه بتجافيك .. »**

الشيخ يخطط للعمل الوطني ..

هذا ما أبان لنا الشيخ قاسم من عمله فى بدء محاولاته لتلافي ما وقع من أحداث فى البلاد .. ولقد استمر الشيخ فى اتصاله بالحاكم المعزول عن طريق الرسل والرسائل كذلك استمر فى عمله رئيسا للقضاة فى البلاد . غير أنه بدل ان كان يتعاون مع جهة رسمية واحدة كما هي الحال مع حكومة الحاكم السابق ، أخذ الان يتعامل مع وجهتين رسميتين فى حكومة واحدة (الحاكم الجديد الشيخ حمد والمعتمد البريطاني الميجر ديلي) وان كان هذا الاخير قد أصبح الحاكم الفعلي للبلاد بعد انقلاب مايو كما أسلفنا .

= بدأوا بسلب حمى آوال لانها — مفتاح سائر هذه الاصقاع
نقضوا عهود حليفهم عيسى الذى — لذمامهم قد كان خير مراع
قد ضيعوا ميثاق عيسى مثاما — قد ضيعوا ميثاق عيسى الداعي

وقال من قصيدة أخرى طويلة فى هذا المعنى : ـ

واهاً لها من نكبة حرةٍ — تكاد أن تنشق منها القلوب
يامقلة البحرين سحي دما — وانتحبى ان كان يغنى النحيب
ان النصارى من بنى انكلترا — جاءوا من الامر بأمر عجيب
قد نقضوا ميثاق عيسى كما — قد نقضوا ميثاق عيسى النقيب

وقال عبد الله الزائد فى هذا المعنى أيضا :

عيسى لوعد الناكثين ضحية — والوعد فى لغة القوى وعيد
ما أنت أول مخلص غدرت به — منهم وعود أخلفت وعهود.

لذلك نجد ان رسائل الشيخ وتقاريره القضائية ، أما معنونة باسم الحاكم ، أو باسم المعتمد أو كليهما معا فى أكثر الاحوال ، لقد وجد الشيخ نفسه أنه أخذ يتعامل مع حكم ثنائي قليل المعرفة والتجارب فى ادارة كثير من شؤون البلاد وخاصة فى مجال القضاء بين الناس . ووجد أنه يستطيع عبر هذا المجال تكريس حاجة الحكومة الجديدة اليه فى الوقت الذى يستطيع أيضا نتيجة لذلك أن يطيل عمر الحكم بالشريعة الاسلامية فى البلاد . .

وطبيعي أن ديلي ومن ورائه سلطة الحماية البريطانية كانا قد نظرا وقدرا مجيىء شيء من تلك النتائج ، بعد التغيير الجديد فى البلاد . ومن الطبيعي أنهما قد خططا لا لاقتلاع الشيخ وانهاء دوره فحسب بل لما يمثله الشيخ ايضا من قيم البلاد واخلاقياتها لكنهما أجلا ذلك لألا يثير مزيداً من الاعاصير الوطنية فى وجهيهما فينقلب الأمر عليهم . ولا نخال ان الشيخ قاسم قد غاب عن ذهنيته الوقادة ، وفراسته المتنبئة شيء من ذلك . لهذا دخل مع ديلي فى مناوأة سياسية خفية مشهرا كل منهما سلاح دهائه ومكره ووداعته فى وجه الاخر (١) حتى لقد ظلت زيارات عسكرى الحكومة الجديدة تترى للشيخ بين آونة وأخرى ، يأخذ في بعضها من خبرة الشيخ فى حل مشاكل السيادة الجديدة فى التغيير الجديد ، وحتى خيل لبعض شباب الصفوف الخلفية وراء رجال الحركة الوطنية أمثال خالد محمد الفرج وعبد الله الزائد ، وسعد الشملان وأمثالهم ان الشيخ لابد وأنه دخل فى موجه حب وتعاون مع ديلي ، فهاجموه علنا ، وعلى أعمدة الصحف كما سيجيء فى فصل اعتزاله القضاء ، بينما كان الشيخ يعمل سرا فى الاتصال بالحاكم المعزول وتوجيهه وارشاده الى المطالبة بعدم شرعية الاجراءات الاستعمارية البريطانية الجديدة فى البلاد .

وكم يكون عظيماً الان أن يكتشف انه بينما كان ديلي يبث عيونه وجواسيسه حول الشيخ ومن يتصل به من رجال الحركة الوطنية فى البلاد ، وانه فيما كان هؤلاء الجواسيس الكبار والصغار فى المقامات . . يتمركزون حول عمارة (الميل) وداخلها فى المنامة او سوق (الطواويش) فى الوقت الذى يتمركز الشباب منهم حول بعض الحوانيت ومنهم حانوت السيد جمال الليل . . أنه فى تلك الفترة الحرجة . . كان الشيخ قاسم يعمل سرا فى توجيه الحاكم الى تشكيل هيئة وطنية جديدة من رجال الحركة الوطنية فى البحرين لمطالبة بريطانيا برفع يد سلطة الحماية فى الخليج عن التدخل فى شؤون البلاد الداخلية .

ولنعد مع الشيخ قاسم الى عام ١٩٢١ ذلك العام الذى حل فيه الميجر ديلي بجبروته على البحرين ، لنرى ان الشيخ قد تقدم الى الحاكم

---

(١) راجع الفصل الثامن (الحادث على مستوى الناس والصحافة)

بخطة عمل مبكرة تقضي برفضه تعيين ديلي معتمدا سياسيا لبريطانيا في البحرين ، وهي شبيهة بالخطة التي استعملها الحاكم باسناد من أصحاب الحركة الوطنية في البلاد لطرد المعتمد البريطاني السابق منها . والخطة معروفة وهي أن يرفع الوطنيون من أعيان البلاد وتجارها وعلمائها المتنفذين فيها عريضة تحمل توقيعاتهم يطلبون فيها استبدال هذا المعتمد بذاك فيوثقها الحاكم بتوقيعه ويصدق عليها فترفع الى رئيس الخليج في أبوشهر الذي يرفعها بدوره مع ملاحظاته عليها الى رؤسائه في دهلي ، ومنهم تأتي الاوامر - مرورا برئيس الخليج - بتنحية ذلك المعتمد .. هو او من طلب تغييره ، من الموظفين البريطانيي الجنسية ..

لذلك فقد طلب الشيخ قاسم من الحاكم عام ١٩٢١ تنفيذ الخطة العرائضية المعروضة ضد الميجر ديلي قبل ان يستشري خطره بالبلاد . فقد بدأ خطره يذر قرنه فيها وهو بعد لم يمض على مجيئه اليها غير ستة أشهر . لكأن الشيخ قاسم كان ينظر من وراء حجب الغيب بما يخبئه الميجر ديلي للبلاد ، فلو استجاب الحاكم لطلب الشيخ لما استطاع ديلي أن يبقى في البلاد ستة أعوام شداد ، وطد خلالها دعائم الاستعمار البريطاني بكل ما أوتي من قوة ، ولكن الحاكم لم يفعل ذلك فلم يصدق على العريضة التي كان رفعها اليه أعيان البلاد وتجارها وعلماؤها .. فضاعت الفرصة وهذا هو نص طلب الشيخ من الحاكم مصحوبا بخطة عمل لانجاحه :

رسالته الاولى في التخطيط

« انني ابدى لحضرتكم ما أفهم - وانتم مني في مقاصد ذلك الرئيس (١) في عجلته في ملاقاتكم بعد طلبه لقاكم - أفهم وأعلم ، ولكنني أبدى ما يجب علي من نصحكم فالبدار البدار بتعجيل كتاب حضرتكم الذى حررتموه ومصحوبة عريضة مشتكى رعيتكم ، أما مع عبد الله بن حسن الدوسري أو مع أحمد بن لاحج ، بل الحزم السديد والرأي الرشيد ولو مع أحد أنجالكم الكرام . فانني أعلم ان ليست عجلته من أمور أحاطت به ، ولكن يجب ان لايسمع تشكى حضرتكم ورعيتكم من هذا الموظف لديكم (٢) . فان كلما مكن وطأته فيكم وفي رعيتكم وفي بلادكم ذلك احب شيء اليه .

فارى من الحزم اللائق المعاجل هذا اليوم في (الميل) (٣) بارسال من ترون بذلك . فان تماهلتم فقد أضعتم واهملتم سلطانكم واستقلالكم ورعيتكم والسلام عليكم » .

---

(١) رئيس الخليج آنذاك كرنل ناكس .

(٢) يعني الميجر ديلي .

(١) يعني احدى سفن نقل البريد .

هذا هو نص طلب الشيخ قاسم من الحاكم عام ١٩٢١ ، الموافق ٧ ذو القعدة ١٣٣٩ والذى يظهر منه ان الحاكم قد أعد كتابا الى رئاسة الخليج يشكو فيه تصرفات المعتمد الجديد ، كذلك فانه يظهر منه أيضا أن عريضة شكوى شعب البحرين موجودة تحت يد الحاكم ، ولم يبق الا ارسالهما جميعا بصحبة واحد من أفراد الحركة الوطنية الحريصين على مصلحة بلادهم أمثال عبد الله بن حسن الدوسرى ، أو احمد بن لاحج البوفلاسه أو مع أحد أنجال الحاكم النابهين ، ولم يذكر الشيخ هنا اسم زعيم الحركة الشيخ عبد الوهاب الزياني لانه كان غائبا انذاك فى الهند فى شؤون تتعلق بمجلس المعارف للتعليم الحديث فى البلاد .

ولقد ظهر حرص الشيخ على تنفيذ ذلك لانه رأى فى حركة رئيس الخليج السريعة فى زيارته للبلاد ـ انذاك ـ وطلب مقابلته للحاكم ، ومغادرته البلاد بسرعة تخلصا من ضغط الوطنيين عليه برفعهم الشكاوى ضد تدخل المعتمد الجديد فى شؤونهم الداخلية .. وقد يطلبون تغييره ، فهو لا يحب ان يسمع تلك الشكاوى بسبب انه يريد ان يكرس بقاء المعتمد الجديد هذا ليقوم بتمكين النفوذ البريطاني فى البلاد وشعبها . من أجل ذلك طلب الشيخ من الحاكم المبادرة السريعة بارسال كتابه وعريضة المواطنين ضد المعتمد الجديد مع أحد الزعماء الوطنيين الى الجهة المعنية بذلك ، وأن يكون ذلك أيضا فى أول سفينة مسافرة الى تلك الجهة ، ولم يعين تلك الجهة البريطانية المسؤولة ، فهي أما ان تكون ابو شهر حيث مقر رئاسة الخليج .. أو مدينة دهلي حيث مقر نائب الملك فى الهند .

وفى نهاية النص يحذر الشيخ قاسم الحاكم فى عدم التباطؤ فى تنفيذ اقتراحه أو اهماله أو اضاعته فان فى حدوث ذلك ضياع استقلال البلاد وسلطانها ، وأهلها .

هذا موقف من مواقف الشيخ قاسم الوطنية .. نضيفه الى مواقفه السابقة التى سجلناها له فى هذا الفصل .. كان الشيخ يوجه الحاكم ويشير عليه ويقترح الحلول المناسبة لمقاومة النفوذ البريطانى فى البلاد ، ويرسم الخطط كما سبق فى هذا النص ، وكما سيجىء فى نصوص أخرى ويسمى لتنفيذها رجالا نابهين مضحين من أفراد الحركة الوطنية آنذاك .

المرحلة ـ ٣ ـ

رسالته الثانية فى التخطيط

هذا قبل سنتين من وقوع أحداث مايو ١٩٢٣ .. وخلال هـذه المدة هل استجاب الحاكم لاقتراحات الشيخ قاسم وهل نفذها ؟ كلا فقد ضعف فلم يقم بتنفيذ ذلك .. فجاءت تنبؤات الشيخ كفلق الصبح فذهب الاستقلال والسلطان والرعية (١) كان من الممكن تلافى ذلك أو شيء منـه علي الأقل لو أخذ الحاكم برأى الشيخ ، فقد أشعل له الشيخ النورالأحمر ولكن .. وبعد أن وقع المحذور هل استكان الشيخ قاسم .. ؟ وهل يأس من العمل لخدمة بلاده .. ؟ أبداً .. فقد بعث الي الحاكم المعزول برسالة أخرى بتاريخ ١٧ ربيع الاول ١٣٤٢ / ١٩٢٣ يحثه فيها مرة أخرى علي العمل الحثيث لابطال الاجراءات البريطانية الجديدة التي أدت الي خلعه ، ولا يتركه هكذا بل يرسم له خطة ذلك العمل مرة أخرى ، وهي لا تخرج عما رسمها له من خطط سابقة فى رسائله اليه منذ عام ١٩٢١ كما أسلفنا .. وهذا هو نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ١٧ ربيع الاول ١٣٤٢ (وأسنى سلام الاسلام لحضرة طود العقل والحلم والفهم الأجل شيخنا الشيخ عيسى بن علي الخليفة أيده الله ، أيها الملك الامام (٢) أقول لك بما يقتضـيه شرع الله والقوانين العدلية المتفق عليها بين الدول انك ملك مملكتك وحاكم رعيتك ، وقهرك عمالك ظلم لك والمظلوم يرفع ظلامته لمن له حقه عقد رابطة الحماية ورضاك يكتب أسطر يزعمها كاتبها رسمية ويقنعك بها لما طلبتها خطأ منك جنيته عـلى نفسك ، وظلم من المجترى عليك فى ملكك .

فالآن لا رأى الا البدار ، البدار الى من بينك وبينهم رابطة الحماية بالشروط ، وتقرر منسوخها في سجل ويكون الرسول ممن يفهم ويقابل الاحتجاجات الوهمية منهم بمنافاتها منه ، وبشهادة الرعية . ولقدقررت لحضرتك ذلك الرأى السديد الرشيد العام الماضى ، ولكن حضرتك اضاعه ،

---

(١) ذهب الاستقلال والسلطان بانقلاب مايو ١٩٢٣ واستلام الميجر ديلى مقاليد الحكم فى البلاد .. كما تقدم فى هذا الفصل . ونتيجة ذلك هاجر الآلاف من المواطنين الى السعودية فذهبت الرعية ، ثم ما كان من اعتقال وتشريد ونفي لزعماء البلاد .. كما هو معروف .

(٢) كان العلماء والمثقفون فى البلاد آنذاك يخاطبون الحاكم عيسى بن علي فى رسائلهم وخطبهم بلقب الملك وهذه رسائلهم وخطب أعضاء مجلس المعارف القديم تشهد بذلك .. (مضابط جلسات المجلس مابين ١٩١٩ و ١٩٢٣) .

وليس فقط هذا بل كلما أبديه لحضرتك من رأى سديد تنبذه ولا تراه رشيد ..

أما لفظ تقرير خطابكم الآن فليكن بهذا اللفظ :

انني وأنا عيسى بن علي حاكم البحرين أقول بيقين جازم من قلب على الوفاء لازم ، فى الماضى ومستقبل الأحوال ، مراقباً لمعالم الوفاء على كمال مناهج الصفا ، بما بيني وبين دولتي القيصرية من الروابط الودية لا أرضا أن أخل بما يخل ، غير أن بوادر أزعجت قلبى وضيقت صدرى ونفذ منها صبرى ، ثم بعد ذلك أكتب وفقك الله ما بدا لك من خطاب . وأنني حررت لك ذلك من غير طلب منك ، ولكن ديانتي ومروءتي يحملاني على ذلك لك . وفوق ذلك للحرة ذات الهمة أميرة بيت حضرتك ، وجدتها لك أكمل معول عليك (١) .

منصوبكم قاسم بن مهزع

فى هذه الرسالة يتجلي الشيخ قاسم كأبرع سياسى وطني متمكن . بمعرفة قانون السيادة الدولية بين دول العالم .. انه يحاول رد صواب الحاكم المخلوع من هول ما أصابه من غدر حليفته بريطانيا به .. انه يحاول توعيته بشرعية حقه فى استمراره حاكماً لبلاده .. ليس فى استطاعة أحد حسب قوانين السيادة الدولية انتزاعه منه أنه يخاطبه بقوله : « أيها الملك الامام .. » ويقول له : « أقول لك ما يقتضيه شرع الله والقوانين العدلية المتفق عليها بين الدول .. انك ملك مملكتك وحاكم رعيتك .. » انه يخاطبه بذلك ليثير فيه نخوة الملك وعزة السلطان .. انه يحاول أن يستل منه عقد الخوف والرهبة التي لازمت جميع أمراء العرب فى المنطقة آنذاك من بريطانيا .

ثم يقول له أنه قد ظلمك بعض موظفيك الكبار .. وأكثرهم غدروا بك خلال الاحداث التي أدت الي عزلك ، وبما أنهم يأتمرون بأمر سلطة الحماية البريطانية فى البلاد ومن بينهم رئيس بلدية المنامة المعين من قبل الميجر ديلى . كما أسلفنا .. والشيخ قاسم هنا فى هذه الرسالة لايعترف حتى بصفة الممثلين السياسيين البريطانيين فى البحرين فى كثير من الاحوال عمالا لدى حاكم البلاد .. لذلك ينبه الحاكم الي أنه مادام بينه وبين

---

(١) هي عائشة بنت محمد بن خليفة الخليفة زوجة الحاكم المعزول .. كان لها تأثير كبير في حكومته اذ كانت متنفذة فيها فقد أخذت عن أبيها حاكم البحرين ١٨٤٢ — ١٨٦٨ قوة حزمه ودهائه .

بريطانيا اتفاقيات حماية وصداقة فيجب أن يستغل ذلك ويرفع الأمر اليها (١) .

كذلك فانه يعتب علي الحاكم السابق ويخطئه فى قبوله تلك الأسطر القليلة التي جاءه بها رئيس الخليج اليه تنفيذاً لقوله له : « اكتب لي خط رسمي علي عزلي » واقناعه بأنها رسمية ، فالشيخ يقول هنا للحاكم بأن ذلك خطأ جنيته علي نفسك فى الوقت الذى هو ظلم فادح ممن جاء بها اليك وألزمك بتوقيعها ..

ثم يأخذ الشيخ قاسم فى استعجال الحاكم بالاتصال ببريطانيا ، ولا يدعه هكذا بل يرسم له خطة العمل ويشرحها فيطلب اليه أن يستنسخ صوراً من اتفاقيات الحماية والصداقة التي بينه وبين بريطانيا ، ويرفقها بعريضة شعبية ترفض الاجراءات الاستعمارية البريطانية الجديدة فى البلاد ، ويبعث بها مع ممثل عنه من ذوى الحنكة السياسية والادراك الدبلوماسى ليتفاوض مع الجهات الرسمية البريطانية سواء فى لندن أو فى دهلي .

وحين يشترط الشيخ قاسم فى الرسول الفهم بقوله « ويكون الرسول ممن يفهم .. » فهو يريد من ذلك المثل أن يكون فى مستوى النضج السياسى حتي يفند الحجج الواهية لسلطة الحماية البريطانية فى الخليج علي اتخاذها لتلك الاجراءات .. ويستشهد علي بطلانها بالعريضة الشعبية التي يحملها والتي تعارض تلك الاجراءات وتطالب ببطلانها .

ثم يعود الشيخ قاسم فيذكر الحاكم انه قام بتقديم مثل هذه الآراء السديدة اليه فى العام الماضى .. ولكنه أهملها ولم يأخذ بها مثل سابقتها من الآراء السديدة الرائدة ..

ومع كل ذلك لا يتطرق اليأس والقنوط الى الشيخ قاسم فيختتم رسالته هذه بتدبيج افتتاحية الاحتجاج الذى رسم خطته آنفاً ليرفعه الحاكم الي الحكومة البريطانية مشفوعاً بالعريضة الشعبية الآنفة الذكر ، ثم لا ينسى أن يترك له حريته ليكتب ما يشاء من صيغ الاحتجاج .. بعد تلك الافتتاحية . كما يشير عليه أيضاً باشراك عقيلته فى الرأى .. كما تقدم بنا فى باب (رسالته الثانية فى التخطيط) .

---

(١) وهو نفس ما ذكره الشيخ قاسم فى رسالته السابقة الى الحاكم المعزول بتاريخ ١٠ ذي القعدة ١٣٤١ .

هذا ما حاولنا ايضاحه من تعريف برسالة الشيخ هـذه .. التي تعتبر في تقارب الشكل والمضمون الرسالة الثالثة والأخيرة من نوعها .. فان الحاكم المعزول لم يحتج من الشيخ قاسم الى رسالة أخرى من نوعها فقد نسق جهوده مع أصحاب الحركة الوطنية في البلاد للمطالبة الفعلية ببطلان الاجراءات الاستعمارية فيها وخاصة بعد حوادث مايو عام ١٩٢٣ كما بيناه بايجاز خلال صفحات هذا الفصل

المرحلة ـ ٣ ـ

الاستنتاج ..

بقي ما حفلت به هذه الرسالة من معطيات فكرية نيرة جاء بها فكر الشيخ قاسم الكبير .. وهي كالآتي :

أولا : ايمان الشيخ قاسم بدور الامة الرئيسي في التعاون مع الحاكم .. أو عدمه لذلك فهو يحظ الحاكم المعزول مرة تلو الاخرى بالاستناد الى ارادة الامة في تأييده ورفض الاجراءات الاستعمارية الجديدة في البلاد لهذا نراه أيضاً يأتي بهذه الجملة : « بشهادة الرعية .. » و « مصحوبة مشتكى رعيتكم .. » و « وقد أضعتم وأهملتم سلطانكم واستقلالكم ورعيتكم .. » . فانه قد سبق وكان النجاح حليف ارادات شعبية كبرى قدمت عبر عرائض شعبية الي المسئولين البريطانيين في الخليج والبحرين ونجحت كالعريضة التي رفعت ضد الميجر ديكسون وغيرها كثير لا مجال هنا لذكرها ..

وأخيرا كأن الشيخ قاسم يريد أن يذكر الحاكم أنه جاء الى الحكم عام ١٨٦٩ بارادة الامة .. فلا بد أنه اذا أراد التنازل عنه ، أن يكون ذلك أيضاً بارادتها هي وحدها ، لا بارادة بريطانيا .

ثانياً : تمتع الشيخ قاسم بشجاعة أدبية بناءة .. وهي تبدو واضحة في انتقاداته التي يصوغها في ثوب قشيب شفاف ، ينم عما وراء كلمات تلك الانتقادات من مغزى . كان الشيخ ينتقد من الحاكم المعزول ضعف تصرفه مع رئيس الخليج واهماله لنصائحه هو ، ولكنه لاينتقد وضعاً سيئاً الا أتى ببديل له من الحلول الناجعة .. كما في قوله وهو ينتقد طيبة الحاكم وثقته في الموظفين البريطانيين : « .. ورضاك بكتب

أسطر يزعمها كاتبها رسمية ويقنعك بها لما طلبتها ، خطأ منك جنيتــه على نفسك .. » يقابله الحل البديل الممكن لما فى قوله : « .. فالآن البدار ، البدار الي من بينك وبينهم رابطة الحماية بالشروط ، وتقــرر منسوخها فى سجل ويكون الرسول ممن يفهم ، ويقــابل الاحتجــاجات الوهمية منهم بمنافاتها ، وبشهادة الرعية .. » . ثم فى قوله ـ منتقــدا اهمال الحاكم لآرائه السديدة السابقة : « .. ولقد قررت لحضرتك ذلك الرأى السديد الرشيد العام الماضى ، ولكن حضرتك أضاعه .. » الى آخر الفقرة الاولى من الرسالة . يقابله فى ذلك تلك الديباجة التي صاغها مقترحاً على الحاكم وضعها كافتتاحية لكتابه الى المسئولين البريطانيين ، كقوله : « اما لفظ تقرير خطابكم الآن فليكن بهذا اللفظ » : « انني وأنا عيسي بن علي حاكم البحرين .. » الى آخر الديباجة .. كما تقدم .

ثالثا : عدم يأس الشيخ قاسم وقنوطه من جدوى مطالبة الحاكم المعزول لبريطانيا بالغاء تلك الاجراءات الاستعمارية التي قامت بها سلطة الحماية فى الخليج للتدخل فى الشؤون الداخلية للبحرين . فرسالة الشيخ هذه جاءت بعد خمسة أشهر من وقوع تلك الاجراءات .. وهو يعــلم أن تنفيذها حينما حدث كان معززاً بالبارجتين الحربيتين البريطانيتين التي جاء بها رئيس الخليج .. وأنه كان من الممكن أن تجيئا مرة أخرى اذا ما بدى الوضع فى البلاد يسير لغير صالح الاجراءات الجديدة . لكن الشيخ قاسم كان يعمل فى الاثارة الوطنية لالغاء تلك الاجراءات دون أن يخشى شيئاً ، وان كان يعتمد التكتم على حركاته فيها تكتيكا لأجل انجاحها ..

رابعاً : خبرة الشيخ قاسم التى لا تضاهى بشؤون الحكم والحكام فى البلاد ، فهو يعرف صفة الادارة المحلية قبل انقلاب مايو ١٩٢٣ ويعرف تجاوز الحاكم عنها ، ويعرف سيطرة الموظفين الأجانب فى البلاد .. لقد اكتسب خبرته بالبلاد وأهلها من معايشته للأحداث التي مرت به طيــلة ثمانين عاماً من اشراق فطنته حتى ذلك الانقلاب ، فلم تكن هناك صــغيرة أو كبيرة من المشاكل التي يتعرض لها الناس فى البحرين والخليج الا وله المام كبير ببواعثها ، فكان يسهم فى حل ما يعرض عليه منها .. أو يتطوع هو بالمساهمة فى حلها هو دائماً مايقول بهذا حين يتطوع فى حله مشكلة ما **« .. واننى قد حرر لك ذلك من غير طلب منك .. ولكن ديانتي ومروءتي تحملاني علي ذلك لك .. »** .

معوقات أمام عمل الشيخ الوطني ..

نحن الآن فى نهاية ما عقدناه من فصل عن دور الشيخ قاسم فى العمل الوطنى .. وقبل أن نتركه لفصل آخر نود أن نبين أننا توخينا على عادتنا الايجاز فى السرد وايراد النصوص وتحليلها ، كذلك فاننا لم نؤرخ لجانب من جوانب الحركة الوطنية فى البلاد فى العشرينات من هذا القرن الا ولهذا الجانب علاقة مباشرة بدور الشيخ الوطنى .. أو يكون جزءاً من المناخ الوطني الذى لعب فيه الشيخ دوره هذا ..

غير أن هناك بعض معوقات رئيسية وقفت فى طريق الشيخ أثناء قيامه بتأدية هذا الدور .. وخاصة فى أحرج فترة فيه وهي بالتحديد صيف عام ١٩٢٣ وهذه هي أهم تلك المعوقات :

أولا : قصور الحركة الوطنية فى العشرينات عن عدم احتواء فئتي العمل الوحيدتين فى البلاد آنذاك ، وهما فئة بحارة الغوص وفئةالفلاحين، بسبب أن الحركة كانت تستقطب من الأمة خمس فئات فقط هي فئة من الأمراء وأخرى من التجار ، وثالثة من الشباب المثقف ورابعة من موظفى الدولة وقلة قليلة من العلماء والمشايخ ، وغالب هؤلاء كانوا – آنذاك – غير مدركين دور فئتي العمل فى تعزيز الحركة الوطنية وانجاح مطالبها ، فقد كانوا يعتبرونهما – حسب المفاهيم المتعارف عليها آنذاك – فئتا اجراء ومستخدمين ليسوا فى مستوى الوعي الذى يؤهلهم لمشاركة أصحاب الحركة الوطنية فى العمل الوطني .. وهي قناعة كانت ثابتة آنذاك حتي عند فئتى العمل نفسهما بسبب عدم وجود الوعي الوطنى عندهما . لذلك فقد كان الحب مفقوداً بين تلك الفئتين ومستخدميهما ، وان كانوا من أصحاب الحركة الوطنية فى البلاد .. وبسبب ذلك واجه الشيخ قاسم القضايا الكثيرة ذات المشاكل المعقدة بين النواخذة والبحارة نواخذة وأصحاب أراض .

لقد كانت فئتا العمل هاتين مستغلتين دائماً من نواخذة البحر وأصحاب الارض . وكان الشيخ بينهما فى صف المظلوم علي الظالم مما عوق تعاونه فى بعض الأحيان مع بعض أجنحة الحركة الوطنية ، وهم نواخذة وأصحاب أراضى .

فمثلا كان من الطبيعي أن لايعترف الشيخ قاسم بالفوائد الربوية التى كان نواخذة البحر يحتسبونها علي قروض البحارة (الجزوى)

والتى تصل الى ٢٠ ٪ فلا يحكم بها للنواخذة (١) حتي اذا أصدر الميجر ديلى قراره بالغاء تلك الفائدة .. صدق عليه الشيخ ووثقه .

ثانيا : كان للمناخ السلطوى التعسفى الزخم الذى طنبه الميجر ديلى فى البلاد تأثير للحد من سعة تحرك الشيخ قاسم عبر دوره الوطنى.. فقد كان أصحاب الحركة الوطنية بما فيهم الشيخ يعملون فى ظروف أشبه بظروف الاحكام العرفية ، بل ان ديلى كان فعلا يطبق الاحكام العرفية فى البلاد بين آونة وأخرى دون أن يعلن عنها .. مثل ما فعل فى حوادث مايو ١٩٢٣ وحوادث أغسطس ١٩٢٦ .

ثالثا : وقوع حاكم البلاد قبل عزله تحت تأثير المتنفذين فى حكومته، الذين كانوا يؤيدون بقصد أو بغير قصد وضع فئتي العمل السيىء فىالبلاد عبر أعمال السخرة والاستغلال ، مما جعل سلطة الحماية تستغل ذلك فى تعميق الفجوة بين المخدومين والمستخدمين .

رابعا : ضعف الحاكم وقلة حزمه مع سلطة الحماية البريطانية فى البلاد فنتج عن ذلك عزله كما مر بنا ، وان فسر بعضهم ذلك منه تجنيب بلاده ويلات فتن أثارها الانكليز وعملاؤهم فى البلاد .

خامسا : تمركز السلطة الادارية والامنية فى البلاد بيد الأجنبي .. عبر بلدية المنامة وادارة الأمن العام منذ أوائل العشرينات من هذا القرن .

سادسا : كان لتقدم الشيخ قاسم فى السن أثره الفعال فى الحد من نشاطه الوطنى وخاصة فيما بعد حوادث عام ١٩٢٣ فانه آنذاك قد دلف الي العقد الثامن من عمره .

سابعا : كان لغنى الشيخ وثروته العقارية وغالبهامن صنفالحوانيت التى جمعها بجده الخاص طيلة حياته الطويلة كما أسلفنا أثر تثبيطى فى صفوف شباب الحركة الوطنية ، مع أنهم يعلمون سلامة طرق الشيخ فى جمعها ، وبأنه لم يقبل قط أى راتب ولا أية مكافأة من أى جهة كانت على عمله فى القضاء طيلة بقائه الطويل فيه . وبالمناسبة فان الشيخ كان مشهوراً عنه بين القاصى والدانى انه لم يأكل قط على مائدة أخرى غير مائدته سواء كانت مائدة حاكم أو محكوم .

---

(١) رسالة الشيخ قاسم المؤرخه فى ٧ ربيع ١٩٤١/٢ الى الميجر ديلى .

بين الشيخ قاسم والشيخ الزياني

ويقع الشيخ قاسم تحت تأثير حادث عزل الحاكم، فيكون مردوده قويا عليه، بسبب أنه كان قد دلف الي مرحلة الشيخوخة، فوهن عظمه وكف بصره. وأنه لعلي هذه الحال اذ جاء الى بيته يوماً المجاهد الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزيانى، والحاج أحمد بن لاحق والحاج عبدالرحمن الوزان، فاستأذنوا وصعدوا اليه فى غرفته. فكلمه الشيخ عبد الوهاب، وأبرز له عريضة أهلية طالباً منه التوقيع عليها، لأن وكلاء الأمة قرروا رفعها الي حكومة نائب الملك فى الهند محتجين ورافضين الاجراءات التى أقدمت عليها سلطة الحماية البريطانية فى الخليج بتدخلها فى شؤون البحرين الداخلية .. من عزل حاكم وتنصيب آخر، ومشاركة أهل البلاد فى سلطاتهم التشريعية والتنفيذية فى بلادهم. (١)

غير أن الشيخ قاسم رفض التوقيع على العريضة، فقال له الشيخ عبد الوهاب: (**لقد فكرنا من قبل، أنه يكون تشجيعاً للناس على توقيعها، لو جئنا بها اليك قبل أن يوقعها أحد منهم .. فتوقعها فنعرضها نحن عليهم فيقتدوا بك فلا يبقى أحد من كبرائهم وزعمائهم الا وقعها، ولكنا أخذنا بعين الاعتبار حراجة موقفك .. بسبب تحديد اقامتك فى المنامة، ومنعك من الاتصال بالشيخ عيسى فى المحرق، فطفنا بالعريضة على كثير من علماء الأمة وزعمائها فوقعها أكثرهم قبل أن نأتى بها اليك، وها أنت ترى توقيعاتهم بنفسك، منهم من هم من أهل المحرق والمنامة والحد وغيرهم. وحتى يكون لك العذر والمندوحة حين تقول للقنصل ديلى اذا سألك عن الموضوع .. أنك وقعت العريضة بعد أن وقعها كثير من علماء البلاد ورؤسائها، ولك أن تقول له أيضاً أنك لست من الذين يشقون على الناس فى البحرين اجماعهم.**)

فقال الشيخ قاسم: (**لا فائدة، أنا أعرف منكم بطبائع الانكليز، والذى أعرفه عنهم لا تعرفونه أنتم، وتوقيعى فى هذه العريضة الآن لايؤخر ولا يقدم لهذا فلن أوقعها.**)

فخرج الشيخ عبد الوهاب ورفاقه من بيت الشيخ قاسم مغاضبا والعريضة بيده دون أن يختمها الشيخ قاسم بختمه الشهير.

---

(١) راجع ملوك العرب للريحاني جزء ثاني ص ٢٦٤ و ٢٦٨.

لم يلتق الشيخ قاسم بالشيخ عبد الوهاب بعد ذلك فقد نفى هذا الأخير الي بمبي وتوفى بها عام ١٩٢٥ .

كان لعدم وجود ختم الشيخ قاسم فى العريضة بعد أن وقعها كثير من زعماء البلاد وعلمائها أثر عكسى ضعيف عليها ، فان الشيخ عبد الوهاب كما قال هو قد وضع احتمال عدم توقيع الشيخ قاسم عليها فى حسبانه . فلأجل أن لا يكون لذلك تأثير كبير عليها .. حاول أن يقطع الطريق على أولئك الذين قد لا يوقعونها ما لم يوقع عليها الشيخ فبدأ بهم ، فمانع بعضهم ، فأقنعهم بأنه نظراً لفرض الاقامة الجبرية على الشيخ فى المنامة ، وتأثير ذلك عليه ، ونظراً لوضع البلاد فى حالة الأحكام العرفية ، التى فرضها عليها الميجر ديلى بعد حادث ٣ مايو ١٩٢٣ وكان الشيخ يمر آنذاك بظرف حرج من مراقبة سلطة الحماية له ، فانه يفضل أن يأخذ العريضة اليه ، وهى مملوءة بتواقيع علماء البلاد وزعمائها ليطمئن الشيخ الى ذلك فيوقعها .

غير أن الذى حدث ــ كما أسلفنا ــ أن الشيخ عبد الوهاب لم يستطع لا هو ولا تواقيع وكلاء الأمة البحرانية أن يقنعا الشيخ بوضع ختم توقيعه علي العريضة ، وذهبت الي مقر نائب الملك فى الهند وهي خلو من ختم الشيخ عليها ، مع أنه كان من أوائل المخططين لهذه العريضة والعاملين لها كما تقدم فى رسائله الى الحاكم عيسى بن علي ، ولا مشاحة أن الشيخ قاسم قد سر بخروج هذه العريضة الى حيز الوجود . الا أنه لم يوقعها اما لاعتماده فى صراعه مع الميجر ديلي على المناوأة السياسية الخفية كما أسلفنا (١) . أو لأنه رأى بثاقب فكره أن الفرصة قد فاتت لرفع هذه العريضة ..

---

(١) راجع ص ١٠٢ و ١١٥ من هذا الفصل .

الفصل الرابع

الشيخ قاسم والتبشير





مدخل

لا يسع من يريد أن يتحدث فى هذه الدراسة عن موضوع الشيـخ قاسم ابن مهزع والتبشير ، الا أن يأتى بمقدمة موجزة عن تاريخ التبشير وخط سيره منذ ابتدأ فى الوصول الى البحرين ، ابان قضاء ابـن مهزع بعقد أو بأكثر من السنين لاعطاء فكرة عن حقبته المتقدمة تلك .

واذا كان لا بد لكل باحث .. من مصادر غنية يستند اليها فى وضع بحثه ، خاصة فى مثل هذه الدراسة التى يجب أن يواكبها عن قرب تسلسل تاريخى لحوادثها .. ووجد تلك المصادر ، فانها تعد من الشواهد البارزة لمن يريد القاء جميع الأضواء التى تحت تصرفه فى الكشف على جميع نواحى الحياة النابضة لمثل شخصية ابن مهزع .

أما اذا أراد الدارس أن يكتب فى تاريخ التبشير ، وخط سيره فى هذه البلاد .. ليحدد موقف ابن مهزع منه ــ عبر وجـوده كقاضى البحرين الأول آنذاك ــ ووجد نفسه بعد جهد جهيد من البحث والتمحيص .. أمام نتف ونبذ ، مودعة ببطون كتب ومجلات .. أغلبها ذات صبغة لا هوتية، لأمر غاية فى الصعوبة (1) .

لكنه مما يساعد جداً .. هو ما يضطر الباحث أن يلتقطه من شفاه بعض المثقفين المعمرين ، من أبناء هذه البلاد ــ الذين عاصروا بدايـات التبشير فيها ــ حين يسردون ما رأوه ، أو عاشوه من حـوادث هـذا الموضوع .. أقول أنها تساعد ــ بعد غربلتها وضمها الى تلك النتف التي فى بطون الكتب ، والمجلات ــ فى اعطاء صورة واضحة لخط سير التبشير على زمن القاضى ابن مهزع . وهذا هو ما اتبعناه ، وسيجد القارىء أننا قد أثبتنا فى الحواشى لهذا البحث نتفاً من أقوال معاصرى ذلك الحـدث استخلصناها من مراجعها المطبوعة .

ونحن هنا لا يعنينا من موضوع التبشير شىء بقدر ما يعنينا مـن ملامسته لجانب من حياة القاضى ابن مهزع .. لكن لا يعنى ذلك أن نمـر عليه من الكرام .. مع أنه يمثل ظاهرة بارزة فى تاريخ البحرين الحديث ،

---

(1) مثل كتب (فتح العالم الاسـلامي) للمسيو أ.ل.شاتليه و (مهد الاسـلام) و (العالم الاسلامي اليوم) للمبشر صموئيل زويمر ، وملوك العرب للريحاني . ودليل الخليج ل.لوريمر والمجلات (المنار) لرشيد رضا و (المؤيد) لعلى يوسف ومجلة الاخاء العثمانى والمقتطف .

الذى كان ابن مهزع أحد أعلامه البارزين .. وكانت له طريقة خاصة فى التعامل مع التبشير .. على أساس أنه عضو غريب يراد زرعه فى جسم يرفضه .. فيتكرس تثبيته من سلطة الحماية فى البحرين ووكالتها فى (أبو شهر) .

كان أهل البحرين قبل عام ١٨٩٣ يصدرون عن أرضية اسلامية .. صلبة فى قيمهم وتقاليدهم ، ومهما أخذنا بعين الاعتبار الحركات الاسلامية التى كانت قائمة اذ ذاك كالوهابية المجددة الجادة ذات المنحى الاسلامى العقيدي ، والمهدية ، والسنوسية الجادتين ذواتى المنحى الاسلامى السياسي الصوفي (١) .

هذه الحركات الاسلاميةكانت لأولاها ملامسةمباشرة بأهل البحرين . والتى لثانيتها تأثير بسيط فى الخليج كما وقع فى الشارقة (٢) والتى لم يكن لثالثتها أى مساس أو تأثير لا فى البحرين وحدها ، بل ولا فى الخليج كله ..

هذه الحركات الاسلامية اذا اعتبرناها دعوات لها دعاة فى البحرين – آنذاك – لا تخرج عن كونها حركات اسلامية .. تدعو فى مناخ اسلامي .. ومهما ثارت الخلافات بينها وبين من تدعوهم ، فانهما لن يختلفا على جوهر الدين الواحد الذى يعتنقانه .. بسبب أنهما يجتمعان على التوحيد بعبادة الله الواحد الفرد الصمد ،وما جاء به محمد رسول الله من الدين الخالص، الذى تدين به جميع الأنبياء والمرسلين من قبله .

لذا فان التبشير حين حط رحاله فى البحرين اعتبرمن أهلها شاذا .. كل الشذوذ عن قاعدة تدينهم فوجد بعض مقاومة .. ووجد اجماعاً عفوياً على حصره فى دائرة ضيقة ..

غير أن الجمود الفكرى لدى غالبية علماء الدين فى البلاد آنذاك واقتصارهم على الناحية التعبدية فى الاسلام ، وتقليد عامة الناس لهم فى ذلك ، وما واكبه من فقر وجهل ومرض ترك الأبواب غير مقفلة فى وجه التبشير .. وأى تبشير .. انه التبشير الذى تمارسه بجد جمعيةالتبشير البروتستانتية الامريكية ، التى اطلق عليها منشئوها اسم (جمعية التبشير العربية) ، لأن مجال اختصاصها هو البلاد العربية .. !

---

(١) لم يكن للطريقة السنوسية أى تأثير فى الخليج .

(٢) كما فى الشارقة حين هدد أحد زعمائها الدينيين بالاتصال بالسيد المهدى فى السودان ضد الانكليز . (لوريمر القسم التاريخي) .

وجمعية تبشيرية كهذه .. فوق أنها بروتستانتية .. تختلف عن جمعيات التبشير الكاثوليكية المتزمتة (١) . فانها بدل ذلك كله تتميز فى الجمعيات التبشيرية البروتستانتية الأخرى .. بأنها جاءت بدماء شابة جديدة تجرى في عروق شباب من طلاب اللاهوت البروتستانتى ، فتثير فيهم رغبة ملحة وشوقا الى التبشير فى المجال العربى المسلم .

هؤلاء الطلاب الذين جاءوا فى آخر عقد من القرن التاسع عشر .. من بيئة تثبتت فيها أصول المنجزات الحضارية الجديدة فعرفوا كيف يستغلون تلك المنجزات فى عالم المال والتطبيب والتربية لصالح التبشير .. وفى مجتمع مسلم هو بحاجة ماسة الى تحسين أوضاعه فى النواحى الثلاث .

التبشير فى الدولة العثمانية

والتبشير فى ممالك المسلمين الخاضعة للخلافة العثمانية ، وأغلبه بروتستانتى النزعة ، كان يأخذ بعين الاعتبار الشديد مقاومة السلطة العثمانية له اذا ظهر أنه يعمل فى تنصير المسلمين من رعاياها .. لكنها سمحت للمبشرين ابتداء من القرن التاسع عشر باقامة مراكز طبية وتعليمية فى ممالكهاالتى يؤلف فيها المسيحيون ، وغير المسلمين أعداداً كبيرة . لذلك فقد استغل المبشرون هذه الميزة وبدأوا يعملون على تنصير المسلمين من رعاياها بطرق ظاهرة الرحمة وباطنها التنصير وهو ما كانوا يهدفون اليه بالدرجة الأولى (٢) فمارسوه بنوع من السرية عبر الجمعيات الخيرية .

---

(١) فى عام ١٦٢٤ وعلى عهد البرتغاليين فى الخليج .. وهم كاثوليك .. ويحتضنون التبشير بالكاثوليكية .. أعدمت فى شيراز الشهيدة (جاتيفاندا) والدة أحد الأمراء هناك ، بعد أن سجنت مدة أحد عشر عاماً ، عوملت خلالها معاملة قاسية ، وذلك لرفضها اعتناق المسيحية .

وقبل ذلك انتشرت الارساليات الكاثوليكية الرومانية فى اصفهان ابتداء من عام ١٦٠٨ ثم هرمز ١٦١٢ والبصرة عام ١٦٢٣ . (لوريمر فى دليل الخليج ج ٦ القسم التاريخى)

(٢) كان للمبشر (هنرى مارتين) يد طولى فى ارسال المبشرين الى بلاد آسيا الغربية ، فبعد أن أقام فى الهند مدة ، عرج على فارس والبلاد العثمانية ، وتوفى سنة ١٨١٢ ، وهو الذى ترجم التوراة الى الهندية والفارسية والأرمنية ، ومن بعده أخذت ارساليات التبشير تشد الرحال الى الأناضول ، وفلسطين ، واتخذت لها مراكز فى آزمير والقسطنطينبة ، وبيت المقدس ، وتصدرت للتبشير فى صفوف النسطوريين على حدود فارس والسلطنة العثمانية ، وفى صفوف اليعقوبيين فيما بين النهرين . وفى مقدمة هذه الجمعيات لجنة التبشير الأمريكية ، الا أن جمعيات اليهود الانكليزية سبقتها الى بعض البلاد العثمانية ، مثل ازمير والأستانه =

هذا حين كان للخلافة العثمانية شأن كبير من الهيمنة على ممتلكاتها . . ولكنها حين سقطت مترنحة بفعل ضربات الغرب المسيحى من الخارج ، والجمعيات السرية من دونمية وماسونية ، وعنصرية ، وصهيونية انفتحت أبوابها على مصاريعها للتبشير وأصبح يأخذ صورة علنية حتى كان المبشرون يتدخلون فى الشؤون السياسية للخلافة العثمانية لصالح دولهم (١) . .

وتكلل كل ذلك التجاوز عن أعمال المبشرين بصدور الدستور العثمانى زمن السلطان عبد الحميد (٢) عام ١٩٠٨ .

= وسلانيك ، فافتتحت بها مدارس دينية ومعابد ومنذ سنة ١٨٤٩ أخذت ترد ارساليات أخرى الى هذه البلاد فقسمتها الى مناطق وأصابت لجنة التبشير الأمريكية منطقة قبائل النصيرية فى سوريا ، فأخذت على عاتقها تنصير هذه القبائل ، وذهب قسم من هذه الجمعية الى بلغاريا لينفذ خطته هناك . (كانت بلغاريا آنذاك من ممتلكات الخلافة العثمانية .. ولم تذهب هذه الجمعية لتبشر بين سكانها من المسيحيين .. انما ذهبت لتنصير سكانها من المسلمين الذين يعدون بمئات الالوف) المؤلف .

(١) اما موقف الحكومات الاسلامية امام ارساليات التبشير ، فكان يختلف باختلاف البلاد ، فالقبائل العربية المستقلة فى بلاد العرب عدوات لدودات للمبشرين .. وكانت الحكومة التركية تبدى ضروب الاستبداد نحو المبشرين على اختلاف مذاهبهم ، بسبب الدور السياسي الكبير الذى يمثله نفوذ المبشرين على مسرح المسألة الشرقية ..

هذه الحاشية عدى كلام المؤلف الذى بين قوسين ، هي من كلام المبشر المستر (ادوين بلس) فى كتابه (ملخص تاريخ التبشير) نقلته عنه (مجلة العالم الاسلامي) الفرنسية فى عددها الخاص عن التبشير الذى صدر عام ١٩١٢ . وترجمه عن الفرنسية كل من محب الدين الخطيب ومساعد اليافي المحرران فى جريدة المؤيد ونشراه فى الجريدة فى نفس العام .

(٢) قال القس (تروبريدج) فى تقريره للمؤتمر التبشيرى البروتستانتي الذى انعقد فى مدينة لكهنو يوم ٢١ يناير عام ١٩١١ حين أشار الى ملخص البند العاشر من القانون الأساسي (العثماني) الذى يحظر خرق حرية الأفراد ، أو القبض على أى شخص ومعاقبته بلا مسوغ منصوص عليه فى الأحكام الشرعية الاسلامية ، والنظامات (الكذا) القانونية .. وقد قسم الكلام على أعمال المبشرين بالنسبة الى موضوعها ليسهل الوقوف على موقف الحكومة (العثمانية) ازاء كل منها .

فقال عن الأعمال المدرسية ان باستطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير ، وبين جدران الكلية الانجيلية فى بيروت (الجامعة الأمريكية فى بيروت الآن) ١٠٤ من المسلمين ، وفى كلية الآستانة ٥٠ وفى كلية المبشرين فى (كدك باشا) فى الآستانة أيضا ٨٠ ومنذ بضع سنين صدر اذن خفي بجواز التردد على الكلية الأولى والثانية . ثم قال : اما التبشير الانجيلي فى الشوارع والأسواق فمحظور . ! وقد دخل التسامح فى شكل جديد عقب قبول اندماج المسيحيين فى الجندية ، لأن ارتداد المسلم عن دينه يعتبر خيانة ووسيلة للتخلص من الجندية ، أما الآن فاصبحت مسألة اعتناق الدين المسيحي دينية محضة .. (تقرير القس تروبريدج) فى مجلة العالم الاسلامي الفرنسية عام ١٩١٢ ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي فى الغارة على العالم الاسلامي ص ١٨٠ و ١٨٣ .

أما البلاد الاسلامية التى لم يكن للخلافة العثمانية نفوذ عليها مثل بلاد ايران ، والمستعمرات الهولندية فى جنوب شرقي آسيا ، والمستعمرات البرتغالية فى أفريقيا ، ومستعمرات بريطانيا كالهند والخليج .. فالتبشير كان قائماً فيها على قدم وساق ، ولا تعوقه أى مقاومة محلية ، ومتى ما حدثت فانها تطوق بنفوذ الدولة المستعمرة حيث تحول الى نتيجة ايجابية لصالي التبشير ، والمبشرين (١) .

والبحرين بين بلاد الخليج العربية المشمولة بالحماية البريطانية منذ عام ١٨٢٠ ، وقد كانت عبر تاريخها فى تجارة اللؤلؤ مهبط الأغراب من جنسيات مختلفة . ووصلتها طلائع التبشير البروتستانتى ، وبها الايرانى والهندى والأفريقى والأوربى (٢) . أصبحت مكانا مناسبا لاتخاذها قاعدة للتبشير البرتستانتى فى الخليج وعمان (٣) .

الشيخ قاسم والتبشير

كل هذا المدخل هو موجز جئنا به لاعطاء فكرة واضحة عن ماهية ووزن التبشير فى البلاد الاسلامية .. يوم وصلت طلائعه الى البحرين .

وعلاقة ابن مهزع بهذا الامر ، هى علاقة قاضى البلاد ، الذى كان له الحول والطول — آنذاك — فى الامر باخراج كل غريب طارىء على البلاد ، اذا ثبت عليه أنه يحاول تغيير أخلاقياتها فى العرف والتقاليد الاسلامية بأي الطرق التى يشتم منها ذلك (٤) . فكيف بمن يحاول التغيير فى معتقدها

---

(١) وقد كانت العلاقات بين المبشرين والسلطات السياسية البريطانية علاقات ود وصداقة .. أبدت هذه السلطات الاستعداد والمساعدة فى كل وقت (دليل الخليج ج ٦ ل. لوريمر ص ٣٣٠٢) .

(٢) كان عدد المسيحيين من بين الأجانب فى البحرين ابان وصول طلائع المبشرين اليها أواخر القرن التاسع عشر حوالي ٤٠ فرداً فقط بين فرنسي وانكليزى والماني وأرمني وهندى وأغلبهم يشتغلون فى تجارة اللؤلؤ والأصداف والمجوهرات (دليل الخليج ج ٦/ل. لويمر ص)

(٣) كانت مدينة المنامة هي مركز الارسالية فى البحرين وكان العمل التبشيرى فى جزر البحرين وسواحل الاحساء وعمان يدار من مركز المنامه (دليل الخليج ج/٦ القسم التاريخي ل . لوريمر ص ٣٣٠٠ و ٣٣٠١) .

(٤) كان الزمن أواخر القرن التاسع عشر ، ووهما كان مجتمع البحرن عامة مجتمعا محافظا على أخلاقياته الاسلامية . فالشباب يتزوجون مبكرين اذ لا تغال فى المهور ولا شطط . لذلك يكاد مجتمعهم يخلو من الزواني والزناة ، الذين يتعاون الحاكم والقاضي فى قطع دابرهم ، ان وجدوا وهو مجتمع يكاد يخلو من الخمور وشاربيها .. وكذلك فانه — آنذاك — ليس بمجتمع ربوى .

طبيعي أن ابن مهزع قد علم بوصول نصارى جـدد الى المنامة (١)
والى هنا والأمر عادى جداً .. فهؤلاء النصارى لا يفتأون يأتون الى المنامة
تجارا للؤلؤ أو وكلاء لتجار أوربيين كبار . لكنه حين جاءه من أخبره بأن
رجلا نصرانياً يبيع نسخاً من الانجيل للناس قام ولم يقعد حتى استصدر
أمراً من حاكم البلاد بطرده .. يومها تدخل الوكيل السياسى البريطانى
فى الخليج فى الأمر .. ليبقى المبشر الاول فى البلاد ولا يخرج منها الا بارادته
هو ، ويومها أيضاً قيل كالعادة لحاكم البلاد وابن مهزع أن هذا المبشر يعمل
فى تجارة الكتب والتدريس والتطبيب .. ولا دخل له فى المعتقد والدين .

لكن القاضى ابن مهزع لم يترك الأمور تجرى كما يحب المبشر الاول
فحين علم أن بمعيته بعض المبشرين الاخرين بدأ يحاصره بطريقة أخرى
هى عدم اعطائه هو ومن معه أى تسهيلات فى اقامتهم والتضييق عليهم ..
وبث العيون لرصد حركاتهم . فهو وان لم ينجح فى السعى لاخراجهم من
البلاد .. بدأ فى توعية العامة ــ عن طريق العلمـاء والتجار ــ بأغراض
المبشرين ، مستعملا رؤيته العقيدية المحضة ، لذا فقد أصبحت تلـك
التوعية محدودة الفائدة بالنسبة لأهداف المبشرين البعيدة ، وذلك لعـدم
استطاعة الشيخ والعلماءأمثاله الانفتاح على عالم التبشير برفضهمالاحتكاك
بالمبشرين مباشرة ، لاعتقادهم أن ذلك تنازلا منهم فى عقيدتهم ووهن منهم
فى دينهم ، بينمـا المبشرون فى الطرف المقابـل ، وفيهم طـلاب لاهـوت
متخصصون ، ومستشرقون يجيدون اللغة العربية ..مستعدون للاحتكاك
بعلماء الدين من المسلمين . كانوا على قدر كبير من الثقافة العامة .. وعلى
دراية واسعة بالمنطق . كانوا يعرفون متى وأين يبدأون مناقشة خصومهم ،
وكيف ينهونها ، فى الوقت المناسب (٢) . هذا الأمر كثيراً ما يحدث فى غياب
أندادهم ــ فى الانفتاح على الثقافة العالمية الحديثة ــ من علماء المسلمين .
وهذا ما حدث فى البحرين ــ آنذاك ــ فساهم هو وعوامل أخرى ذكرناها
سابقاً فى تثبيت قدم التبشير فى البحرين ليتخذها مركزاً لادارة أعماله فى
الخليج والبلاد العربية القريبة منه كما أسلفنا ..

---

(١) النصارى كان تعبيرا شائع الاطلاق على كل الأوربيين الذين يأتون ــ آنذاك ــ الى البحرين والبلاد الاسلامية المجاورة .

(٢) من تلك المناقشات .. ما ذكره سائح عربي زار البحرين عام ١٩١٢ واتصل بالمبشرين فى مكتبتهم بالمنامة ، وكتب رسالة مطولة عنهم الى السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار القاهرية ونشرتها المنار بتوقيع سائح ناصح ..

قال فى الرسالة ما يلي : ولقيني معلمهم (لم يذكر اسمه ، لكن قد يكون المعلم دي كسرا نائب القس زويمر فى رعاية الجمعية التبشيرية فى البحرين من عام ١٩١٠ الى ١٩١٢) =

الصراع الخفى .. بين ابن مهزع والمبشرين

وقبل أن ندخل فى حيثيات الصراع الخفى بين الشيخ قاسم بن مهزع وبين التبشير الذى أصبح أمراً واقعاً فى بلاده مسنوداً من قبل هيئات تبشيرية عالمية ، وسلطات الحماية فى الخليج .. يحسن بنا أن نعطى صورة مصغرة عن بدايات تاريخ وصول طلائعه الى البحرين ، وتمركزها فيها .

ان مضى ثمانين عاماً بالتحديد على وصول أول بعثة تبشيرية مسيحية الى البحرين ليس بالزمن البعيد ، غير أن المصادر التاريخية قليلة جداً ، وخاصة فى حديثها عن موضوع التبشير فى البحرين . بينما هى توفى قضايا التبشير فى البلاد الاسلامية عامة حقها من التوسعة والتفصيل عبر تقارير المؤتمرات التبشيرية والاستعمارية ، تلك المؤتمرات التى أخذت تتالى بكثرة ابتداء من أوائل القرن العشرين (١) وعبر نشرها فى المجلات التى تعنى بشؤون الشرق الاسلامى من تبشيرية واستعمارية . وان هذه المصادر التاريخية القليلة ، والتى تكلمنا عنها سابقاً هى مصادر بلغات اجنبية أما ما باللغة العربية منها فتكاد تكون نادرة .

وطبيعى ان المصادر الاجنبية دقيقة فى سرد الحوادث التاريخية عامة ، الا انها فى مجال التبشير كثيراً ما تعتمد فيها على تقارير موظفين فى الجمعيات التبشيرية ، قد يهمهم ابراز انجازات جمعياتهم التبشيرية

= (المؤلف) بعض الأيام وسألني عن قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الأرض خليفة ..) الخ الآية . فقال (أي ان المعلم البشر طرح السؤال .. وأجاب هو نفسه عنه) : ان المستفاد من الآية هو علم الملائكة بالغيب ، بل بما لم يعلمه الله تعالى . قلت ياسبحان الله كيف تستفيد ذلك من الآية مع تصريح الملائكة فى هذا السياق بقولهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) وتصريح البارى جل شأنه بقوله : (اني أعلم مالا تعلمون) .

ثم ان الملائكة لم تعترض على الله فى خلق آدم ، وانما استفهموا منه تعالى على جواز صيرورة الظالم المفسد (فى رأيهم) خليفة فقالوا بعد قوله : (اني جاعل فى الارض خليفة) (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، الخ) ومتى كان هذا القول من الملائكة استفهاما وسؤالا عن جواز استخلاف الله ظالما ، ولم يكن ذلك منهم اعتراضا عليه دل ذلك على عدم علم الملائكة بالغيب وعلى سعة علم الله تعالى دون العكس كما توهمت .)

(١) علاوة على المؤتمر التبشيرى العام الذى يعقد فى مدراس بالهند كل عشر سنوات . عقد فى القاهرة يوم ٤ ابريل عام ١٩٠٦ مؤتمر تبشيرى برئاسة (صموئيل زويمر) وحضره (٦٢) مندوبا عن جمعيات تبشيرية بروتستانتية . ولأمر ما عقد فى منزل عرابي باشا فى باب اللوق . وعقد مؤتمر اندنبرج التبشيرى فى سبتمبر عام ١٩١٠ وحضره الف ومائتي مندوب . ثم المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى لكهنو بالهند يوم ٢١ يناير ١٩١١ برئاسة زويمر أيضا وحضره ١٦٨ مندوبا مشتركا ومائة وثلاثة عشر مراقبا . والمؤتمر الاستعمارى الالماني الذى عقد عام ١٩١١ ايضا .

بصورة غير حقيقية يكتنفها شيء من التهويل ، واضفاء صورة النجاح الساحق على أعمالها استمرارا للتكسب (١) عن طريق ذلك .

روايات ثلاث

أمامنا الان روايتان اخترناهما من مصادر عدة جاءت بنتف عن تاريخ وصول أول بعثة تبشيرية الى البحرين ، مسجلة أعمالها الأولى فى مجال التبشير . أولى هاتان الروايتين ، غربية والاخرى عربية ، وهو ما كنا نقصده ونتوخاه فى بحثنا هذا . فالتبشير .. أعمال غربية .. مسرحها بالنسبة لنا نحن العرب — بلادنا العربية ..

غير أنه كان بودنا أن يكون لنا مصدر أهلى بحرانى كان قد سجل قبل ثمانين عاما هذا الحدث التاريخى الا أنه قد يكون لنا بعض العزاء حين نقرأ في المصدر العربى المسجل لبعض قضايا التبشير الأولى فى البحرين أسماء مثل يوسف كانو ومقبل الذكير ، وناصر الخيرى وقاسم بن مهزع ، مما سنعرض له فى الصفحات المقبلة من حيثيات الصراع الخفى بين ابن مهزع والمبشرين .

يبقى الحديث فى الابانة عن معالم المصدر الأهلى البحرانى لرواية حوادث التبشير الأولى فى البلاد .. وهذه المعالم قد وضحت لنا دقائقها بعد الكشف عنها خلال تنقيباتنا عن تراث البحرين الأدبى الحديث عبر أعلامه . وكان من نتيجة ذلك أن تجمت بين أيدينا تلك الدقائق مكونة صورة واضحة لرواية أهلية وثيقة عن بدايات العمل التبشيرى فى هذه البلاد .

ولقد زادنا وثوقا بهذه الرواية — بعد مقارنتها بالروايتين الغربية والعربية — التقاؤها الكامل فى الاطار العام لتلك الروايتين . وتزيد عليهما

---

(١) ولا يظهر خلال هذه الاعوام (اى من عام ١٨٩٣ الى عام ١٩١٣) ابان (نشر الحديث التالي فى مجلة المنار القاهرية) اي نجاح لزويمر الا فى امور أربع .. الاول : زيادة راتبه ومعاشه الى مائة وخمسين روبية فى الشهر غير ما يتبرع به عليه بعض احبائه من الامريكانيين . الثاني : تكثير عدد الدعاة فى بلاد البحرين من رجال ونساء امريكيات يتطلبون بمسعاهم الارتزاق .

الثالث : استخدامهم لفقراء المسلمين فى ادارتهم ، ثم يأخذون صورهم ويرسلونها الى بلاد أخرى يشيعون عنهم أنهم تنصروا ، والصحيح أنهم تبصروا فى دسائس مخالفيهم . ولقد وجدت فى مستخدميهم الغيرة الاسلامية ، والشكوى مما هم فيه ، حيث أن الفقر ألجأهم الى خدمة عباد المسيح . (المنار/ج ٥/م ٦/ص ١٩١٣/٣٨١) .

بأفضلية كونها تحمل تفاصيل فى مجال بدء العمل التبشيرى فى البحرين ليست موجودة فيهما ..

لهذا فسنعتمد على روايتنا الاهلية فى اعطاء فكرة .. عن الاعمال الاولى للتبشير فى بلادنا . معززينها بما يقابلها من الشواهد فى الروايتين الغربية والعربية عبر حواشى هذا الفصل .

تقول روايتنا أنه حوالى عام ١٣١٠هـ وصل الى المنامة زويمر (١) وبعض رفاقه واستأجروا بيت الحاج يوسف بن عبد الله الشتر ثم بـدأ زويمر يتصل بالناس فى الأسواق ، ويناقش الشباب منهم فى أمور الدين باللغة العربية ، فقد كان يجيدها .

وبدأ يتحسس فيهم ميولهم وآمالهم وآلامهم .. ولكنه وجد فيهم نفورا شديدا وجفاء لكل غريب لا تجمعه واياهم رابطة الدين .. حين يدأب هذا الغريب فى البحث فى شؤونهم الدينية .

---

(١) هو القس صموئيل زويمر ١٨٦٧ ـ ١٩٥٢ ولد فى أمريكا الشمالية وبها درس اللاهوت والاستشراق والتبشير . كان طالبا مجدا فى دراسته وحين بلغ الثالثة والعشرين أنشأ هو وطالب آخر من زملائه بالاشتراك مع أستاذهما الدكتور لاينسج .. استاذ اللغتين العربية والعبرية فى كلية اللاهوت التابعة لكنيسة الاصلاح الأمريكية بنيوجرسي ـ أنشأوا ـ الارسالية الأمريكية للتبشير فى الخليج عام ١٨٨٩ وأسموها (الارسالية العربية) وأصبحت تابعة لكنيسة الاصلاح الأمريكية فى الادارة والانفاق وفى عام ١٨٩٣ وصل زويمر الى البحرين ، وبدأ يبشر فى المنامة بين عامة الناس . وفى نفس العام ذهب الى الاحساء .. لكنه عاد منها الى البحرين مطرودا من الوالي التركي . ومن البحرين انطلق خلال بلاد عمان والساحل المتصالح وعاد الى البحرين مرة آخرى ، وقد تأكد انها آنسب مكان لتآسيس مركز الخليج للتبشير فيها فأسسه ابتداء من عام ١٨٩٤ بمدرسة تبشيرية صغيرة وحانوت لبيع الكتب المسيحية مثل العهدين الجديد والقديم . وفى عهد ادارته استطاع بجهوده لدى الممثلين السياسيين البريطانيين فى الخليج من بناء المركز عام ١٩٠٢ .

وهو أول من دعى الى عقد المؤتمرات التبشيرية البروتستانتية فاستطاع عقد مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦ برئاسته ، ومؤتمر اندنبرج عام ١٩١٠ ، ومؤتمر لكهنو بالهند عام ١٩١١ برئاسته ايضا وهو المحرر الأول لمجلة العالم الاسلامي الانكليزية ، وهي مجلة استشراقيـة تبشيرية صدرت فى فبراير عام ١٩١١ .

تردد على مصر فى مهمات تبشيرية كثيرة ، وعلى عهد كرومر فيها كان هذا اليد اليمنى لزويمر فى تلك المهمات . ولزويمر دراسات كثيرة فى التبشير والاستشراق منها كتاب العالم الاسلامي اليوم ، ومهد الاسلام ، ويسوع فى احياء الغزالي .

وله التقارير الكثيرة فى التبشير تلك التي كان يقدمها فى المؤتمرات التبشيرية .

كان يتصرف فى التبشير بطريقة لا يحس بها ابن مهزع ولا العلماء فى البحرين وهو أول من استعمل التصوير الفوتغرافي فى البحرين بآلة آحضرها معه عام ١٨٩٣ وصور بها فيمن صور القاضي ابن مهزع ، دون ان يشعر القاضي بها ، وأرسل بالصورة الى آمريكا .

وزويمر اول من ركب الدراجة فى البحرين ،وقد أحضرها معه أيضا حين مجيئه أول مرة .

كان زويمر يقول لهؤلاء الشباب وأمثالهم : أنه جاء اليهم فى بلادهم ضيفاً عليهم .. واذا لم يقبلوه فهو ضيف الله ..وهم يقولون له لست بضيفنا .. ولا ضيف الله .. أنت ضيف ابليس (١) وبقى هذا اللقب عالقاً به طوال تردده على البحرين بعد ذلك .

وفى اول الامر ضاقت ارض البحرين بما رحبت على القس زويمر ورفاقه ، فغادرها في ذات السنة التي جاء فيها الى الاحساء (٢) وبطريقة ما .. مر بموظفي ميناء العقير من الاتراك دون ان يشعروا به ، فوصل الى الهفوف وهناك علم به الوالي التركي فطرده ، ولما لم يكن فى الاحساء ممثلين او وكلاء لدول غربية يستطيع زويمر ان يستعين بهم لابقائه هناك غادرها الى البحرين ، ولم يعد اليها ثانية (٣) بعد عودة زويمر الى البحرين استأجر فى المنامة بيت حجي جمعة بن ناصر (مدرسة عائشة ام المؤمنين الآن) وجعله مدرسة لتعليم اللغة الانكليزية ومكتبة عامة بها قسم لبيع كتب التوراة والانجيل .

فى هذا المركز الاولي للتبشير فى المنامة بدأ زويمر عمله عام ١٨٩٤ فى التبشير بين طلاب المدرسة ورواد المكتبة القليلين وعدته فى ذلك ادواته من خرائط وكرة ارضية ، وفانوس سحرى (٤) وكتب تبشيرية خاصة ، ثم

---

(١) أولئك الشباب آنذاك ، مثل خليل المؤيد ، ومحمد صالح يوسف ، ويوسف الشتر ، ويوسف كانو ، وناصر الخيرى ، ومحمد حسن العريض ، وعلي يتيم ، وسلمان التاجر ، ومحمد كانوا ، ومحمد علي التاجر .

حينما كان بعض هؤلاء الشباب يدرسون فى جامعة (عليكره) فى دهلي عام ١٩١١ زارهم فى أحد الايام القس زويمر — وكان قد حضر الى دهلي ليرأس مؤتمر لكهنو التبشيرى ، كما أسلفنا — فدخل عليهم فصلهم الذى كان يشاركهم فيه طلاب آخرون من جنسيات مختلفة ، وقال السلام عليكم ، فرد عليه الجميع بمثل تحيته ، الا شباب البحرين من بينهم ، فقد أضافوا عليها قائلين : أهلا .. ضيف ابليس ، فأجابهم قائلا : الى الآن لم تنسوها .. ؟

(٢) وفى نهاية العام (أى عام ١٨٩٣) قام أول مبشر بزيارة الاحساء (لويمر فى دليل الخليج القسم التاريخي ص ٣٣٢٩) .

(٣) وكانت عداوة موظفي الحكومة الاتراك مصدرا للمتاعب . (المصدر نفسه ص ٣٣٠٢) .

(٤) والتعليم المدرسي والتربية الاخلاقية اللذين يعنى بهما المبشرون قد اسفرا عن نتائج جمة وأثمرا ثمرات نافعة فى الأطفال والمراهقين على السواء .. (من تقارير القس زويمر ، الذى قال مرة أنه جمع تلاميذه المسلمين مرة ووضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الأرضية ، ثم حول عليها نورا قويا وبرهن لهم بذلك على ان الأمر بصيام شهر رمضان ليس آتيا من عند الله لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة فى بعض البلاد !!

وقال أيضا : ان المحاضرات التي يلقيها القسس المبشرون على الحاضرين من المسلمين أثناء تمثيل حوادث التوراة بالفانوس السحري والخرائط الاحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية ، وانحطاط ممالك الاسلام كل ذلك تتمة لوسائل التعليم البروتستانتي . (من كتاب العالم الاسلامي تاليف زويمر بمؤازرة زملاء له فى التبشير والاستشراق) .

منطقة البروتستانتي القوى ، وكانت المدرسة تتألف من طابقين واحد للتدريس وآخر للصلاة (١) .

ثم بعد ذلك بدأ محاولاته مع حاكم البلاد الشيخ عيسى بن علي لشراء ارض يقيم عليها مستشفى ومركزا للارسالية التى يتبعها ، ولكن الحاكم رفض تلك المحاولات ، ولم يسمح ببيع اى ارض لزويمر وبعثته ، وقيل يومها ان ابن مهزع كان وراء اصرار الحاكم على رفض ذلك .

ومع ان زويمر تعهد للحاكم ان لا يكون هذا المركز مقراً للتبشير الا أن الحاكم لم يكن ليصدق عهد زويمر له ، واستمر على رفضه ذلك . فما كان من زويمر الا ان استعان عام ١٨٩٩ بالمقيم السياسى البريطاني الكولونيل ميد فى الزام الحاكم باجابة طلبه ، لكنه لم ينجح ، واعاد الكرة عام ١٩٠١ مع الكولونيل كومبول ونجح (٢) هذه المرة .. وهكذا وبسرعة استطاع أن يشترى من الحاكم قطعة الأرض الكبيرة التى بنى عليها مستشفى (ماسون الأمريكى) فيما بعد ، بثمن قدره أربعة الاف روبية . فلما نظر وقدر رأى أنه لا تكفى هذه الارض لتسع المستشفى والمدرسة ، فاستجدى من عبد العزيز القصيبى أرضه المجاورة للأرض التى اشتراها من الحاكم من الحاكم فتمخض عطف القصيبى عليه باهدائها له . وكان ذلك عام ١٩٠١ أيضا ، وبذلك تمكنت ارسالية التبشير الامريكية من بناء مستشفاها عام ١٩٠٢ ، وما حل عام ١٩٠٦ حتى كانت جميع المبانى الملحقة قد اكتملت .. مكونة بذلك المركز العام للارسالية فى البحرين (٣) .

---

(١) ولدعاة البروتستانت فى البحرين مدرسة صغيرة مركبة من حجرتين يجلس الأطفال فى التحتانية منهما ، ويجتمع الكبار للصلاة (الكنيسة) فى الفوقانية ، ولا يبلغ تلاميذها عدد الأصابع ، وما فيها من المسلمين غير صبيين عربي وفارسي يتعلمان فيها الانكليزية (المنار/ج ٥/م ١٦/ص ٣٧٩ من رسالة السائح الناصح فى البحرين عام ١٩١٣) .

(٢) وبعد أعوام عزم (يعني زويمر) على شراء أرض هناك (أي فى البحرين) فامتنع الحاكم أن يبيعه مع أنه اشترط على نفسه أن لا يضع فيها ناقوسا ، ولا غيره من آثار النصرانية ، ولا يدعو فيها الى دينه ، ولكن زويمر توسل بقونسلية الانكليز فى (بوشهر) والبحرين ، فألحت القونسلية على الحاكم وأخذت منه قدرا واسعا من الأرض لزويمر بثمن أربعة آلاف روبية تقريباً وأسسوا فيه مدرسة ومستشفى صغيرا لنشر دعوة الانجيل بتمام حريته .. (المصدر نفسه) ، ودليل الخليج ج ٣ ص ١٤١٠ .

(٣) كان مستشفى (ماسون) التذكارى أحد المعالم الرئيسية للارسالية فى البحرين ، واشتمل هذا المستشفى على واحد وعشرين سريرا ، وكان يتكون من عنبر رئيسي ، وعنبرين خاصين وعنبر للحريم ، وحجرة عمليات معدة اعدادا كاملا . وكانت الهيئة الطبية العليا للمستشفى تشمل ممرضة أمريكية مدربه وثلاثة من المساعدين . وكان المبنى ملكا للارسالية . وكانت الاستشارة الطبية والدواء يعطى فقط للذين يحضرون صلاة الصباح ، التى يبدأ =

وبعد ذلك بقليل تمكنت الارسالية من شراء حانوت تاجر السلاح المسيو جوجوير الكائن بحى الفاضل من المنامة (١) ، وحولته الى مكتبة عامة .. وبها قسم لتسويق الأنجيل باثمان مخفضة ، وبعضها بالمجان .

التبشير في البحرين على عهد ابن مهزع

هذه خلاصة البدايات الطلائعية والاستيطانية للتبشير فى البحرين . وبعدها توسعت اعماله فيها .. مما لا يخفى على كل راصد لحركته كوافد لاهوتى خدوم .. كان يجيء مرة فى مقدمة الاستعمار ، ومرة فى ساقته ، محاولا تغيير معتقد بمعتقد ، فلم يستطع الا فى القليل النادر .. وخاصة الى اللامعتقد ـ فما ينبئك مثل خبير كالقس زويمر حين قال فى مؤتمر القدس التبشيرى عام ١٩٣٢ يوم خاب أمله فى تنصير العالم قاطبة في مدة ٢٥ عاماً (٢) ما معناه (أننا قد لا نستطيع ادخال المسلمين فى حظيرة

= بها عمل اليوم . وافتتحت مدرسة للبنين،واخرى للبنات . وكان يقوم بالتدريس فيها عدد من المبشرين ، الى جانب مدرسين من البحرين ، ووصل عدد الطلاب الى ٨٥ طالبا عام ١٩٠٥ . وفى عام ١٩٠٦ كان مبنى الارسالية جاريا بناؤه . (لوريمر فى دليل الخليج ج ٦ / ص ٣٣٠٠ و ٣٣٠١) .

تنبيه : عرض لويمر هذا لا يرقى فى تاريخه الى ما بعد عام ١٩٠٦ ، ولا هو من المسلمات التي لا تناقش .. غير انا لسنا معنيين بدراسة هذا العرض التاريخي الآن ، وسنفرد له ولأمثاله دراسة خاصة فى المستقبل القريب . (المؤلف) .

(١) المسيو جو جوير تاجر فرنسي اشتهر فى الخليج بتجارة السلاح ، كان يتردد على مدينة المنامه ، ثم جاء عام ١٨٩٩ واستقر بها كتاجر سلاح أو كوكيل تجاري لبعض شركاته الا ان المقيم السياسي البريطاني فى الخليج حظر الاتجار فى السلاح على اهل البحرين تنفيذا لاتفاقية منع الاتجار بالسلاح التي أبرمها الحاكم الشيخ عيسى بن علي عام ١٨٩٦ واغلق فيما أغلق من متاجر السلاح فى المنامة متجر المسيو جو جوير عام ١٩٠٥ ثم تمكن هذا من بيع متجره على الارسالية الأمريكية بعد أن صودرت محتوياته من قبل المقيمية البريطانية.

(٢) قال زويمر فى آخر مناقشات مؤتمر القاهرة التبشيرى عام ١٩٠٦ ما يلي : وهذه الخارطة التي نراها أمامنا الآن موسومة باسم (خريطة تنصير العالم الاسلامي فى هذا العصر) قد بعثت الأمل فى قلوب الوف من الطلبة فى مؤتمر ناشفيل الذى انعقد فى شهر فبراير الماضى. (الغارة على العالم الاسلامي ص ٧٤ تعريب محب الدين الخطيب ومساعد اليافي) .

ثم اجتمع متمولو أمريكا واغنياؤها لأول مرة سنة ١٩٠٦ بدعوة من أحد الأغنياء التجار في واشنطن ، وهو الذى انبهر بما قام به شبان التبشير فى مؤتمرهم فى (ناشفيل) فقرر هؤلاء المتمولون تاليف لجنة منهم للمذاكرة مع رؤساء كل ارساليات التبشير الامريكية فى الامور الآتية :

١ ـ بذل المجهودات لأجل تربية المبشرين العلمانيين .

٢ ـ البحث وأعمال الفكرة لرسم خطة تنصير العالم قاطبة فى مدة ٢٥ سنة (المصدر نفسه ص ٢٣٥) .

المسيحية فهم قد لا يفضلون ترك الاسلام الى غيره . ولكننا قد نستطيع اخراجهم من الاسلام .. فقط بتشكيكهم فيه كنظام ..)

وانه لما يزيد أهل البحرين فخراً وخاصة الشباب منهم آنذاك أن يصمدوا امام مجتهد التبشير الاكبر القس الدكتور فى اللاهوت صموئيل زويمر ، الذى اعترف بفضله كل دهاقنة التبشير فى العالم ، فهو الأب الروحى للمؤتمرات التبشيرية فى النصف الاول من القرن العشرين ، وابو التصحيات الجلى فى سبيل نشر عقيدته يزرعها هنا وهناك بذهنية المستعمر المتوسل بالتبشير لتأييد استرقاقه للمسلمين (1) ولقد كان زويمر من المستشرقين المرموقين ، والمعروفين بكتاباتهم الكثيرة فى الشؤون الاسلامية .. لكنه ليس حجة فى ذلك لتميز كتاباته عن الشؤون الاسلامية بالتضليل والتجهيل نتيجة تأثيرات صليبية حقودة كان يصدر عنها فى تلك الكتابات ، مما جعله يرفع من تأثير التبشير بالنصرانية بين المسلمين ، ويحط من تأثير العوامل الاخرى فى تطورهم .

بمثل هذه الروح الانجيلية المتزمتة كان زويمر ورفاقه يحاورون ويجادلون الشباب فى المنامة ، حينما يلتقون بهم ، أو حينما يأتى هؤلاء

---

(1) يقول المسيو أ . ل شاتليه رئيس تحرير مجلة العالم الاسلامي الفرنسية فى مجلته عام ١٩١٢ ما يلي :

الا ان لارساليات التبشير مطامع اخرى كما يتبين من الجملة الآتية التي استخرجها من رسالة ارسلها الي من جزيرة البحرين (قرب عمان) فى ٢ اغسطس سنة ١٩١١ حضرة القسيس المحترم صموئيل زويمر منشيء مجلة العالم الاسلامي الانكليزية وهو يبني فيها صروح آمال شامخة على أعمال المبشرين البروتستان قال : (ان لنتيجة ارساليات التبشير فى البلاد الاسلامية مزيتين : مزية تشييد ومزية هدم ، أو بالأحرى مزيتي تحليل وتركيب . والأمر الذى لا مرية فيه هو ان حظ المبشرين من التغيير الذى أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى وجهات أخرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه . ولا ينبغي لنا ان نعتمد على احصائيات (التعميد) فى معرفة عدد الذين تنصروا رسميا من المسلمين لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات من الناس ، انتزعوا الدين الاسلامي من قلوبهم ، واعتنقوا النصرانية فى طرف خفي) !

ويرد شاتليه على زويمر فيقول : لا شك فى ان ارساليات التبشير من بروتستانية وكاثوليكية ، تعجز عن آن تزحزح العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك الا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية فبنشرها اللغات الانكليزية ، والالمانية والهولندية والفرنسية يحتك الاسلام بصحف أوربا ، وتمتد السبل لتقدم اسلامي مادى ، وتقضي ارساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية ، التى لم تحفظ كيانها وقوتها الا بعزلها وانفرادها أما ما يقوله حضرة مكاتبنا (زويمر) عن وجود فئات من المسلمين اعتنقوا النصرانية سرا وينتظرون فرصة للجهر بها ، فذلك أمر لا يمكننا البت فيه مع حضرة الكاتب.

الشباب الى مكتبة الارسالية للمطالعة ، أو الى مدرستها لتعلم اللغة الانكليزية .

لقد استقطبت هذه المحاورات والمجادلات بين شباب البحرين آنذاك ، وبين المبشرين ، من الزمان ما امتد الى ربع قرن ، ومن المكان ما وصل الى القاهرة والقارة الهندية ..

كانت الظروف هى التى وضعت هؤلاء الشباب أمام المبشرين ، وكمسلمين فقد أصبحوا ـ منذ اليوم الاول لهجوم المبشرين على البلاد ـ فى مواجهة الهجمة التبشيرية .

لم يشاءوا باديء ذي بدء أن يكونوا فى مثل هذا الموقف ، ولكن المبشرين بما أوتوا من خطة لغزو فكر هؤلاء الشباب ، وتحويلهم الى جانبهم ليصدروا فى تبشيرهم عن أرضية أهلية محلية تضمن نجاحهم الساحق فى التبشير .. (١) هؤلاء المبشرون هم الذين فرضوا هذه المواجهة ، على هؤلاء الشباب .

لقد كانوا شباباً تثقفوا بثقافة أواخر القرن التاسع عشر .. عصر التحولات الحضارية السريعة ، كما اسلفنا ، غير أن ثقافتهم كانت فى اطار حركة الاصلاحيين المسلمين ابتداء من السيد أحمد خان مروراً بالافغانى ومحمد عبده ، وانتهاء برشيد رضا . فقد كانوا بحق تلامذة عليهم عبر ما يردهم من الصحف المصرية (٢) ، مثل المؤيد والمنار ، وقبل ذلك كانت العروة الوثقى لجمال الدين الافغانى ومحمد عبده يقرأها فى البحرين كل من الشيخ أحمد بن مهزع ، والشيخ ابراهيم محمد الخليفة ، والشيخ مقبل الذكير ، والشيخ قاسم ابن مهزع وأضرابهم ..

ولو أن ما أصاب هذه الجزر الصغيرة من غزو تبشيرى لا تزال آثاره ماثلة للعيان .. أصاب مثلها ، أو أضعافاً مضاعفة منها فى المساحة أو السكان من البلاد الاخرى ، لأصبحت تلك البلاد بروتستانتية بحتة .

---

(١) تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول منهم أنفسهم ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها (من تقارير لزويمر .. وبعض رفاقه المبشرين فى كتاب نشره زويمر باسم العالم الاسلامي اليوم) تعريب محب الدين الخطيب ومساعد اليافي فى الغارة على العالم الاسلامي ص ٨٠ .

(٢) فى الفصل الرابع من كتاب نشره القس الأمريكي فلمنغ بعنوان نشرة خاصة ، عام ١٩٠٦ .. ذكر الصعوبات التي تقف فى سبيل تنصير المسلمين المتنورين . مما يطول شرحه .

لقد واجه أهل هذه البلاد مع قلة عددهم وصغر مساحة بلادهم خطة محكمة لتنصيرهم بأجمعهم .. واختيرت بلادهم لتكون مركزاً رئيسياً يدار منه التبشير في جزيرة العرب والخليج العربى وخليج عمان (١) ومنطلقا لتنصير هذه البلاد .

ففى خطة تنصيرهم .. واجهوا ، وهم قلة فى العدد لا يصلون آنذاك الى ١٥٠ الف (٢) ، مجموعة عمل تبشيرى ابتدأت العمل فى تنصيرهم بثلاثة عشر مبشراً ومبشرة ، وبعضهم يجيد اللغة العربية اجادة مطلقة . وبست مؤسسات تبشير ، فبين عامى ١٨٩٣ و ١٩٠٦ كان يوجد هناك مدرستان واحدة للبنين وأخرى للبنات ، ومدرسة واحدة لتخريج المبشرين المختصين ومكتبة عامة ، ومستشفى ، ومكتب رئيسى لادارة التبشير فى البحرين والخليج وأطراف جزيرة العرب (٣) .

وفى هذه الخطة ايضاً واجهوا فى صغر مساحة بلادهم وتقارب مدنها وقراها ما يساعد أصحاب خطة التنصير على الوصول بسهولة الى تلك الاماكن من المنامة . أضف الى أن المنامة آنذاك بدأت تصبح المركز التجارى الرئيسى فى البلاد والخليج ، مما نتج عنه تواجد سكان القرى يومياً بها ، وينسحب هذا أيضاً على أهل الخليج ، الذين يتواجدون فى البحرين للتجارة والغوص مما يساعد المبشرين كثيراً فى الالتقاء بكل هؤلاء .

وفوق كل هذا كان فى مواجهتهم سلطة الحماية البريطانية فى البحرين ممثلة فيها وفى الخليج صفة كهف العاملين من المبشرين والمتنصرين ، فالحماية بروتستانتية والتبشير برتستانتى ، والكنيسة التى تتبعها الارسالية الامريكية فى البحرين كنيسة اسكتلندية (٤) الاصل .

كل هذه الرياح التنصيرية كانت تهب مضادة فى وجه عقيدة هذه البلاد ، تريد أن تقتلعها من جذورها ..

---

(١) لوريمر فى دليل الخليج ج ٦ / القسم التاريخي ص ٣٣٠٠ .

(٢) هذا العدد تقريبى ، وقبل أن تهاجر قبيلة الدواسر من البديع وقد استعنا على معرفة ذلك بمعمرين ذكروا أن تجارة اللؤلؤ كانت رائجة آنذاك وقد تواجد بسببها كثير من عرب الخليج فى البحرين .. وهم لا يعتدون باحصاء عام ١٩٤١ لأنهم يقولون أن كثيراً من الناس فى البحرين لم يسجلوا عدد الشباب فى أسرهم ، خشية أن يجندوا للحرب العالمية الثانية الدائرة آنذاك .

(٣) لوريمر فى دليل الخليج ج ٦ / القسم التاريخى ص ٣٣٠١ .

(٤) وكانت هذه الكنيسة احدى الكنائس (البرسبتارية) الاسكتلندية فى أمريكا . (دليل الخليج القسم التاريخي ص ٣٣٢٨ – ٣٣٢٩ – ٣٣٣٠) .

ولو لم تكن الا هذه الخطة وظروفهـا المؤاتية لكفت ، وأربت على الكفاية فى تنصير هذه الأمة الصغيرة ، لولا أصالة عقيدتها فى التوحيد وسموها فى القيم ، والأخلاق . الا أن البحرين حظيت فوق ذلك كلـه باقامة رئيس المبشرين فى الشرق الأوسط صموئيل زويمر فيها ، يكرز بالتبشير فى أنحائها أناء الليل وأطراف النهار ، ويستحلب جيوب أغنياء أمريكا والغرب لينفق منها على مؤسسات التبشير هنا .. ويصب منها فى جيوب معاونيه ، فى البحرين وأطراف جزيرة العرب ومن ثم ينثر مـن فتاتها فى ايدى من يود استمالتهم اليه من الشباب الفقراء ، ومنهم بعض موظفيه من فقراء المسلمين فى البحرين .

واذا قيل ما لهذه المؤسسات التربوية والطبية التى أقامها زويمر ورفاقه فى البحرين ، والتى نفعت .. فى مجال الصحة والتعليم (١) ، فان هذا لن نجيب عنه هنا لأننا لا نقدم دراسة موسعة عن التبشير فى البحرين (الا بقدر ما تلامس هذه الدراسة حياة ابن مهزع أثناء توجيهه لشباب البحرين فى مقاومة التبشير ، كما سيأتى) . غير أننا نحيل كل سائل فى هذا الصدد الى تقارير زويمر نفسه ، ومن قبله ومن بعده كل المبشرين وكذلك المستشرقين الذين لهم علاقة بالتبشير ، ولا نشـك أن القارىء الواعى سيكون على بينة من أمره حين يعرف أهداف المبشرين ومن خلفهم من الدول المستعمرة من وراء اقامة هذه المؤسسات الطبية والتربوية (٢) مثل هولندا وبريطانيا والمانيا ، وهى الدول المستعمرة آنذاك .

---

(١) يجب على طبيب ارساليات التبشير أن لا ينسى ولا فى لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك .

(الدكتور آر اهارس طبيب ارسالية التبشير فى طرابلس الشام ، فى تقريره للمؤتمر التبشيرى فى القاهرة عام ١٩٠٦) .

(٢) والبلاد التي يدخلها الانكليز يكون التبشير فيهـا مفتوحا ... أما فى الهنـد فالمبشرون متمتعون بالراحة لأن الحكومة (الانكليزية) تساعدهم وتعضدهم بالاعانات وتشرف على المكان الذى تصرف فيه هذه الاعانات .

وحكومة هولنده (فى مستعمراتها السابقة بجنوب شرقي آسيا وغيرها) تشد أزر المبشرين أكثر من الحكومة الانكليزية وهي قد رتبت لهم مرتبات مالية تصرف على المستشفيات والملاجىء والمدارس . (من نتائج بحوث اللجنة السابعة في مؤتمر اندنبرج المنعقد فى ١٠ سبتمبر عام ١٩١٠ برئاسة اللورد بلفور) .

ويقول أحد قرارات المؤتمر الاستعمارى الألماني المنعقد فى نفس العام بالمانيا ما يلي : والمؤتمر الاستعمارى ، مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماما فى الشـؤون الدينية .. يشير على الذين فى أيديهم زمام المستعمرات (الألمانية) أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام ، وأن يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية ، وأن ينتفعوا من أعمال ارساليات التبشير ..

ومن رأى المؤتمر أن الخطر الاسلامي يدعو الى ضرورة انتباه المسيحية الألمانية .

حيثيات الصراع بين الشيخ والمبشرين

نعود الى دراسة صراع ابن مهزع مع المبشرين الذى أراد أن يكون خفياً ليضمن استمراره فى مواجهتهم بهدوء وروية ، دون أن يثير القوى الاستعمارية التى تقف وراءهم .

هذا الصراع الذى جئنا له بكل ذلك المدخل المفصل كان من الحتميات المسلم بها من قاضى بلاد مسلمة يقدر مسؤوليته كمسلم ، فكيف كمرجع شرعي للبلاد .

كان ابن مهزع يريد أن يكون سلاحه فى ذلك الصراع ماضياً ، وفى نفس الوقت خفياً يمتشقه من صلب الأرضية الاسلامية فى البلاد ، ومن عمق ايمان أبنائها بحقهم فى الدفاع عن عقيدتهم .. فحصر ما تحت يديه من وسائل تتيح له الحصول على ذلك السلاح ، فوجد من أفضلها وانجعها مجموعة الشباب التى كانت تدرس الفقه والتشريع الاسلامي وعلوم اللغة عند أخيه أحمد ..

فقرر أن يركز على هؤلاء الشباب فى التوعية الشاملة بأغراض المبشرين البعيدة الاثر ، وبدأ بأخيه أحمد فطلب منه أن يمارس هذه التوعية مع مجموعته من الشباب الدارسين عنده .. ومع كل من يحضر مجلس درسه. ولم يكن الشيخ أحمد بغريب على هذه الممارسة فقد خبر المبشرين عن كثب فى القاهرة حينما كان طالبا من طلبة الازهر ما بين عام ١٨٨٣ الى ١٨٨٧ وجاء الى البحرين وهو يحمل من آراء جمال الدين .. ومحمد عبده ما لم يتهيأ حمله لاحد من أهل البحرين آنذاك .

لذلك فقد وجد الشيخ قاسم فى أخيه ومجموعة تلامذته من الشباب وعياً عقيدياً لم يتهيأ لغيرهم من الشباب لالتصاق هؤلاء بشيخهم . كان الشيخ أحمد قد حمل معه فيما حمل من كتب حين قدومه من مصر ذاك المجلد الأنيق الوحيد فى بابه .. فأخذه التلامذة يتداولونه واحداً بعد الآخر .. كان ذاك المجلد هو مجموعة كل ما صدر من جريدة العروة الوثقى للسيد جمال الدين الافغانى .

لقد قرأوا فى ذلك المجلد ما اعتبره مفكرو الغرب سفراً عظيماً فى الدفاع عن هذه الامة الاسلامية التى كبا بها الابناء .. قبل الأعداء (١)

---

(١) قال جمال الدين ، فى عدد يوم الخميس ١٤ أغسطس ١٨٨٤ من العروة الوثقى : تاخر صدور الجريدة أياما لضرورة ما مسنا من ضعف فى المزاج والحمد لله على زوال المانع =

وحين فرغ هؤلاء الشباب من قراءة ذلك دفعوه الى مجموعة الشيخ قاسم من الشباب فعكفوا عليه يتدارسونه ، ويستوضحون شيخهم فيما استعجم منه . وتستمر هاتان المجموعتان من الشباب على هذه الحال من الدراسة والتوعية ، حوالى عام واحد وفى نهايته طرأ أمر ما بدا واضحاً بعد مدة يسيرة ، ان بعضاً من مجموعة الشيخ أحمد بدأ يذهب الى مدرسة زويمر لدراسة اللغة الانكليزية ، ولما سئل الشيخ أحمد عن ذلك قال : **(لا بأس عليهم ، فنحن من خلفهم .. دعوهم يتعلمون لغة هؤلاء القوم ، فمن عرف لغة قوم أمن مكرهم ، لقد أجازهم أخى قاسم لذلك) .**

كان من هؤلاءالشباب وعددهم لا يتجاوز أصابع اليد من بلغ العشرين من عمره كيوسف كانو وناصر الخيرى وأترابهم .

الصراع من خلال التلامذة

حين جاء هؤلاء الشباب الى المدرسة وجدوا فيها قلة ضئيلة من الدارسين ، ليس بينهم أحد من أهل البلاد . لذا فقد فرح زويمر أيما فرح بالقادمين فى الجدد ، كان الزمان أوائل عام ١٨٩٥ وكان على زويمر الذى عاد الى البحرين نهاية عام ١٨٩٤ من جولة تبشيرية قام بها فى سلطنة عمان ، أن يحزم أمتعته ويسافر الى البصره لينوب عن زميل دراسته جميس كانتين فى مركزه بادارة الارسالية هناك ، فقد كان زميله هذا يهم بالسفر الى أمريكا فى اجازة قصيرة .

لذا فقد كانت فرصة طيبة لزويمر أن يخذ معه الى البصرة تقريراً أولياً عن هؤلاء الدارسين الجدد ، ولكنه كان يطمع فوق ذلك أن لو يضيف الى تقريره شيئاً عن تنصير هؤلاء الفتية .

يومها بدأ زويمر يلح بشدة على معلمى المدرسة اللذين كانا يتناوبان تدريس الحصص فيها أن يركزا على الدارسين الجدد فى التبشير ويسجلا

= الا أننا مع ذلك لم نقصر فى أداء الواجب من العمل الذى قمنا به فى المدافعة عن حقوق المسلمين ، فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبعنا عليه ، ونرجو ديان السموات والأرض أن نموت فى هذا السبيل ، وأن نبعث فى زمرة السالكين فيها . رأينا أن يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الأول لهذه الجريدة) الى لوندرا اجابة لدعوة من يرجى منهم الخير لملتنا ومن المؤمل فيهم صدق النية فى رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية . وليستكشف مناصب الفخاخ السياسية التي ما مرت قدم شرقي الا سقطت فيها فيما يعسر الخلاص منه وليسبر أغوار المطامع الانكليزية التي لا يدرك منتهاها .

بدقة نتائج ذلك فيهم . فبدأ المعلمان عملهما بجد ودراية ، كـان ناصر الخيرى أول من تنبه لهذا الأمر ..

شهادة الاستاذ محمد صالح يوسف

قال لى الاستاذ الشيخ محمد صالح يوسف عام ١٩٦٠ حينما كنت أسأله عن أخبار مدرسة التبشير الاولى فى البحريـن : أن ناصر الخيرى أخبره ـ حوالى عام ١٩١٣ عندما أغلق الشيـخ قاسم دارهم المسمـاة (نادى اقبال أوال) بتهمة الانجراف الى المبشرين ـ (١) قال له ، أى ناصر أنه هو أول من فطن الى أهداف المبشرين من أول اسبوع دخل فيه الـى مدرستهم وأن أحد المعلمين فيها جاءهم ذات يوم ، وكان الوقت صباحـا وهناك أخبرهم أن المعلم زويمر سيـذهب الى البصرة ، ويود منهم أن يجتهدوا فى محبة المسيح ويتعلموا اللغة الانكليزية ، حتى يقـول عنهـم للمعلمين فى البصرة أنهم شباب مجتهدون فى محبة المسيح الرب .. وسيأتى لهم بهدايا من المعلمين هناك ، ومن كان منهم يذهب الى مدرسة الشيخ أحمد (٢) فى الصباح الباكر فلا يذهب ، وليأت هذه المدرسة ، ولو قبل أن يفتح الصف ، اذ يمكنهم أن يتجولوا فى فناء المدرسة والمستشفى ويحضروا صلاة الاستفتاح الصباحية .

وأضاف المرحوم الشيخ محمد صالح قائلا نقلا عـن ناصر أن ناصر وأصحابه لم يهتموا بالامر فكانوا لا يأتون صباحا الى مدرسة المبشرين الا بعد الانتهاء من دروس الشيخ أحمد ، ومع ذلك فانهم كانوا يصلون الـى المدرسة قبل ابتداء وقت الدوام . وكانوا يرفضون تلقى دروس أخرى غير اللغة الانكليزية .

ويضيف الشيخ محمد صالح رحمه الله قائلا : ان ناصر واصحابه (٣)

---

(١) راجع فصل ما بين الشيخ قاسم وناصر الخيرى .

(٢) بعد عودة الشيخ أحمد بن مهزع من القاهرة الى البحرين طلب من حاكم البلاد بواسطة وزيره المقرب الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب الخليفة أن ينشيء له مدرسة دينية فى المنامة ليتلقى فيها الأولاد دروسا فى الفقه والتشريع الاسـلامي والحسـاب واللغة العربية ، وقد وافق الحاكم الشيخ عيسى بن علي على ذلك وأمر وزيره عبد الرحمن بتنفيذ ذلك فبنيت المدرسة وأوقفت عليها أوقاف كثيرة وكان بدء التعليم فيها حوالي عام ١٣٠٦ .

(٣) لم يطل البقاء بتلاميذ الشيخ أحمد فى مدرسة المبشرين الأولى فى البحرين فخرجوا منها قبل نهاية عامهم الأول ، وهم كدفعة أولى من تلاميذ الشيخ أحمد يدخلون هذه المدرسة ويخرجون منها بسرعة .. لم يبق منهم غير ناصر الخيرى الذى بقي يتردد عليها لبضع سنوات حتى أجاد اللغة الانكليزية .

كانوا لا يفتأون يدخلون مع المبشرين فى مناقشات جادة ، ومن ثم ينقلون صورة من هذه المناقشات الى الشيخ أحمد الذى بدوره ينقلها الى أخيه الشيخ قاسم فيتكاتف الشيخان فى توجيه هؤلاء الشباب الى نقط الضعف فى مجادليهم ، وتزويدهم بالأجوبة المفحمة للرد على المبشرين .

شهادة الشيخ محمد الحباب المهزع

ونكتفى بهذا القدر من شهادة الشيخ محمد صالح عن بعض أحداث مدرسة التبشير الأولى فى البحرين عبر أول دفعة من طلابها من أهل هذه البلاد ، وصراعهم السلمى بقيادة ابن مهزع مع معلميهم من المبشرين الأوائل فى البلاد .

ونحن لا نكتفي بهذا القدر من هذه الشهادة الا لنترك المجال لغيرها من شهادات أخرى كثيرة فى هذا الموضوع .. شهادات هامة تؤكد وتوضح صيغة صراع ابن مهزع الظاهر والخفي مع المبشرين .

يقول الشيخ محمد الحباب ابن أحمد المهزع أمد الله فى عمره :كنت صغيراً ، وقد رأيت مدرسة المبشرين ومستشفاهم في بيت جمعة بن ناصر بالمنامة لعدة سنوات قبل ان يمتلكوا ارضا ويشيدوا عليها مستشفاهم الذى أسست بنايته القديمة عام ١٩٠٢ . وكنت أسمع عن مناقشات الناس مع المبشرين وخاصة التلاميذ في مدرستهم . وكان المبشر زويمر لا يفتأ يأتي الى الشيخ قاسم بين آونة وأخرى .. يفرض زيارته عليه فرضا ، وحين يستقر به المقام فى مجلس الشيخ يبدأ فى مناقشته مناقشة عميقة ، يريد أن يقنعة بجدوى أعمال المبشرين فى البحرين ، وفى كل مرة يخرج فيها من مجلس الشيخ يقف فى دهليز المجلس ويرفع كفيه داعياً السيد المسيح أن يهدى الشيخ ويحوله الى صفوف المبشرين ، وكان الشيخ كثيراً ما يطرد زويمر من مجلسه اذا انحرف هذا عن جادة الحق فى نقاشه .. فيخرج ليعود مرة أخرى ، كأن لم يكن حدث شيئاً .

هذه الشهادة هى بعض ما سجلته عن الشيخ محمد الحباب المهزع بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٧٢ .

وهى شهادة أخرى من شخصية جليلة عايشت شيئاً من ذلك الصراع الخفى والظاهر بين ابن مهزع والمبشرين . ومنها يتضح أن زويمر حين عرف المرجع العقيدى القوى الذى يصدر عنه الشباب فى صراعهم مع المبشرين أراد أن يغزو ذلك المرجع فى عقر داره محاولا أما تحويله الى جانب التبشير والمبشرين فى البحرين ، أو على الاقل ابقائه على الحياد بين المبشرين وخصومهم من أهل البلاد .

لكن تصرف زويمر هذا لم يفلح مع تلاميذ الشيخ قاسم من قبل ، فكيف يفلح معه الآن ، بل الذى حدث هو العكس ، فقد بدأ الشيخ مستاء من زيارات زويمر له ، ومحاولاته المتكررة فيها للتأثير عليه ، وأصبح مستعداً أن يطرد زويمر اذا حضر مجلسه وأثار أى شيء من مماحكات المبشرين .

بل وصل الامر الى أن الناس فى البحرين ممن يوزع المبشرون عليهم نسخاً من الأناجيل كانوا أما أن يحرقوا تلك النسخ أو يلقوها فى البحر .. المبشرون وعلى رأسهم زويمر على علم بذلك يكرسونه بتوزيع مزيد من هذه النسخ (١) . والشيخ قاسم ومن خلفه المسلمون الواعون آنذاك يحملون المبشرين مسؤولية ذلك ــ فلا يفعلون شيئاً حيال ذلك لا سلباً ولا ايجابا .

شهادة السائح العربى الناصح

يقول السائح العربى فى رسالته الى المنار عام ١٩١٣ : فحللت بلاد البحرين فى أول يوم من هذه السنة والتقيت بأميرها وقاضيها وبعلمائها والاعيان من أهلها وفتشت عن زويمر فأخبرونى بسفره الى البلادالمصرية. واتفق نزولى فى دار قريبة من مستشفى البروتستانت ومن مدرستهم وبيوتهم فأرسلت الى بعض خدمهم من مسلمى الجزيرة وأخذت تصاوير اداراتهم الكائنة فى البحرين ومسقط والكويت والبصرة .

ولقيت الشاب الغيور (يوسف كانون) (٢) (هكذا فى النص) أحد أجلاء البحرين ، وممن يتحبب اليهم زويمر ، وقد أتحفه بنسخة من العهد فقال : (وقد أعانتنى قراءتهما على محاجة زويمر معى فى كثرة أزواج نبينا محمد (ص) فقلت أنها لا تنافى رسالته من الله تعالى . وهذا سفر صموئيل من التوراة ينطق بان سليمان النبى عليه السلام تزوج بمئات من النساء ، وأن داود عليه السلام تزوج بغير زوجته على وجه غير وجيه الى آخر ما قال) . أ .هـ

---

(١) وفى عام ١٨٩٣ أنشىء مركز ثان فى المنامة .. وبعد التغلب على الصعوبات الأولى بدا الموقف مشجعا وقبل نهاية العام بيع أكثر من مائة انجيل (لويمر فى دليل الخليج ص ٣٣٢٩) ، والصحيح ان أكثر هذه النسخ وزع على الناس ، وقد لحقنا فى الخمسينات على شيء من هذه العادة عند المبشرين (المؤلف) .

(٢) يوسف أحمد كانو ولد عام ١٢٩٢ هـ ودرس على يد الشيخ أحمد بن مهزع فى مدرسته التي تحدثنا عنها سابقا .

ويقول أيضاً : (وكان شبان العرب يذكرون لى ما سنح فى خواطرهم من الاعتراضات على الاناجيل . وجاء بعضهم يوما بنسخ من الانجيل الموزع عليهم ، وقد كتبوا على هوامشها اعتراضات جمه، ولقد نبهتهم عن احراقها اذ بلغنى أن أكثر جهالهم يأخذون نسخ العهود الموزعة عليهم ويحرقونها ! أو يلقونها فى البحر ، ويبيعون أغلفتها ، ويستعملون الاوراق لصنعة الكارتون ، أو سائر حوائجهم (١) .

شهادة الاستاذ أحمد حسن ابراهيم

واليك أيضا شهادة أخرى لها ثقلها الكبير فى تأكيد صراع شباب مدرسة قاسم بن مهزع الفكرية مع المبشرين .

وهى من الشهادات الحية المعاصرة ، تلك التى جسدت ذلك الصراع تجسيدا انها شهادة الحاج أحمد حسن ابراهيم وقد سجلتها عن لسانه بتاريخ ١ يناير ١٩٧٣ وهو يقول فيها : (كنت من تلاميذ مدرسة الشيخ أحمد بن مهزع وكنا ندرس عنده الفقه واللغة العربية ، وفى عام ١٩٠٦ بدأنا ندرس اللغة الانكليزية فى مدرسة المبشرين وكان بها صفان .. وخلال سنى دراستى فيها وعددها أربع ، كان المبشرون يمارسون تبشيرهم بيننا بطرق خفية ، ومموهة بالكلام عن الحضارة الجديدة ، وانها من صنع المسيحيين ، والمسلمون لا يستطيعون أن يشاركوا فيها ماداموا ينتمون الى الاسلام .. الى ما هنالك من قولهم بتقدم المسيحيين وتخلف المسلمين .

الا انه فى ذات يوم كان المعلم دى كسر ايشرح لنا عملية التوليد الكهربائى فقال : هذه الكهرباء التى تنير الشوارع والبيوت فى أوربا من صنع المسيحيين وهذا ما علمهم المسيح اياه ، فماذا علمكم محمد من الجديد .

---

(١) ولقد رد صاحب المنار على رسالة السائح الناصح فقال :

ان هؤلاء القوم (يعني المبشرين) لا يبالون بزيادة نفور بعض من يرى كتبهم من دينهم ، ويكتفون بمن يأخذ هذه الكتب بالأنس بهم واعتياد البحث عنهم ، والتشوف الى سائر ما ينشرونه ، ولو بقصد الاختبار ، أو السخرية ، وحينئذ يفتح لهم باب التشكك فى الاسلام بنشر الكتب التي تطعن فيه ، ولا يذكر فيها شيء من كتبهم .

ومتى شك المسلم فى القرآن أو نبوءة النبي (ص) كفر وبطلت ثقته بالاسلام . وهذا عند الدول (يعني الدول الغربية) أول درجات الفتح السلمي بواسطة دعاة النصرانية فالأولى بالمسلمين أن لا يأخذوا شيئا من كتبهم البتة الا من كان متصديا للدفاع عن الاسلام والتفرقة بين الحق والباطل . ومن أخذ منها شيئا فلا كفارة لأخذه مثل احراقه فى النار قبل أن يهوى به الى النار . وقد أخطأ السائح الفاضل بنهي الناس عن احراق تلك الكتب التي تثير الفتنة وتمزق شمل الأمة وتكون وسيلة للشك ولازالة ملك المسلمين .

يقول الحاج أحمد وبما أننا كنا بالمرصاد لمثل هذا التصرف من المبشرين ، استشطنا غضباً وخرجنا من الصف فاستوقفنا المعلم فوقفنا فى مواجهته أنا وزملائى من حولى وقلت له : لن نترك المدرسة قبل أن نرد عليك فاسمع منا .. نحن نؤمن بجميع الانبياء والمرسلين وبما أن محمد جاء بعد عيسى ، ولن يأتى بعده نبى ابداً ، فهو الجديد الدائم .

بعد ذلك تركنا المدرسة ، ولم نعد اليها . وحينما أنبأنا ذوينا بما حدث رضوا منا عدم الذهاب اليها ، واكتفوا منا بالذهاب الى مدرسة الشيخ أحمد بن مهزع فقط . وبعد عشرة أيام من هذه الحادثة جاء المعلم دى كسرا الى آبائنا وحداً واحداً واعتذر ، فطلبوا منه أن يتعهد شفهياً أن لا تمارس المدرسة التبشير فينا طيلة دراستنا فيها ، فتعهد ، ومن ثم عدنا الى تلك المدرسة) .

ومع أن صراع ابن مهزع مع المبشرين كان يستقطب تأيد جميع أهل البحرين الا أن جبهته كانت ضعيفة بعض الشىء وذلك لعدة عوامل أهمها عدم الوعى الاسلامى .. مما ينتج عنه العماية والجهل بين الناس عامة بأهداف المبشرين البعيدة ، ومنها ذلك التعزيز المستمر من سلطة الحماية البريطانية فى البحرين للمبشرين .

غير أن البلاد لم تعدم رجالا أكفاء واعين ، كانوا يعملون على توعية الناس بأهداف المبشرين ، وان لم يوحدوا جهودهم مع ابن مهزع .. مثل المحسن مقبل الذكير ، وجل علماء البحرين - آنذاك - وقد امتد شىء من هذه التوعية الى بعض امارات الخليج يومذاك كقطر والكويت ، مما لا يكون هنا مجال لتفصيله .

وسائل التبشير والمبشرين

قبل أن نعد نماذج من وسائل المبشرين فى التبشير ، يحسن بنا فى المقابل أن نجمل القول فى وسائل ابن مهزع وتلامذته تجاه المبشرين ، وذلك قبل أن تنتهى مما نحن فيه من استعراض وقائع صراع ابن مهزع والشباب من حوله ، مع المبشرين ومن ناحيتهم وحدهم ، فما هى تلك الوسائل ؟

انها لم تكن بالمعنى المفهوم للوسائل ذات التخطيط المسبق انها أشبه بردود الفعل ، ولكنها ليست كغيرها فى الامم الاخرى التى لا تصدر عن أيدلوجية متكاملة .. انها كانت تصدر عن عقيدة الفطرة الموحدة التى

فتقت لأصحابها المنافحين عنها أفاقا من الحجج الداحضة لمفتريات المبشرين .

بعد تلك النظرة الشاملة التى القيناها على تصرفات ابن مهزع وتلامذته من الشباب ، ومن درج على منوالهم فى محاولتهم ايقاف المد التبشيرى الذى أصبح حقيقة واقعة فى بلادهم ..

نلتفت الى المبشرين لنرى أية وسائل استعملها هؤلاء للتبشير بين صفوف المسلمين فى البحرين . وما نوعية تلك الوسائل من حيث التكنيك والحجم والجدوى .

كان المبشرون وعلى رأسهم المبشر المستشرق زويمر يعرفون حق المعرفة تلك القضايا ذات الابعاد المسلمة التى توائم الفطرة الانسانية كل موائمة ، والتى يدافع عنها المسلمون .. ويستطيعون كسبها ، لميزات عقيدية ليست لغيرهم من الامم ، شريطة أن يتعرفوا بعمق الى الحياة المتجددة فى تلك العقيدة .

لذلك كان هم المبشرين الاول منصباً قبل كل شيء على تأسيس المعاهدة التربوية التى لا تعترف لا بالتربية الاسلامية ولا بالتربيةالمسيحية الحقة ..

ولقد جاءت هذه المعاهد التبشيرية ولا حيلة لها فى تفضيل طقوسها الدينية على العقيدة الاسلامية الا بالتمسح بالحضارة الحديثة ورد كل منجزاتها الى التربية الدينية التى يمارسها المبشرون فى تنصير المسلمين .! أضف الى ذلك استغلال المبشرين لكل ما ران على المسلمين من تخلف فى ممارساتهم لدينهم ، كاعتناقهم لبدع طرقية منحرفة ولوثات هوسية ، وخزعبلات تقاليدية يتبرأ منها الاسلام ، واستغلال كل ذلك لاظهار الاسلام بمظهر التخلف .. من ذلك ما يشيعه المبشرون وبعض المستشرقين زوراً وبهتانا من عدم مواكبة الاسلام لتطور الحياة على ظهر الأرض !!

وحين جاءت الهجمة التبشيرية الحديثة ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر حتى الثلاثينات من القرن العشرين ، حيث بدأت حدتها تنكسر .. ان تلك الهجمة التى شلت العالم الاسلامى أو كادت ، ومع ما عززها من أموال أوربا وأمريكا ، وما ساندها من قوى استعمارية ، لم لم تستطع تحويل المسلمين الى المسيحية بصورتها الحاضرة ، ولكنها استطاعت فقط ــ مع عدة عوامل أخرى ــ اخراج كثير منهم من الاسلام

ليبقوا .. لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء ، وهو ما كان يعتبره المبشرون فوزاً باحدى الحسنيين .

والحديث عن وسائل المبشرين فى التبشير واسع ، ولا مجال هنا لتفصيلها (١) ، انما الذى يعنينا منها تلك الوسائل التى مارسها المبشرون هنا فى البحرين . وهى وسائل ، وان لم تكن تختلف فى الاطار العام عن مثيلاتها في العالم الاسلامي خاصة ، الا انها كانت تتلون حسب المناخ الذى تعمل فيه ..

ونستطيع أن نحدد تلك الوسائل فى بنود مباشرة ، بالدرجة الأولى ، وأخرى مباشرة بالدرجة الثانية ، فمن الدرجة الأولى التى تعنينا هنا تلك البنود الثلاثة التالية :

أولا : مجانية التعليم .

ثانيا : مجانية التطبيب .

ثالثا : الهبات المالية المحدودة للمتنصرين والمتنصرات .

أما التى من الدرجة الثانية فهى كالاتى :

ـ فتح المكتبات العامة ، للمطالعة وتوزيع نسخ الانجيل والتوراة

ـ رعاية المتنصرين والمتنصرات ، من توظيف وتزويج ، وخلق مجالات تجارية لهم . وزرعهم فى المراكز الحيوية فى البلاد .

ـ خلق مناخ أوربى (٢) يضم شتات المتنصرين والمتنصرات ويشاركهم فيه كل الأجناس الاوربية الموجودة فى البلاد ، وتكون أبوابه مفتوحة لكل المتلقفين لطعمه من أهل البلاد .

ـ تسلط المبشرين على الادارات العامة فى البلاد ، واستغلال نفوذهم لمنفعة التبشير .

---

(١) من أراد الاطلاع بتوسع على تلك الوسائل فليطالعها فى مصادرها التبشيرية والاستشراقية .. ومنها (جزيرة العرب مهد العالم الاسلامي) لزويمر ، و (الغارة على العالم الاسلامي) لمحب الدين الخطيب ، ومساعد اليافي ـ و (مجلة العالم الاسلامي الفرنسية) طبع عام ١٩١٢ وغيرها .

(٢) مما فى ذلك المناخ من حفلات عيد الميلاد ورأس السنة الميلادية وغيرها من حفلات الرقص والغناء ، وما فيها من مجون وانحلال ، وبما فى ذلك المناخ أيضا من تكريس للعادات السيئة عند المبشرين وابعاد المبشرين لمقلديهم من المسلمين عن الأخذ بأسباب القوة فى الصناعة والأخلاق .

ـ التقاط الأطفال اللقطاء وتربيتهم مسيحيا (١) .

ـ انشاء رياض للاطفال تعتمد فى منهجها علـى التربية المسيحية الحاضرة .

اصدار صحف ومجلات بأسماء مختلفة ظاهرها مثلا باسم الصحة أو الفن أو الاقتصاد وباطنها التبشير .

اقامة أندية ثقافية غربية مختلطة لاستدراج الشباب والفتيـات اليها .

زويمر من خلال وسائله التبشيرية

وحين نأتى لنتعرف على طبيعة ممارسة تلك الوسائل ، من قبـل المبشرين فى البحرين ، نجد أنهم قد استعملوا أكثرها مناسبة وأهمها فى الاتيان بمردود جديد ، ولكنهم كعادتهم حين يحطون الرحال لأول مرة فى بلد جديد عليهم ، يبدأون يمارسون تلـك الوسائـل بتكنيك تـدريجى يستهدف الأهم قبل المهم ، حسبما أسلفنا فى ترتيب بنود تلك الوسائل.. فالتعليم والتطبيب ، وبذل المـال ، وفتح المكتبـات العامـة ، وما الـى ذلك (٢) .

واذا علمنا فيما سبق أن التبشير فى البحرين كان محصورا فى المنامة لأسباب كثيرة ذكرناها سابقاً .. من أهمها تواجد الأغراب فيها ، فـان المبشرين لم يكن لهم نشاط ملحوظ فى المناطق الأخرى من البحرين .

غير أن زويمر ابتداء من عام ١٨٩٣ لم يكن ليترك منطقة من مناطق البحرين المأهولة بالسكان الا ارتادها وكرر الارتياد . فهو فى المنامة مثلا يمتطى دراجته ـ الوحيدة فى البلاد آنذاك ـ ويجوب بها أنحاء المنامـة ، وحين يريد الذهاب الى المحرق فانه ينقل دراجته معـه عبر القـوارب

---

(١) كانت البحرن حين قدوم المبشرين بلدا اسلاميا محافظا ، لهذا فاهلها لم يألفوا وجود أولاد السفاح فيما بينهم ـ كما هي الحال بعد قدوم المستعمرين البريطانيين وأتباعهم الى البلاد ـ وان حدث ووجد رضيع من سفاح .. فان أهل تلك المحلة التي وجد فيها يقومون بالتقاطه حالا ، وضمه اليهم والعناية بتربيته ، واطلاق اسم العائلة عليه .

غير أنه كان للاستعمار بعد ذلك الفضل فى تشجيع البغاء السري وانشاء حي للبغاء العلني فى المنامة .

(٢) مثل المعلمين المبشرين الموصليي الأصل عفيف الياس متى ، والياس خضورى وهذا الأخير اختلف مع زويمر ، بعد أن رآه زويمر يقرأ فى نسخة من انجيل برنابا الذى يعترف بنبوة محمد (ص) ويحض المسيحيين على اتباعه .. فما كان من الياس الا أن غادر المنامة الى القاهرة ومن هناك عين فى السودان بوظيفة ادارية كبيرة ترقى عن طريقها حتى نال البكوية ثم الباشوية .

الشراعية التى كانت تقـل الناس والاحمـال والدواب بين المدينتين ، ويمتطيها ليجوب بها أنحاء المحرق أيضاً ، ومن هنا جاءت تسمية أهل البحرين لدراجة زويمر بـ (خيل ابليس) نسبة (١) الى صاحبهـا الذى كانوا يلقبونه بضيف ابليس ، أما فى المناطق الاخرى من البـلاد فكـان يستعمل الأتان فى تجواله بها .

وقبل أن نختتم هذه العجالة عما شجر بين المبشرين وابن مهزع وعن ذلك الصراع الخفى الظاهر الذى امتد بينهما طيلة ثلث قرن من الزمان ، يحسن بنا أن لا نغفل تلك الاعمال الانسانية الجليلة التى قدمها المبشرون فى مجال التطبيب والتعليم فى البحرين .. وخاصة أواخر القرن التاسع، وأوائل القرن العشرين ، حيث أسهموا اسهاماً حياً مع البدايات الوطنية والحكومية فى هذا الشأن .

وكان من الممكن أن يأتى هذا الاسهام بنتائج باهرة في كسب قلوب المنتفعين به لو كان غاية ، ولم يكن وسيلة لهدم الاسلام وتمهيد الطريق أمام جحافل المستعمرين (٢) .

ما بين الشيخ قاسم وزويمر

وقبل أن نختتم هذه العجالة أيضاً ، لا بد أن نشير الى تلك الزمالـة الفكرية التى كانت بين الشيخ ابن مهزع وزويمر فى مجال المباحث الدينية، غير أنهما مختلفان كل الاختلاف فى التأثير على بعضهما البعض . ففىالوقت الذى لم يكن لابن مهزع استعداد فى القاعدة العقيدية لتقبل آراء زويمـر اللاهوتية .. وحتى مناقشتها ، كان لزويمر استعداد قوى لتقبـل آراء ابن مهزع ، ومناقشتها والاخذ ببعضها فى كثير من الاحـوال . ويمكـن رد ذلك التباين بينهما الى اختلاف مناهج التلقى الدينى عند كل منهما .

---

(١) لا يزال بعض المعمرين فى البحرين يطلقون على الدراجة اسم (خيل ابليس) .

(٢) ولكن هذه الرسالة الأمريكية المؤسسة فى البحرين والكويت والبصرة تستطيع ان تضاعف خيرها وتعممه لو أقلعت عن التبشير بالدين المسيحي وحصرت ما لديها من أسباب البر والحجى فى الطبابة وفى التعليم المجرد من حب الهداية الروحية ، ذلك لأن المسلمين وخصوصا العرب منهم راضون رضى عجيبا بدينهم ، ولا يرغبون فى سواه بدلا . وأكثرهم لذلك يبتعدون عن المدارس التي يديرها المرسلون . فلو فرضنا آن فى مدرسة الكويت أو البحرين ، وهي تجعل من دروسها التوارة ، عشرين تلميذا فان هذا العدد يزداد أضعافا اذا الغي التعليم الديني ، أو قرئت التوارة فى المدرسة كما يقرأ التاريخ . ان المرسلين أنفسهم ليعلمون ذلك ، وهم فى مدة خمسين سنة لم يتمكنوا من هداية خمسة من المسلمين فما الفائدة من التبشير اذن ؟ حبذا مدارس أمريكية لا مفزعات دينية فيها تهرب المسلمين منها . (أمين الريحاني فى كتابه ملوك العرب ص ٢٠٠ ــ ٢٠١) .

فالشيخ ابن مهــزع فى دراسته العقيدية ـ كما هى عنـد المسلمين خاصة ـ كان قد تلقى عقيدته الدينية خالصة مسلمة لاشبه فيها مـن آراء الفلاسفة والمناطقة ، وهى لا تدور الا حول محور التوحيد الخالص للذات الالهية . وان كان لاصحابها أن يأخذوا من تلك الاراء شيئا ، فانهم لا يأخذون منها الا ما يؤكد ويعزز فطرة التوحيد .

أضف الى ذلك ان ابن مهزع كان حين قدوم زويمر وأصحابه الى البحرين قـد بلغ السادســة والاربعين من عمره ، وقـد تثبتت آراؤه العقيدية ، وصلبت نتيجة مطالعاته الدينيةالدائبة فى العقيدة الاسلامية . . تلك المطالعات التى كانت توفرها له مكتبته الكبيرة .

كل هذا مضافا اليه كون الشيخ قاسم سلفى النزعة جعلت زويمر بدل أن يأتى اليه لماحكته فيما لا طائل تحته ، صار يأتيه ليستفيد منه فى مجال اللاهوت والاستشراق الذين كانا موضوع اختصاصه الوحيد .

فمن المعروف أن زويمر وصل الى البحرين عام ١٨٩٣ والتقى بابن مهزع لأول مرة وسنة لا تتجاوز السادسة والعشرين ، وليس فى جعبته غير اجادته للغة العربية اجادة تامة ، وغير وقوعه هو وأمثاله تحت تأثير تلك الدراسات اللاهوتية ، التى لا تشكل الدراسات الاسلامية غير قسم منها . وكان تلقيه اياها بصورة يعتورها التشويه ، والسطحية نتيجـة الروح الحقدية التى كان يتوارثها أساتذة تلك الدراسات . .

فلما استقر فى البحرين وجد أن الصورة هنا تختلف اختلافاً كبيراً عما تلقاه من أساتذة اللاهوت فى أمريكا . وقد وضح له ذلك بجلاء بعـد لقاءآته الكثيرة بعلماء الدين هنا وعلى رأسهم ابن مهزع . وكذلك بعـد أن جاس خلال الديار الاسلامية انطلاقاً من البحرين الى أطراف الخليج العربى فالعراق ومصر والهند وايران .

ان الناظر الى تقارير زويمر الكثيرة عن مسلمى هذه البلاد ، ومسار خط التبشير فيها يلمح بوضوح استفادته العظيمة من دراسة الاســلام فى مواقعه الأصلية ، بحيث أصبحت دراساته الاولى فى أمريكا بالنسبة اليها ليست شيئاً مذكوراً . . من أمثلة ذلك تجنبه فى تقاريره الجيدة تلك التركيز أثناء التبشير على استعمال أسماء والقاب المسيح التى فى الانجيل ، أو طبيعة الخطيئة الأصليــة أو ضرورة الغفران ، أو الروح القدس وأعمال الرسل ، أو عقيدة سر التجسد ، وغيرها .

ومما لا يدع مجالا للشــك أن القس زويمر كان يكن احتراماً كبيرا للشيخ قاسم بن مهزع ، فى وقت لم يكن له ذلك الاحترام عند الشيخ . . ولم يستطع زويمر طيلة حياة الشيخ ان يحسن من نظرة الشيخ اليه . وحين توفى الشيخ عام ١٩٤١ وصادف وجود زويمر فى البحرين ، جاء الى ذويه يعزيهم فى وفاة راحلهم العظيم .

الفصل الخامس

الشيخ قاسم.. المرجع والمستشار

- مدخل
- مكتبة اقبال أوال
- نادى أقبال أوال
- النادى والرسالة الفاصلة
- الرد على الأسئلة
- حكمة رمى الجمار
- حكمة السعى
- حكمة ذبائح النسك
- حكمة البنيتين بعرفه
- عن ترك الحج
- حادثة أخرى مناقضة
- تعريف بالمشروع
- مباركة الشيخ قاسم للمشروع
- الشيخ وقانون التعليم الحديث
- قضية عرضية فى مسيرة المباركة
- شهادات ثلاث

مدخل

والآن .. وفوق كل ما حاولنا تقديمه من حيثيات حياة الشيخ قاسم ، فأنه كان معروفاً بين الجميع بأنه الأب الروحى لأهل البحرين وأنه كان مرجعهم الدينى والدنيوى ومستشارهم الاعلى ، هم وكل من يساكنهم من الاجانب فى البلاد ، فالوكلاء التجاريون والمعتمدون البريطانيون ، وحتى المستشارون منهم يأتونه لاستشارته والاستفادة من آرائه فيما يعرض لهم من مشاكل سياسية كانت أو اجتماعية . وليس أدل على ذلك من أنه كان يستشار من أقوى مسؤلين بريطانيين عرفتهما البلاد بصورة مستمرة .. فاستشاره ديلى (١) واستشاره بلكريف (٢) طيلة حياته ومن قبلهم استشاره كل المسئولين البريطانين فى البلاد وان لم يعملوا الا بما يوافق سياسة دولتهم .

وكذلك ليس أدل ولا أعظم من ثقل مركز الشيخ قاسم كمرجع دينى ودنيوى بين مواطنيه من تلك الحوادث التى سردناها فى الفصل السابق .. فقد كان من أجلها وأعظمها اصطناع الامير على بن خليفة له ـ كما أسلفنا ـ وجعله من بين مستشاريه وكبار حاشيته ، وهو بعد لا يزال شابا . ومثله فعل خليفته الامير عيسى بن على وزاد ، اذ كان طيلة حكمه المديد يستأنس برأى الشيخ قاسم فيما يحزبه من أمر .

والحوادث فى هذا الباب كثيرة ، وقد سردنا بعضها كما تقدم . الا أنه قد استوقفتنا حادثتان مهمتان لكل منهما دلالة عظيمة على ما كان لاستشارة الشيخ واستصدار موافقته من أثر قوى فى تثبيت شرعية أى مشروع اجتماعى أو سياسى يراد تنفيذه فىالبحرين أو مثل اقامة مؤسسات تعليمية أو ثقافية فى البلاد .. كما سيأتى .

هناك حادثتان مهمتان تتعلق باستشارة الشيخ واخذ موافقته ـ بغض النظر عن مردود هذهالاستشارة منسلب وايجاب ـ سنجىء ـ بهما الآن كمثالين لموافقة الشيخ أو عدمها وتأثير ذلك على أى مشروع يراد تأسيسه فى البلاد .

---

(١) راجع فصل الشيخ بين ألقضاء والاعتزال (لقاءان) ص ١٩٢

(٢) وقد تعرفت اليه فكنت أزوره أنشد مشورته ص ٦ .

مكتبة اقبال أوال

وتبعاً للتسلسل التاريخى فى تقرير هاتين الحادثتين .. نبدأ بذكر حادثة تأسيس أول مكتبة فى البحرين باسم (مكتبة اقبال أوال) .

ففى منتصف عام ١٩١٣ اجتمع نفر من شباب المنامة المثقف ومنهم الشيخ محمد صالح يوسف وناصر الخيرى ومحمد حجى حسين العريض، وخليل المؤيد ومحمد على التاجر ، وعلى بن خليفة الفاضل ، ومحمد ابراهيم الباكر ، وعلى ابراهيم كانو ، وسعد الشملان ، وسلمان التاجر وقرروا تكوين مكتبة عامة يديرونها هم لتضم شتاتهم بدلا من مكتبة الارسالية التبشيرية فى المنامة التى كانوا من روادها وتركوها بسبب ما تثيره من شعور سيء فى عامة الناس فى البحرين لكونها مكتبة تبشيرية يحاول أصحابها تغيير معتقد مسلمى هذه البلاد بمعتقد مسيحى . وما يثيره ــ تبعا لذلك ــ ترددهم عليها آنذاك من تصنيف الناس لهم .. بأنهم من أتباع المبشرين .

لذلك فقد استأجر هؤلاء النفر دكاناً كبيراً فى الشارع المدعو الآن بشارع عبد الله من المنامة .

وعلى ذلك العهد .. عهد أوائل العقد الثانى من القرن العشرين .. كانت أى مؤسسة ثقافية مثل هذه المؤسسة الصغيرة تحتاج الى براءة من الحاكم تسمى (بالمرسوم) يجيز تأسيسها وتحتاج أيضاً الى استشارة الشيخ قاسم وأخذ موافقته كعادة الناس يومذاك فى استشارة قضاتهم الكبار كمرجع دينى لهم . وهذا ما لم يتمكن أصحاب هذه المؤسسة الصغيرة من تحقيقه من قبل الحاكم ثم الشيخ مع أن لهم دالة كبيرة عليه ، ففهيم الكثير من تلامذة اخيه الشيخ احمد . ولهم به هو معرفة جيدة وكان يعدهم من تلامذته الذين ظل يوجههم بارشاداته لمقاومة المبشرين (١) .

غير ان عدم تمكن هؤلاء من استشارة الشيخ فى انشاء المكتبة كان له تأثير سلبى عليها ، وعلى النادى الذى استبدلوها به بعد ذلك كما سيأتى . وقد قيل يومذاك انهم تهاونوا فى ذلك وعدوا الامر شيئاً هيناً لا يثير فى الشيخ اى رد او تساؤل ، وتصور بعضهم انهم لو طلبوا الموافقة من الشيخ على انشاء مؤسستهم الصغيرة هذه فلربما لا يحصلون على الموافقة لما قد

---

(١) راجع فصل الشيخ قاسم والتبشير (حيثيات الصراع ..)

يثير طلبهم هذا من استغراب الشيخ اذ لا سابقة اخرى لمثل تأسيس هذه المكتبة على المستوى الاهلى فى البلاد ! وعليهم ان يجعلوه أمام الامر الواقع .

وقال آخرون منهم : وعلى فرض حدوث رد فعل من الشيخ ضد مؤسستهم هذه فان دالتهم الكبيرة عليه وعلى اخيه الشيخ احمد كفيلة بابطاله وحسم الامر لصالح مؤسستهم .. خاصة وان غرضهم شريف .. وهو عدم تمكين المبشرين من ان يكونوا الجهة الوحيدة فى البلاد التي تنشر الثقافة الحديثة ، وتستثمرها لصالح التبشير .

ومما زاد الطين بله ان بدأهؤلاء النفر من الشباب فى تأسيس مكتبتهم البدائية ، وهم يعدونها شيئا من المسلمات العادية حتى انهم لم يستشيروا الشيخ قاسم فى ذلك ..

بدأوا فى استئجار دكان كبير بالشارع المدعو الآن بشارع الشيخ عبد الله (١) كما قلنا سابقاً وجاءوا له بما توفر لديهم من اثاث قليل .. طاولة كبيرة وبعض الكراسى .. ثم جاءوا بكل ما تحت ايديهم من صحف وكتب ووضعوها فيه ، ودعوا هذا الدكان بما يحويه .. باسم (مكتبة اقبال أوال) .. لم يضعوا عليه لوحة بهذا الاسم ولم يصدروا أعلاناً بذلك .. ولا طبعوا اسم المكتبة على اوراق خاصة بها واستعملوها ولا جعلوا لها ختما خاصا بها .

نادى اقبال أوال

كل ما فعلوه انهم تعارفوا فيما بينهم على تسمية هذا الدكان باسم مكتبة اقبال اوال وأشاعوا ذلك بين الناس ... وكل ما فعلوه ايضاً انهم اخذوا يترددون على مكتبتهم هذه صباح مساء .. ثم بدأت المتاعب صغيرة ومحلية مثلما كانت تثيره ظاهرة الدكان ، وصيغته الجديدة على الناس فى البحرين من استغراب لكونه الاول من نوعه بينهم . وكبيرة وخارجية مثل حينما استبدل اصحاب المكتبة اسمها باسم (نادى اقبال اوال) فبرزت بعض قضاياه العقيدية على صفحات بعض الصحف العربية فكان لها تأثير سيء على مستوى المثقفين فى البحرين انذاك كما سيأتي .

---

(١) فى بحثنا عن موقع هذا الدكان من شارع الشيخ عبد الله فى المنامه اختلف من اتصلنا بهم من المعمرين فى تعيين مكانه من الشارع ولكنهم أجمعوا على آنه كان فى الواجهة الجنوبية من الشارع بمحلة الصاغة وسنحاول تعيين مكانه بالذات فى كتابنا المقبل (ناصر الخيري أديباً ومؤرخا) .

كل هذا جرى والشيخ قاسم يسمع ويرى ولا يبدى اى اعتراض رغم ما يروح ويغدو به اليه زواره من المتعالمين والمتشيخين بمشيخةالدين . الذين يقولون للشيخ من بين ما يقولون له عنهذا النادى : (انهم ياشيخ يأتون فى ناديهم المنكر من قرأة صحف النصارى) (١) .

كل ذلك والشيخ يسمع ويرى ولا يبدى اى اعتراض .. لكنه ظل بالنسبة لهذا النادى الصغير كمن يأكل افراده التمر وهو يعد لهم النوى .. حتى وقع المحظور وامر الشيخ باغلاق النادى والى الابد .

النادى والرسالة الفاصلة

أما القصة .. فهاك موجزها .. فانه عندما اكتمل العمل فى المكتبة واستمر كذلك لعدة ايام اقترح العضو الشاب الازهرى محمد صالح يوسف خنجى على اصحابه فيها ان يحولوها الى ناد باسم اقبال اوال فوافقوه على ذلك وانتخبوه مديرا للنادى (٢) واختاروا الاديب ناصر الخيرى امين سر لـه .

ثم نهم جميعاً عزموا على الذهاب الى الحج ، او هكذا قال عنهم ناصر فى رسالته الى الاستاذ الشيخ رشيد رضا التى بعث بها اليه يسأله عن حكمة مناسك الحج (٣) فقال له ما يلي :

(وبعد فالدعى لتحريره عرض مسألة عرضت لنا فى هذه الايام وهو اننا عشرة اشخاص نوينا هذه السنة التوجه لحج بيت الله الحرام ، والتمتع بمشاهدة مهد الاسلام ، وبهذه المناسبة صار جدال وكلام كثير بخصوص الحج ، ومناسكه ، فألجأنا الى طلب الاستهداء من حضرتكم لارشادنا الى السبيل الاقوم والصراط المستقيم ، فعليه قدمنا هذا الكتاب مؤملين فيه الجواب من حضرتكم على هذه الاسئلة وهى :

١ ــ ما هى الحكمة من تقبيل الحجر الأسود اذا عرفنا أنه حجر عادى لا يضر ولا ينفع ، ولا يخفى ما فى ذلك من مظاهر الوثنية ؟

٢ ــ ما الحكمة من رمى الجمار فى القليب فى مزدلفة ؟

---

(١) مثل صحيفة الهلال ، والمقتطف .

(٢) سيأتي ذلك مفصلا تفصيلا دقيقا فى كتابنا الماثل للطبع (ناصر الخيرى أديباً ومؤرخا) .

(٣) تجد الرسالة والرد عليها بتمامها فى كتابنا الماثل للطبع بعنوان (ناصر الخيرى أديباً ومؤرخا) .

٣ ــ ما الحكمة فى الهرولة بين المروتين ؟

٤ ــ ما المقصد من ذبح الذبائح على كثرتها ودفن لحومها في منى وفى ذلك ما فيه من النتائج الوخيمة التى تصدر من تعفن اللحوم اذ تنتشر الأوبئة منها ؟

٥ ــ لماذا أقاموا دون عرفة بنائين عن اليمين وعن الشمال تعرف بالعلمين وكل من لم يكن خلف هذين البنائين ليس مقبول الحج ؟

٦ ــ نرى كثيراً من علماء الامة الاسلامية ومرشديها المصلحين منهم من عاش ومات ولم يحج مع أنه رحل فى سنته مرتين ، أو ثلاثاً الى أوربا والى غيرها من البلاد ولم يذهب الى مكة ؟

٧ ــ وكذلك نرى أن جميع ملوك الاسلام ، وأمراءه ، وأغنياءه لا يحجون ولا نرى الحجاج سواهم الا من فقراء الهند والصين ، والروسيا ، وجاوى ، وبلاد العرب ؟

هذا ما وجهناه لحضرتكم ملتمسين التنازل بمجاوبتنا عليه . فأمط لنا بما أعطاك الله من سعة العلم نقاب الباطل ، عن وجه الحقيقة .. الخ ٤ شعبان سنة ١٣٣١ الى مصر القاهرة .

من المخلص ناصر مبارك الخيرى

هذه أصول أسئلة ناصر السبعة ، التى فوضه أصحابه أعضاءالنادى فى صياغتها وارسالها الى صاحب المنار القاهرية الشيخ رشيد رضا .. أثبتناها هنا. وهي أسئلة يشتم منها رائحة الفكر التبشيرى والاستشراقي، الذى قد يكون تأثر به ناصر أثناء دراسته فى مدرسة المبشرينالبروتستانت وارتياده لمكتبتهم. (١) مثل قول ناصر فى سياق مقدمة رسالته الى الشيخ رشيد : (والتمتع بمشاهدة مهد الاسلام ..) فانها جملة تعد آنذاك من تعابير المبشر صموئيل زويمر خصوصاً وأن له كتاباً باسم (مهد الاسلام). ومثل قول ناصر أيضا فى سؤاله الاول : (ولا يخفى ما فى ذلك من مظاهر الوثنية ..) مما حدا بصاحب المنار أن يقول في رسالة الرد ما يلي : (ما ذكره السائل فى تقبيل الحجر الاسود سرى اليه من شبهات النصارى والملاحدة الذين يشككون المسلمين فى دينهم بأمثال هذا الكلام المبنى على جهل قائليه منوجهة ، وسوء نيتهم فى الغالب من وجهةاخرى).

---

(١) راجع فصل الشيخ قاسم والتبشير (حيثيات الصراع ..) .

وقال أيضاً : (لماذا نهتم بكل ما يلفظ به قسيس أو سياسى يريد تنفير المسلمين من دينهم) .

الرد علي الأسئلة

١ ـ تقبيل الحجر

هذا بعض ما أوحت به رسالة ناصر الي صاحب المنار والآن ترانا مضطرين عبر حديثنا عن هذه الحادثة أن نثبت هنا نتفاً مختصرة مجزية وغير مخلة من رد صاحب المنار علي أسئلة ناصر لتبقي الصورة واضحة مكتملة عن ملابسات هذه الحادثة التي تثبت أن لاستشارة الشيخ قاسم وأخذ موافقته من قبل فى مثل هذه المواضيع أهمية قصوى . ويبقىالرد بصورته الكاملة كرد فقهى واجتماعي وسياسى شاف ليس هنا مجال لنشره لطوله . وفى ما يلي ما اخترناه منه :

قال الشيخ رشيد فى حكمة تقبيل الحجر : (انما عقيدة المسلمين فى الحجر هو ما صرح به عمر بن الخطاب (رضى) عند تقبيله قال : (اني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله (ص) يقبلك ما قبلتك) .

بقي أن يقال اذا كان هذا الحجر لا ينفع ولا يضر كما قال عمر فى الموسم تعليماً للناس ، وأقره جميع الصحابة عليه ، وكان استلامهوتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله (ص) لما يتبع لسائر العبادات فما هي حكمة جعل ما ذكر من العبادات ؟

الجواب : أن الحجر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين وانما هو من وضع امام الموحدين ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم، جعله فى بيت الله ليكون مبدأ الطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر اليها ، فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون . وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك ، كما تحترم الكعبة لجعلها بيتاً لله ، وان كانت مبنية بالحجارة ، فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الامتثال لأمر الشارع ، واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان .

ولهذا لا تقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وان قال به وبتقبيل المصحف وغيره من الشعائر والآثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف فى جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون

ولا المعطلون (١) . وأشد الناس عناية به الافرنج ، فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاتحين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لا يعبدون شيأ منها ، فلماذا يهتم بكل ما يغلط به قسيس أو سياسى يريد تنفير المسلمين من دينهم اذا موه علينا فى شأن تعظيم الحجر الأسود بزعم أنه من آثار الوثنية . ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم امام موحد داع الى الله من النبيين والمرسلين الذين عرف شيء صحيح من تاريخهم ، وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذى جمع علي تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى .

ولعمرى لو أن ملوك الأفرنج وعلماؤه أمكنهم أن يشتروا هذا الحجر العظيم لتغالوا فى ثمنه تغالياً لا يتغالون بمثله فى شيء آخر فى الأرض ، ولوضعوه فى أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة ولحج الألوف الي رؤيته ، وتمني الملايين منهم لو تيسر لهم لمسه واستلامه ، وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع ابراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام ، وانهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك أو الصناع .)

هذه خلاصة رد الأستاذ صاحب المنار علي سؤال ناصر بشأن الحكمة من تقبيل الحجر الأسود .

٢ ــ حكمة رمي الجمار

أما رد الأستاذ علي سؤال ناصر الثاني ، عن الحكمة فى رمي الجمار فقد قال فيه الأستاذ ما يلي :

(اذا وعيت ما تقدم كان نوراً بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج ، أعني بها مما تعبدنا الله تعالي بها بالطاعة والامتثال ، سواء عرفنا سبب كل ذلك العمل منها وحكمته أم لا ، وانها احياء لدين ابراهيم أبي الأنبياء ، وامام الموحدين المخلصين ، وتذكيرا بنشأة الاسلام ومعاهده الأولى .

وان جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أو حكمتها ، لايضرنا ذلك، ولا يثنينا عن اقامتها ، وكما اذا ثبت لنا نفع دواء من الأدوية مركب من عدة أجزاء ، وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فأن ذلك لايثنينا عن استعمال ذلك الدواء ، والانتفاع به ، ولا يدعونا الى التوقف ، وترك استعماله الى أن نتعلم الطب ونعرف حكمة أوزان تلك الأجزاء ومعادنها .

---

(١) المعطلة : أصحاب مذهب التعطيل .

وفى الحديث روى محمد بن اسحاق قال : (لما فرغ ابراهيـم عليه السلام من بناء البيت الحرام ، جاءه جبريل وقال له طف به سبعاً) ثم ساق الحديث ، ومنه (لما دخل منى وهبط العقبة تمثل له ابليس عند حجرة العقبة قال له جبريل : كبر وارمه سبع حصيات (فرماه) فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة الوسطي فقال له جبريل كبر وارمه (فرماه) ابراهيم سبع حصيات ، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقـال له جبريل كبر وارمه (فرماه) سبع حصيات مثل حصى الخزف ، ففاب ابليس ، ثم مضى ابراهيم فى حجه ، الحديث . . .)

وليس تمثل الشيطان للأنبياء ، ولا ظهوره لهم بغريب فى قصصهم . ففي الانجيل المعتمد عند النصارى أنه ظهر للمسيح عليه السلام ، وجربه تجارب طويلة .

والرجم بالحجارة يقصد به الدلالة على السخط ، والتبـرى ، أو الاهانة ، معهود من الناس ، وله شواهد عند الأمم كرجم بنى اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع عليه السلام) لعجان بن زراح ، وأهله وماله من ناطق وصامت كما فى ٧ و ٢٤ و ٢٥ من سفر يشوع . وكرجم النصارى لشجرة التين التي لعنها المسيح . ورجم العرب فى الجاهلية لعير أبي رغال فى الغمس بين مكة والطائف ، لأنه كان يقود جيش ابرهة الحبشى الي مكة لأجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى .

والعمدة فى رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده ، بما لاحظ للنفس فيه ، اتباعاً لابراهيم أقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم فى الأرض ، ومحمد خاتم رسل الله ، ومكمل دينه ، ومتممه الذى حفظ دينه كله فى الأرض) .

٣ ـ حكمة السـعي

وعن حكمة السعي بين الصفا والمروة . . أجاب صاحب المنار ناصر بما يلي : الطواف بالكعبة المعظمة والسعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر الاسلام، من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، وروى أن هاجر رضى الله تعالى عنها كانت تسعى بينهما والهة حيرى عند حاجتها الى الماء زمن ولادتها اسماعيل حتي هداها الله تعالي الى بئر زمزم . والعمدة فى هذه العبادة ما ذكرناه فى الكلام علي رمي الجمار من اقـامة ذكر الله تعالى فى هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفـة فى الأرض ، واحياء سنن المرسلين فيها قال صلى الله عليه وآله وسـلم

« انما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح من حديث عائشة ، واذكاره معروفة فى المناسك .

أما الرمل فيه فهو سنة نبينا (ص) خاصة ومعناه سرعة فى المشى مع تقارب فى الخطوات ، من غير عدو ، ولا وثب . ويسمى الخبب أيضا دون العدو ودون المشى أيضا ، فان زادت السرعة كان عدوا .

أما سبب الرمل فى الطواف ، والسعي بهمة ونشاط بين الصفا والمروة ، فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث اظهار قوة المسلمين للمشركين

وكان قد علم النبى (ص) أن المشركين قالوا عام الحديبية فى المؤمنين: « قد أوهنتهم حمى يثرب) وروى فى الصحيح أيضا أن النبى (ص) لما قدم مكة لعمرة القضاء ، قال المشركون : (أن محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال ، لذلك أمر (ص) أصحابه أن يرملوا فى ثلاث طوفات ، ويمشوا فى أربع من الأشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وان كان اظهار القوة رياء ، والرياء مذموم الا فى الحرب ، وهذا من قبيل الحرب .

والكشف عن المناكب للمحرمين فى الطواف معناه الاضطباع وهو أن يؤخذ الرداء من تحت الابط لليد اليمنى ، فيلقى علي كتف اليسرى فتظهر المناكب . وحكمته من حكمة الرمل ، وقيل انما هو لأجل التمكن منه . وقد ورد فى الصحيح : أن المشركين قالوا عندما رأوا النبى (ص)وأصحابه يرملون مضطبعين : (هؤلاء الذين زعمتهم أن الحمي قد أوهنتهم أجلد من كذا وكذا) . وفى رواية أجلد منا .

نعلم من هذا أن الرمل أو الهرولة كما قال السائل انما شرعت فى الطواف لسبب ، واننا نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين ورسول الله (ص) اتباعاً وتذكراً لنشأة الاسلام الأولى فى عهدهم . وهل توجد أمة من الأمم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين ؟ لا لا فالحمد لله رب العالمين) .

٤ ـ حكمة ذبائح النسك

وعن سؤال ناصر الرابع عن حكمة ذبائح النسك ، ودفن لحومها فى مني أجاب الأستاذ السائل بما يلي : قال (حكمة ذبائح والأضاحي معروفة لا يحلها عامة المسلمين ، وهي طاعة الله تعالى وتقواه ، واظهار

نعمته بتوسعة المسلمين علي أنفسهم ، وعلى الفقراء المساكين فى أيام العيد التي هى أيام ضيافة الله للمؤمنين ، وهي من مناسك الحج ، لأنها احياء لسنة ابراهيم ، وتذكر نعمة الله عليه ، وعلي الناس بفداء ولده اسماعيل من الذبح ، الذى ابتلاه الله وأخبره به ، لتظهر قوة ايمانه بالله تعالى ، وايثاره لرضاه ، ونعمة الله بذلك علي الناس كافة ، انما هي من حيث أن اسماعيل هو جد محمد (صلى الله عليه وسلم) الذى أرسله الله تعالى خاتما لرسله وهاديا للناس جميعاً .

قال تعالى فى البدن التي تنحر للنسك (فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) وقال فى ذبائح النسك عامة (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الآية .

وأما دفن لحومها فى هـذه الأزمنة التي كثر فيها الحجاج ، وقلت معرفتهم ، ومعرفة حكامهم بأحكام الدين ، وحكمه ، فليس من الدين فى شيء ، وانما هو من الجهل بأمر الدين والدنيا ، ولو كان للحجاز حكومة عاقلة رشيدة (١) لعرفت كيف تحفظ مازاد عن حاجة الناس من تلك اللحوم بجعل بعضها قديداً ، وبعضها مقلياً من النوع الذى يقال له (قاورمة) ولأفاضت منها علي فقراء الحرم طول سنتهم ، وهانحن أولاء نرى الأمم العاملة التى تعرف كيف تستفيد من جميع نعم الله تعالى تنقل اللحم الغريض والسمك الطرى من قطر الى قطر ، حتى الغنم تذبح فى استرالية ويباع لحمها فى مصر من شمال أفريقية ، وفى شمال أوربة أيضاً . ونحن قد جعلنا حسنات ديننا سيئات بسوء تصرفنا فصرنا حجة عليه فى نظر الأمم كلها ، وهو حجة علينا عند الله .

واذا جاز لنا أن نترك هذه الذبائح وننفق ثمنها فيما ذكر السائل فمن يضمن أن يقوم الناس بذلك ؟ كلا ان هذا شعار لايقوم غيره مقامه ، ولو كان للمسلمين من الاهتمام بعمران الحرمين وخدمة الحجاج ما أشار اليه السائل لما توقف قيامهم على تركهم لهذا النوع من النسك ، وان كان فى الأنعام التي تذبح هناك ما يضر لحمه بالآكلين ، وعرف ذلك بشهادة الأطباء والعارفين فالواجب علي الحكومة أن تمنع دخول هذا النوع الضار حتي لا يسوق الناس الي الحرم من الغنم ، وغيرها من النعم الا كل صحيح حتى لا يخشى منه الضرر .

---

(١) الكلام على حكومة الحجاز عام ١٩١٣ .

٥ ــ حكمة البنيتين بعرفه

وعلي السؤال الخامس من أسئلة ناصر وهو عن البنائين المعروفين بالعلمين القامين بجبل عرفات أجاب الأستاذ صاحب المنار بالآتى :

اذ كان من أركان الحج الوقوف بعرفة وجب أن يكون بعرفة حدود معينة ، والا بطل معنى فريضة الوقوف فيهـا . وهكذا كل عبادة اعتبر فى فرضيتها مكان أو زمان كالطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ،وصيام رمضان ، وكون الصيام من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، لا تحصل العبادة لمن خرج عن هذا الحد المكاني أو الزماني .

وأما مسألة القبول فهي شيء آخر فما كل من أتي بأعمال العبـادة الظاهرة يجزم بأنه عمل مقبول عند الله تعالى اذ لا يجوز أن يكون مرائيا بعمله غير مخلص فيه ، وانما يتقبل الله من المخلصين المتقين . لكن المخلص اذا لم يأت بالعمل الذى فرضه الله تعالى ، كما فرضه تعالى بحدوده من زمان ومكان ، فلا مجال للقول بأن عمله مقبول ، لأن العمل لم يوجد ، فمن سعى الي الحج ، ولم يدرك الوقوف بعرفة وراء العلمين الذين هما أول حد عرفه ، لم يدرك الحج حتى يبحث فى قبول حجه وعدم قبوله ، ومثله مثل من سعي الي صلاة الجمعة ولم يدرك ركعة فيها مع الامام ، لا يقال أن جمعته مقبولة أو غير مقبولة ، لأنه لا جمعة له ، وان سعى لها من أول النهار مخلصا لله فى ذلك . ولكن الله لا يضيع أجر من سعى الى الحج أو الجمعة ، أو غيرهما من العبادات ، مع الاخلاص ، فيثيبه علي ذلك ، وان لم يسقط عنه الفرض كان لابد للجمعة من صلاة الظهر ، وفى الحج من أدائه حاجا في ميقاته . وقد علم ما ذكرنا أن العلمين حد لعرفة لاحد بين الله والناس ، ولا بين الجنة والنار .

٦ ــ عن ترك الحج

وأجاب الأستاذ صاحب المنار ناصر علي سؤاله السادس بشـأن ترك بعض علماء المسلمين لفريضة الحج ، بما يلى :

الحج فريضة علي من استطاع اليه سبيلا ، وهو على التـراخي لا الفور اذا وجد العذر ، والخلاف فى المسألة مشهور . ولم يحج رسول الله (ص) الا فى آخر سنة من عمره ، ولكنه اعتمر قبل ذلك . ومن ترك الحج وهو يستطيع السبيل اليه حتى مات ، مات عاصياً لله تعالى ولا يقتدى به ، ولا يعد تركه اياه عذراً لغيره . والسائل يقول : (انه يرى كثيراً من علماء الأمة ومرشديها المصلحين لم يحجوا) وأنا لا أعرف

أحداً من العلماء المصلحين ، ولا غيرهم الجامدين الراضين بحال المسلمين السيئة ، وترك الحج بغير عذر حتى مات .

سبق لنا فى مجلدات المنار السابقة الانتقاد على سلاطين آل عثمان، وملوك ايران وغيرهم من أمراء المسلمين ترك فريضة الحج ، ولكن لم يخطر ببالنا أن أحداً من المسلمين يقتدى بهؤلاء الملوك والسلاطين فى ترك هذه الفريضة .

وكذلك الأغنياء المترفون لا يصح أن يكونوا قدوة فى ذلك ، ولا يكونوا شبهة من الشبهات علي الحج .. على أن كثيراً من الأغنياء يحجون ، فان كان غير الأغنياء أكثر حجاً فذلك لأنهم فى أنفسهم أكثر عدداً ، وأقل فسقاً وترفاً .

هذا ما نراه كافياً فى جواب هذه الأسئلة فعسى أن يراه السائل كذلك ، والله الموفق .

ولو لم تكن الا هذه المقتطفات القصيرة من رد صاحب المنار على أسئلة ناصر لكفى أن يقوم الشيخ قاسم بعد أن قرأ الرد بأكمله ولا يقعد الا وقد أمر باغلاق نادى اقبال أوال .. وطلب أصحابه لمجازاتهم عما فعلوه فى موضوع الرسالة ، فأغلق النادى فى عامه الأول ، واعتذر أصحابه للشيخ عما بدا منهم ، ولكنه لم يسمح قط باعادته للعمل مرة أخرى فقد تذكر الشيخ أنهم لم يستشيروه ولم يأخذوا موافقته على انشاء المكتبة أو النادى .

أما ناصر فكان له الحظ الأكبر من غضب الشيخ عليه فقد هدده بجدع أنفه .. لولا تشفع أهل الخير فيه وبينهم مخدومه الحاج عبد الله بن محمد بن جمعة الابراهيم ، وصديقه فى العمل المستر روبرت ونكاس الوكيل التجارى الألمانى فى البحرين آنذاك .

وحادثة أخرى مناقضة

تلك كانت حادثة نادي اقبال أوال .. جئنا بها للتدليل على تأثير عدم مباركة الشيخ قاسم فى مشروع كان جديداً فى صيغته علي أهل البحرين ، فلم يستمر فى عمله الا أشهرا قليلة ، ولم ينتج شيئا ، اللهم الا ما أعطتنا رسالة أمين سره من صورة مصغرة عن جانب صغير من الحياة الفكرية لأعضائه .

لقد كان كل جريرة هذا النادى أن أصحابه قد عصفوا به قبل أن يستوى علي سوقه .. بسبب أنهم عجزوا أن يرسلوها نظرة فاحصة على المناخ الاجتماعى السلفى من حولهم ، وتأثير الشيخ قاسم فيه كمرجع ديني ودنيوى .

انه كان يمكن لهذا النادى أن يستمر ، وأن يعطي أكله العلمي والاجتماعى ، فيأخذ بالحياة الفكرية فى البلاد الي الأفضل فى وقت مبكر، لو قاد ربابنته سفينته بلباقة وحذر . لقد وصلت بهم الحال الي أنهم لم يأتوا ببراءة من حاكم البلاد لتأسيس مشروعهم ، ولو أنهم فعلوا ذلك وأطلعوا عليه الشيخ ، ولو فى اجتماع عام لهون ذلك من وقع الأمر ، كما فعل مجلس المعارف للتعليم الحديث فى البحرين بعد ست سنوات تقريبا من اغلاق النادى .

ولعل مجلس المعارف هذا قد استفاد من أخطاء أصحاب مشروع النادى . لقد كان الشبه بين المشروعين متواجدا فى كثير من الجوانب ، فذاك مشروع تثقيف .. وهذا مشروع تعليم وكلاهما فرعان من شجرة المعرفة . كذلك فان أصحاب المشروع الأول كانوا رهطا من عشرة أفراد ، وان أصحاب المشروع الثانى كانوا مجموعة من أربعة عشر فرداً . غير أن هؤلاء الآخرين امتازوا علي أولئك بحنكتهم التجارية ، فقد كانوا تجارا يعيشون حياة اجتماعية يعرفون دقائقها حق المعرفة .

ومن قبل بينما قاد الشابان ناصر الخيرى ومحمد صالح يوسف دفة مشروعهم — بدون ترو — الي الهاوية دون أن يشعرا .. قاد الشاب عبد الله بن عيسى الخليفة ، ومن خلفه الكهلان الشيخان ابراهيم بن محمد الخليفة ، وعبد الوهاب بن حجي الزيانى دفة مشروعهم هذا الي الخير والنماء .

تعريف بالمشروع

أما قصة مشروع التعليم الحديث فى البحرين فهاكها موجزة ليتسنى لنا عبر سردها معرفة تأثير مباركة الشيخ قاسم لانجاح هذا المشروع .. والقصة تبدأ حين نفر رهط صالح من أبناء هذه البلاد ، وتنادوا الى اجتماع تمهيدى يعقد برئاسة الشيخ حمد بن عيسى الخليفة (أكبر أبناء الحاكم) آنذاك فى داره بالمحرق .

كان وراء هذا المشروع الأهلي العظيم رجال شجعان .. قد يكونون اليوم مجهولين ، وهذا ما كانوا يتمنونه ، فانهم أرادوا أن يكونوا جنوداً مجهولين فى ارساء هذا المشروع ، وتنفيذه ، لولا أن طبيعة مشاكل هذا المشروع المتجددة المتشابكة حتمت عليهم رعايته بجهدهم ومالهم ووقتهم لعقد كامل من السنين حتى استوىعلي سوقه رغمما اكتنفهم منصعوبات مادية وأدبية ، مما ليس له مكان هنا لرصده وتسجيله . (١)

كانت الحرب العالمية الأولى قد انتهت ، وكالعادة فبعد الحرب الفاصلة يحدث التغيير فى العالم حسب قرب المناطق وبعدها من تلك الحرب ، فيكون التغيير جذريا أو غير جذرى تبعا لذلك ، وقد كان حظ البحرين من ذلك كبيرا ، اذ جاء التغيير كاملا فى نظام التعليم السابق فيها ذلك التعليم الذى كان علي نظام من القدم والسلفية ما لا يساير فى بنوده معطيات العصر الحديث .

ولنقترب شيئاً فشيئاً من الموضوع لنقول أنه كان لفكر المثقفين الاصلاحيين فى البحرين آنذاك دخل كبير فى هذا المشروع التعليمىالحديث فى البلاد، فحين نراجع القائمة الأولى بأسماء المؤسسين الأول لهذاالمشروع العظيم ، نرى فى أولها اسم الشيخ عبد الله بن عيسى الخليفة ، الرجل المتنور الذى كان لزيارته لأوربا ومنها بريطانيا عام ١٩١٨ . وما جاء به من انطباعات من هذه الزيارة أثر كبير فى اخراج هذا المشروع الى حيز الوجود . كذلك نرى فى القائمة اياها اسم الزعيم المجاهد عبد الوهاب بن حجي الزياني الذى كان زعيما ومصلحا حقا علي مستوى البلاد العربية والاسلامية (٢) وهو الذى أصبح فيما بعد الدينامو المحرك لهذا المشروع وكذلك فان من بين أسماء القائمة اسمى الأديبين المفكرين ابراهيم محمد الخليفة ومحمد بن عيسى الخليفة (٣) ومنها أيضا اسم الشاعر الأديب قاسم محمد الشيراوى ، الذى ولو لم يكن من حسناته الا أنه سطر لنا بيراعه المفن حيثيات الجلسات الأولى وما بعدها لاجتماعات أصحاب

---

(١) سنقوم ان شاء الله فى المستقبل بنشر دراسة مفصلة عن ذلك من خلال ما حصلنا عليه من معلومات وثائقية فى هذا الموضوع .

(٢) راجع (نابغة البحرين .. عبد الله الزائد) من ص ١٣٦ الى ص ١٤٦ .

(٣) نابغة البحرين ص ٢٣ .

المشروع الخاصة والعامة لكفى (١) وكان من بين أسماء هذه القائمة أيضا أسماء رجال محسنين مضحين مثل عبد الرحمن بن محمد الزياني وصقر بن شاهين الجلاهمة وسلمان بن مطر وعلى بن عبد الله ويوسف فخرو ، وعبد الرحمن الوزان ، وعبد العزيز القصيبي (٢) .

مباركة الشيخ قاسم للمشروع

لقد تنادى كل هؤلاء فتقاطروا الى الجلسة التمهيدية لمشروع التعليم الحديث فى البحرين .. فى جو عاصف من معارضة بعض العلماء والمشايخ الذين لهم بعض الوزن فى البلاد .. اذ كتب هؤلاء العرائض الى حاكم البلاد آنذاك يطلبون منه الغاء هذا المشروع (٣) بل انهم نددوا به من على أعواد المنابر وقد خص الشيخ عبد الوهاب من بين أعضاء المجلس بهذا التنديد (٤) غير أن المتنادين لتأسيس هذا المشروع لم يفت في عضدهم معارضة أولئك .. بل قطعوا خط الرجعة عليهم ودعوا مرة أخرى الى الجلسة الأولى للمشروع فحضرها سبعة وأربعين عينا من أعيان البلاد لأجل الاكتتاب بالتبرع للمشروع ، كان على رأس هؤلاء المدعوين الشيخ

---

(١) الأديب الشاعر قاسم محمد الشيراوى من مواليد المحرق ١٨٨٠ شغل وظيفة سكرتيرا خاصا لرئيس مجلس المعارف عام ١٩١٩ ... وعضوا فى مجلس المعارف الأول ثم نفته سلطة الحماية الانكليزية فى البحرين بأمر المعتمد البريطاني الميجر ديلي من البحرين الى الهند عام ١٩٢١ . وبعدها عاد الى البحرين واشترك فى حركة الشيخ عبد الوهاب الزياني ضد الانكليز بصورة غير مباشرة .. عمل فى تجارة اللؤلؤ .

وفى عام ١٩٢٨ زار القاهرة هو وعبد الله الزائد ومحمد ابراهيم الباكر وحصلوا على عضوية الرابطة الشرقية للأدباء والمفكرين العرب ، ثم زاروا فلسطين فسوريا والعراق فاحتفي بهم فيها .

كان رحمه الله من شعراء البحرين المبرزين وساهم بقصائده الطوال فى نصرة حملات التبرع لفلسطين والبلاد العربية والاسلامية ، وشعره يمتاز بالجزالة والثروة الثقافية . توفى عام ١٩٥٠ .

(٢) الفقرة (٣) من مضبطة الجلسة التمهيدية لمشروع التعليم الحديث فى البحرين بتاريخ الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٣٨ .

(٣) جاء فى الجلسة التمهيدية للمشروع ما يلي : (فى أثناء تلك المحادثة قال أحد الحاضرين أن هذا العمل بلا شك ، ولا ريب هو من أجل الأعمال التي يجب الاهتمام بها . ولكن ويا للأسف كل الأسف أن بعض طلبة العلم علق بذهنه شيء من الوهم حمله الى أن يكتب لحضرة الملك المعظم (يعني الحاكم) ما يشوه به وجه الحقيقة . ولهذا نؤخر الجلسة الى جلسة أخرى ، ونسعى فى ازالة سوء التفاهم) .

(٤) كان فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الصحاف ممن ندد بالمشروع وهاجمه وعرض باسم الشيخ عبد الوهاب الزياني لكونه العامل النشيط لتنفيذ المشروع وقد رد عليه الشيخ قاسم رداً عنيفا مقنعا .

قاسم بن مهزع .. جاء بعد أن أقنعه أصحاب المشروع بمحاسنه وقالوا له أنه نواة لمدارس دينية نظامية ، فنالوا موافقته عليه خصوصا بعد أن علم برضا الحاكم عنه .

لقد وافق الشيخ أن يكون فى صف المشروع الجديد ، حتى قبل أن يلوح له أصحاب المشروع ببراءة الحاكم لتأسيسه ، لأنهم لم يكونوا — آنذاك — قد حصلوا عليها بعد .

ويظهر أن ثقل الوزن الوجاهي لمؤسسى المشروع وقربهم من الحاكم وقوة دالتهم عليه لعب دوراً مهما فى مباركة الشيخ للمشروع ، وهذا ما لم يتهيأ من قبل للرهط المؤسس لنادي اقبال أوال كما سبق .

دفاعه عنه

وحضر الشيخ قاسم الجلسة الأولى مع السبعة وأربعين عينا من أعيان البلاد .. كانت الجلسة برئاسة الشيخ عبد الله بن عيسى وفى داره بالمحرق ، وبعد مضي شهر كامل علي يوم انعقاد الجلسة التمهيدية .. كانت هذه الجلسة الجديدة قد حدد موعد انعقادها خلال تلك الجلسة التمهيدية السابقة . لقد كان المؤسسون خلال ذلك الشهر فى شغل دائم لاقناع أهل البلاد وكبراءها بجدوى مشروعهم الجديد ، ومشغولون أيضا بالرد على مناوئيه ، غير أنهم عجزوا عن ذلك فتولى الشيخ قاسم تلك المهمة فأسكت أولئك ، كما حدث حين هاجم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الصحاف المشروع وندد به من علي منبر جامع الشيخ حمد بالمحرق وعرض بأصحابه وصرح باسم الشيخ عبد الوهاب الزياني فى هذا التنديد لكونه أنشط العاملين فى تنفيذه ورعايته ، فرد الشيخ قاسم من فوق منبره بالجامع الغربى بالمنامة علي الشيخ الصحاف وأقنع كل من يقف ضد هذا المشروع بالوقوف معه، وظل يفعل ذلك فى مناسبات مختلفة حتى توطدت أركانه .

اشتراكه فيه

نعود الى الجلسة الأولى فنراها قد انعقدت صباح الاثنين الثالث عشر من ربيع الثانى عام ١٣٣٨ وقام أمين سر الجلسة بتسجيل أسماء كل الأعيان الحاضرين فى دفتر الاكتتاب . أثناء ذلك وصل مندوب الحاكم يحمل براءة تأسيس المشروع من قبل الحاكم فناولها لرئيس الجلسة

الذى تلاها على الحاضرين (١) وحين قام الشيخ الشاعر ابراهيم بن محمد الخليفة وألقى كلمة الافتتاح نيابة عن رئيس المشروع قال فى الفقرة الرابعة منها بعد أن شكر المؤسسين ما يلي : (.. **وبنوع خاص اخص بالثناء والشكر العلامة الفاضل حضرة قاضينا العادل الشيخ قاسم الذى قام فى تأييدهم (أى مؤسسى المشروع) أتم قيام وأنزل عن المشروع الشكوك والأوهام)** (١) .

ولقد ذهب رئيس المشروع الى أبعد الحدود فى تكريم الشيخ باشراكه فى تنفيذ المشروع على أعلي المستويات ، وهو اختياره ليشارك فى انتقاء أعضاء أول مجلس للمعارف فى البلاد .. ففى كلمته الافتتاحية بجلسة الاكتتاب الأولى هذه خاطب الرئيس السبعة وأربعين عيناً الحاضرين فقال :

(وقد وقع نظري على أشخاص منكم سيذكر لكم حضرة القاضى أسمائهم (٢) ويوضح لكم الأعمال التى نريد منهم القيام بها) (٣) .

ثم تكلم الشيخ قاسم فى الجلسة نفسها فقال عنه التقرير فى مضبطة الجلسة ما يلى :

(بعد ذلك تكلم حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ قاسم بكلمات مؤثرة وتلا قوله تعالى : من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا (الآية) ثم أفاض فى تفسيرها وذكر القصص التي جرت من الصحابة عند نزولها ، ثم نادى وندد ، واستنهض واستنجد ، وحث وحرض ، وصرح وعرض ، وأتى بكل ما يستحقه المقام من الاسهاب والاطناب فى فضل العلم والتعليم ، وتلا قوله تعالى : يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

وقد علق التقرير علي ذلك قائلا : (**عند ذلك أخذت الأريحية القوم وحدث كل نفسه بما يكتتب وما عليه فى المشروع يجب)** (٤) ولم يذكر التقرير نص كلمة الشيخ لأنه ارتجلها ارتجالا .

---

(١) مضبطة الجلسة الأولى للمشروع (نص براءة الحاكم لتأسيس المشروع بتاريخ ١٣ ربيع ٢ / ١٣٣٨) .

(٢) مضبطة الجلسة الأولى للمشروع (الفقرة الرابعة) .

(٣) كذا فى النص ، وان كان الصحيح (أسماءهم) .

(٤) مضبطة الجلسة الأولى للمشروع الفقرة (٥) .

(٥) مضبطة الجلسة الأولى للمشروع الفقرة (٦) .

الشيخ وقانون التعليم الحديث

تلك قصتان جئنا بهما عبر مسيرة مباركة الشيخ قاسم لمشروع التعليم الحديث فى البحرين فالأولى دفاعه ، والأخرى اشتراكه فيه ، وهما تثبتان موافقة الشيخ آنذاك على أى مشروع جديد فى البلاد ، تأتي بمردود حسن على المشروع نفسه . وتبقى القصة الرائعة فى مسيرة مباركة الشيخ لهذا المشروع وهي كما يأتي :

كان من نتيجة انعقاد الجلسة الاولى للمشروع تسمية اعضاء أول مجلس للمعارف فى البحرين ، ولم تنته الجلسة الا وقد أعلنت أسماؤهم جميعا من بين السبعة وأربعين عيناً من أعيان البلاد الحاضرين كما أسلفنا ، فما كان منهم الا أن عقدوا الجلسة الثانية والثالثة (١) لمناقشة الشؤون الادارية لمدرسة الهداية التي هي أول نواة لمشروع التعليم الحديث ، وقد كان أيضاً من بين ما ناقشوه ووافقوا عليه القانون الأساسي للتعليم فيها . كان هذا القانون من وضع مستشار التعليم الحديث الأستاذ السيد عبد الله دحلان (٢) وحينما ناقش المجلس مواده الثمانين مادة مادة ووافقوا عليه لم يصدقوا عليه بوضع أختامهم تحت آخر بند فيه ، بل رفعوه قبل كل شيء الى الشيخ قاسم ليرى رأيه فيه ، ان سلباً أو ايجاباً .

ويتسلم الشيخ مسودة القانون من يد عضو المجلس النشيط الشيخ عبد الوهاب الزياني ويطلع عليها ويتفحصها ثم يردها الى المجلس وبرفقتها كتاب تصديقه عليها ، وهو كما يلي :

(بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذى أكمل لنا الدين ، وجعل أمتنا ولله الحمد خير أمة ، وبعث فينا رسولا لأمتنا يتلو علينا آيات الله ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة .

أما بعد فاني نظرت الى هذا السفر العظيم وما تضمنه من معالم الاصلاح والمصلح الذى هما على النهج القويم ، فيا لذلك ما تضمنه هذا المسلك المرشد الى الصراط المستقيم ففي ضمنه الترقي للعامل بهما فى التهذيب والأخلاق ، وأوامر رب العالمين .

---

(١) كانت الجلسة الثانية بتاريخ ١٥ ربيع ٢ / ١٣٣٨ والثالثة بتاريخ ١٨ منه (مضبطة الجلسة الثانية والثالثة) .

(٢) هو السيد عبد الله صدقه دحلان من أفاضل الحجازيين هاجر من الحجاز الى سنغافورة ، ثم جاء الى بومبي ، ومنها استقدمه مجلس معارف البحرين عام ١٩١٩ حيث وضع قانون التعليم ، ثم تولى ادارة مدرسة الهداية فكان أول مدير لها . ثم غادر البلاد الى اليمن ليتولى منصباً هاماً فى جيش أمام اليمن آنذاك .

فيا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم به ، فكل ما يتضمنه هذا التسجيل فهو يهدى الى سواء السبيل ، وبه حياة الأمة . فأول مادة من ذلك المرقوم الى ختام المواد بكمال الثمانين كل معالم آخلاقية وتهذيبية واصلاحية ودينية ،وما يلقاها الاذو حظ عظيم. فالله الله فى هذه الأعمال الموجبة لحياة الأبدية ، فاستبقوا الخيرات وسارعوا الى مغفرة من ربكم . واللسان يكل عن ابداء محاسن هذا المنشور الموجب لرضا (١) الله جل جلاله والفوز يوم لقاه . والسلام عليكم ورحمة الله .)

حرر فى ٧ ربيع ١٣٣٨/٢

قرره

قاسم بن مهزع

وتعود مسودة القانون من لدن الشيخ الى المجلس مرفق بها كتاب موافقته فى صورة تقريظ لطيف للغاية ، يحمل بين طياته من عبارات تشجيع الشيخ للقانون ورضاه عنه ما أفعم قلوب أعضاء المجلس بالسرور فصدقوا عليه جميعا بالجلسة السادسة بتاريخ ٣ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ بعد أن أثبت المجلس نص كتاب الموافقة من الشيخ بآخر مضبطة الجلسة ، وكتب فوق النص ما يلي : (صورة تقريض (٢) العالم الفاضل الشيخ قاسم بن مهزع قاضي المسلمين بالبحرين)

ثم ذيل النص بتصديقه على نظام الدراسة .

قضية عريضة
فى مسيرة المباركة

ويستمر الشيخ قاسم فى تأييده ومباركته لمشروع التعليم الحديث فى البحرين فيذهب فى ذلك شوطاً بعيداً ، فيعد مجلس المعارف أواخر عام ١٣٣٩ هـ بأنه سيحبس أحد دكاكينه فى المنامة وقفاً على مدرسة الهداية (نواة مشروع التعليم الحديث فى البلاد) ليصرف ريعه على معلمي القرآن فى المدرسة ، وأكد ذلك فى مناسبة أخرى فوعد أيضا بأنه سيسلم وثيقة الوقفية الخاصة بالدكان الى المجلس فى اليوم الذى يبدأ فيه التعليم الحديث فى المبنى الجديد للمدرسة .

---

(١) الصواب : لرضى .
(٢) كذا فى النص ، والصواب تقريظ .

كان ذلك اليوم – كما هو متفق عليه من قبل – هو اليوم الثاني من محرم ١٣٤٠ غير أن ذلك اليوم مر ولم يقم الشيخ بتنفيذ وعده ، من أجل ذلك ناقش المجلس فى جلسته السابعة والستين المؤرخة فى ١٤ محرم ١٣٤٠ مسألة تأخر الشيخ فى ارسال وثيقة وقفية الدكان الى المجلس ، وقرر ارسال كتاب الى الشيخ بهذا الخصوص فجاء نص قراره كما يلي :

((٧) جرت المذاكرة فى استلام دكان القاضي الشيخ قاسم الذى تبرع به للمدرسة ووعد بتسليمه للادارة فى اليوم الذى يشرع التعليم فيه المدرسة ، فتقرر أن يكتب له كتاب يطلب منه تسليم الدكان للادارة) .

والظاهر أن الشيخ قاسم استلم الكتاب الذى أوصى المجلس بارساله اليه بحيث أنه رد عليه بتاريخ ٣٠ محرم من العام نفسه واعدا المجلس بأنه سيرسل اليه وثيقة الدكان ، فقد جاء فى مضبطة الجلسة التاسعة والستين للمجلس المؤرخة فى ١٥ صفر ١٣٤٠ هـ ما يلي نصه :

(٢) قرىء كتاب حضرة الفاضل الشيخ قاسم المؤرخ سلخ محرم ١٣٤٠ الذى يتضمن انه اوقف دكانا من دكاكينه على معلمي القرآن بالمدرسة ، وسيرسل ورقة الوقفية ، فتقرر ان يكتب له كتاب يطلب منه فيه ارسال ورقة الوقفية) .

وكما هي العادة فقد تسلم الشيخ قاسم ايضا كتابا جديدا من مجلس المعارف يذكره فيه بالبر بوعده ، وسيرسل وثيقة وقفية الدكان الذى حررها ، وقرر فيها ان العمل بموجبها يبدأ من اول يوم فى شهر صفر من العام نفسه .

هذا ما قالت به مضبطة الجلسة السبعين لمجلس المعارف المؤرخة فى ٢٧ صفر ١٣٤٠ هـ فى قرارها التالي :

((٤) قرىء كتاب القاضي الشيخ قاسم المؤرخ فى ٢٠ صفر ١٣٤٠ المتضمن انه سيرسل ورقة الدكان ، وان ابتداء الوقفية ستكون من اول صفر ١٣٤٠) .

الى هناك تتوقف الرسائل بين الشيخ قاسم ومجلس المعارف اذ لم يرد بعد ذلك فى مضابط جلسات مجلس المعارف ما يؤكد خلافه

فهل انتهى الاشكال بينهما بشأن الدكان الوقف ؟ ! وهل سارت الأمور بينهما فى مجراها الطبيعي ؟

قبل أن أجيب على ذلك بالسلب أو بالايجاب .. أعترف اني بعد جهد بضع سنين فى تحقيق هذه الدراسة عن الشيخ ابن مهزع ، لم أستطع أن أعثر على نصوص الرسائل المتبادلة بين الشيخ ومجلس المعارف فكما قلت سابقاً فى مقدمة هذه الدراسة ، أن ضياع تراث الشيخ كان السبب المباشر لذلك . كذلك فانه من المؤسف حقاً أن يضيع التراث المكتبي لرئيس مجلس المعارف الشيخ عبد الله بن عيسى الخليفة ، فقد كان يحتفظ به فى غرفته الخاصة ببيته فى المحرق وحدث أن هدم البيت فنفشت فى أوراقه ايدى القوم من عابرى السبيل ، وقد يكون من بين هذا التراث أوراق مهمة كالرسائل المتبادلة بين الشيخ والمجلس .. ولم يأبه بها أحد فضاعت الى الأبد نتيجة الاهمال وعدم الوعي الثقافي .

يبقى ما أسعفتني به مضابط الجلسات لمجلس المعارف ما بين ١٩١٩ و ١٩٣١ فقد كان لها اليد الطولى فى تحقيق القضية العرضية التي وقعت بين الشيخ والمجلس .

أعود الاجابة عن موضوع التساؤل فأقول لقد تأكد بين الناس فى البحرين آنذاك من المتابعين لتطور هذه القضية بين الشيخ ومجلس المعارف ، أن الشيخ كان قد اشترط على المجلس ان يأتي بمعلمين للقرآن الكريم ، على مستوى العلم اللدني .. الذى يرضاه هو حتى يجعل دكانه الوقف حبسا على هؤلاء المعلمين كما سبق . لهذا كله فقد أصبح تنفيذ رغبة الشيخ هذه من قبل المجلس أمراً متعذرا خصوصا اذا كان المعلمون حسب المواصفات التي يطلبها الشيخ فيهم .

شهادات ثلاث

ولقد أجمع من اتصلت بهم فى أمر تحقيق هذه القضية ابتداء بالمرحوم الشيخ محمد صالح يوسف ، وانتهاء بالشيخين محمد الحباب المهزع وعبد الرحمن بن أحمد المهزع على أن الشيخ قاسم حين وعد مجلس المعارف بحبس أحد دكاكينه فى المنامه على تعليم القرآن بمدرسة الهداية .. اشترط على المجلس أن يكون معلمو القرآن هؤلاء على مستوى العلماء والفقهاء ، وأعطى مثالا على ذلك بعلماء وفقهاء من أهل الاحساء ، ثم خصص منهم بعدالتعميم فقال : (مثل الفقيه الشاعرالشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي ، ومن هم فى درجته فقها وورعا) . فلم يكن فى وسع

المجلس تنفيذ رغبة الشيخ هذه وخاصة وان من أمثال هؤلاء العلماء من يعارض التعليم الحديث ــ آنذاك ــ معارضة شديدة ويرى انه يتقرب الى الله بمعارضتة ومنعه . ونتيجة لذلك لم يحبس الشيخ دكانه الوقف على معلمي القرآن بمدرسة الهداية ، ولكنه ظل يبعث بريع هذا الدكان شهريا الى مجلس المعارف اعانة منه لمدرسة الهداية .

ولعل الشيخ قاسم كان قد اكتشف بعد عامين اثنين من تعاونه مع مجلس المعارف بأن مشروع التعليم الحديث فى البحرين ليس مشروعا لتعليم ديني خالص ، فظن أنه استغل عبر السنتين الماضيتين من قبل مؤسسي المشروع للحصول على تأييده للمشروع ومباركته والدفاع عنه ، وقد تم لهم ما أرادوا .. واستوى مشروعهم على سوقه . اذن فما دام قد أعطى أصحاب المشروع وعدا بحبس دكان من دكاكينه على معلمي القرآن بمدرسة الهداية (نواة المشروع) فلماذا لا يضع عليه الشرط المعجز ، الذى يقضى بحصول أصحاب المشروع على موافقته ــ طيلة حياته ــ فى تعيين معلمي القرآن في المدرسة ، اذا هم ارادوا تنفيذ وعده بحبس الدكان على مدرستهم .

ولعل السبب المباشر الذى حدا بالشيخ الى أن يضع هذا الشرط المعجز .. وهو وقوعه تحت تأثير آراء المشايخ من أهل الاحساء من أساتذة وتلاميذ مدرسته الفقهية الذين وقعوا تحت قناعة مبكرة بعدم كون مشروع التعليم الحديث فىالبحرين مشروعا للتعليم الديني الخالص ، فأراد الشيخ فى محاولة لطمأنتهم أن ينوب عنهم فى الضغط على مؤسسي المشروع بهذا الشرط ليحدوا من التحديث الواسع للتعليم فى مدرسة الهداية ، خصوصاً بعد تعيين الشيخ حافظ وهبه مديراً لها ، وتطويره فى المنهج . ولعل الشيخ قاسم كان يرمي من وراء ذلك أيضا أن يقف بالمجلس عند مسؤليته من حيث قيامه بهذا المشروع على أساس ديني حسبما تعهد أصحابه بذلك عبر اجتماعاتهم ولقاءاتهم بالمتبرعين ، وحسبما تفوهوا به فى خطبهم أثناء تلك اللقاءات والاجتماعات (١) .

---

(١) (اخواني اني أرجو أن تكون هذه الساعة من أسعد الساعات وأبرك الأوقات ، حيث وفق الله للاجتماع بقصد التعاون والتعاضد فى آمر المدرسة الدينية التي عزمنا على انشائها فى بلدتنا البحرين ..) .

من خطاب رئيس مجلس المعارففىالجلسة الأولى للمجلس بتاريخ ١٣ ربيع ١٣٣٨/٢ هـ .

(اخواني ان مما من الله به علينا فى هذه السنة المباركة توفيقنا للسعي فى تأسيس مدرسة دينية تعلم أولاد المسلمين ما يلزمهم من أمور دينهم .. وما يحتاجون اليه من أمور دنياهم ..) من خطاب الرئيس فى الجلسة السادسة للمجلس بتاريخ ١٩ ربيع ٢ / ١٣٢٨ أمام حشد كبير من المدعوين للتبرع لمشروع التعليم . (والعلم لا ينال الا بالتعلم ، والتعليم يتوقف على وسائل هي انشاء المدارس العمومية بمعدلاتها الخيرية لتعليم أولاد المسلمين وتهذيبهم على أخلاق الدين ..) .

من خطاب الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني فى الجلسة السادسة نفسها .

غير أن مجلس المعارف لم يشعر بهذا الضغط العرضي من الشيخ بسبب أنه كان آنذاك قد بلغ بعض أشده وبدأ يزجي عطاءه ..

بعد هذا كله يبقى تفضيلي لشهادة الشيخين محمد الحباب وعبد الرحمن بن أحمد المهزع على غيرها من الشهادات فذلك لأن شهادتهما في هذا الموضوع وكل موضوعات الكتاب ، مما لا ينتطح عليه كبشان ، ولا يحتمل قولان .. بسبب أنهما عاشا مع عمهما الشيخ قاسم معيشة الأولاد مع أبيهم أو فوق ذلك .

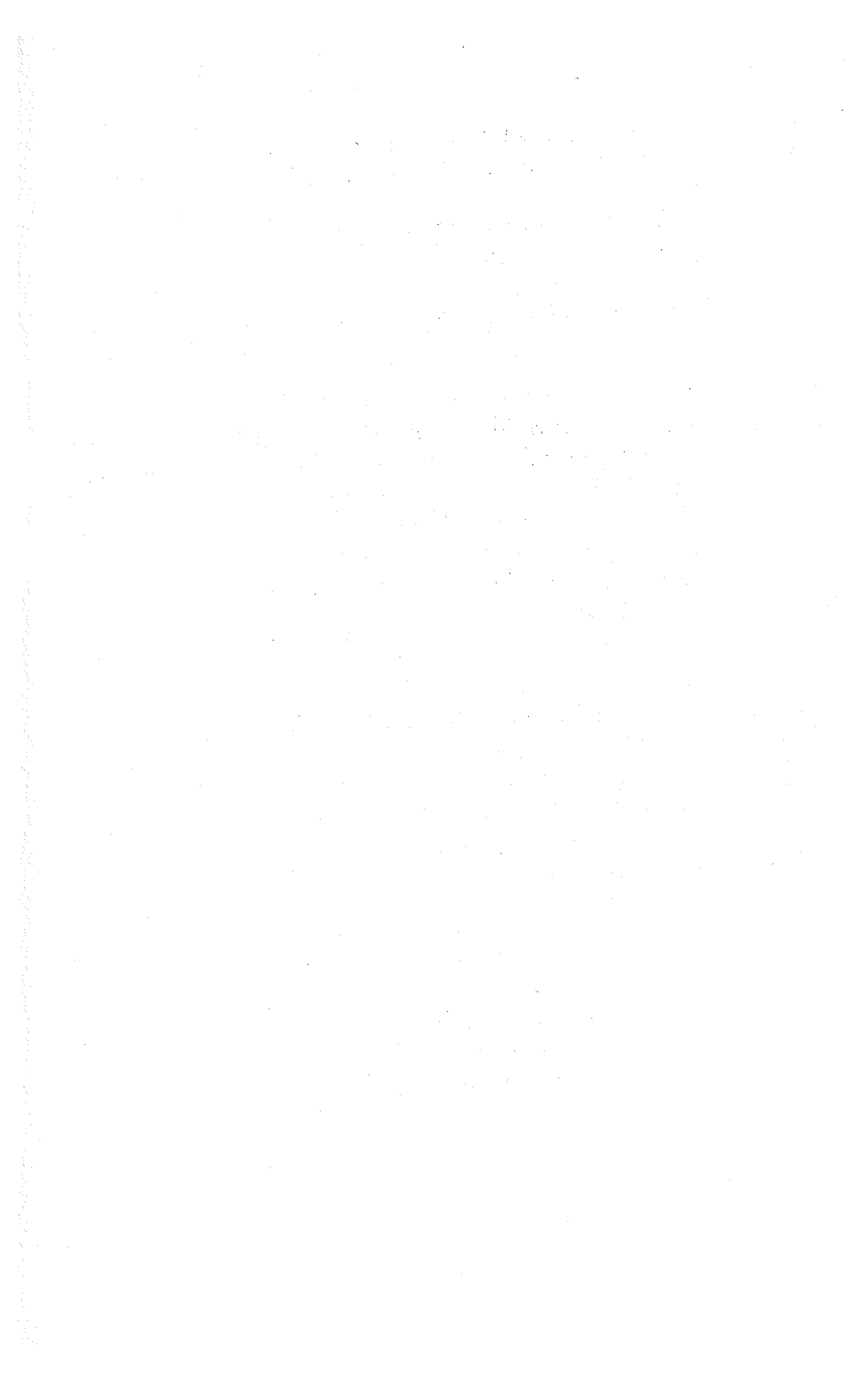
أما تفضيلي أيضا لشهادة الأستاذ محمد صالح يوسف .. فلانه كان كاتباً ادارياً لمجلس المعارف ابتداء من اليوم الثامن من شهر شعبان عام ١٣٣٨ حسبما سجلته آنذاك مضبطة الجلسة الثانية والثلاثين لمجلس المعارف ، ثم أنه كان يتولى ضبط محاضر جلسات المجلس عندما بتغيب العضو قاسم بن محمد الشيراوى عن الجلسات لعذر شرعي .. مثلما فعل ذلك حينما نفي قاسم من البلاد عام ١٣٤٠ — ١٩٢١ لذلك فقد كان الشيخ محمد صالح يوسف رحمه الله حجة فى علمه بهذه القضية العرضية التي حدثت بين الشيخ قاسم ومجلس المعارف ، ثم انتهيت بالشكل الذى جعل الشيخ يلغي حبس الدكان وقفا على المدرسة ويكتفي بارسال ريعه شهريا الى المجلس .

هذه كل ملابسات القضية العرضية التي نشأت من ظرف طارىء وقع بين الشيخ والمجلس ، ونتج عنه فتور فى علاقة بعضهما بالآخر ، ابتداء من أوائل عام ١٣٤٠ حتى نهاية حياة مجلس المعارف كمشروع أهلي عام ١٣٤٩ . غير أن هذه القضية أيضا لم تستطع أن تسمم تلك العلاقة .. ولم تكن ترقى بها الى مستوى مناصبة الشيخ العداء لمجلس المعارف ، كما كانت الحال بين الشيخ ونادي اقبال أوال من قبل .

الى هنا وينتهي هذا الفصل الذى كرسته فى دراسة أثر الشيخ القوى فى مجتمعه ، وما تحدثه مباركته أو عدمها فى أى مشروع يستشار فيه من تأثير فى ذلك المشروع سواء بالسلب أو الايجاب واستشهدت بحادثتين بارزتين فى هذا الباب .. الا أن الحوادث من هذا النوع كثيرة فى حياة الشيخ ، وان اتخذت كل واحدة منها لبوساً يختلف عن الأخرى وقد يجد القارىء نماذج أخرى منها عبر تصفحه لهذا الكتاب (١) .

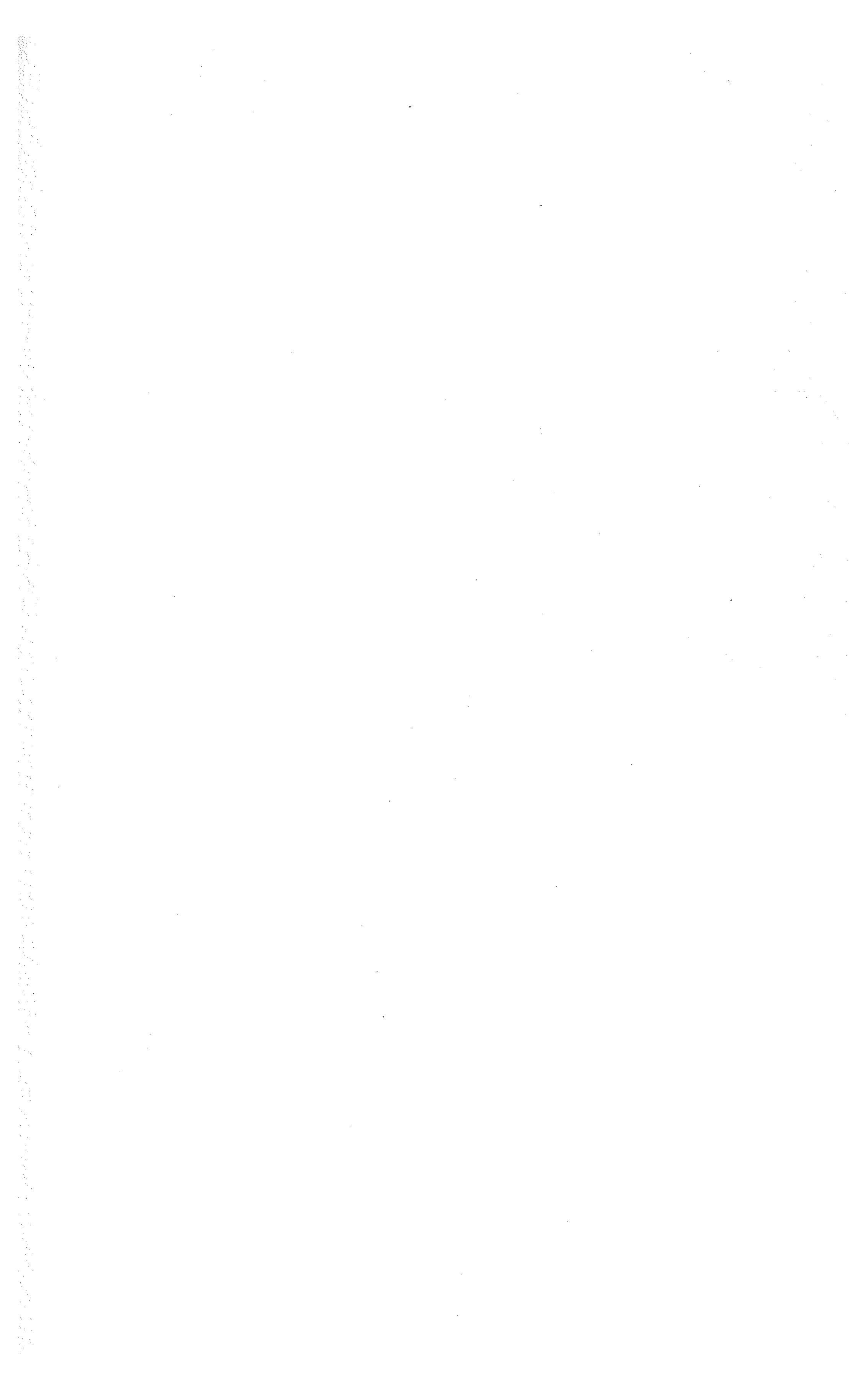
---

(١) راجع فصل دور الشيخ قاسم فى العمل الوطني برمته ، وفصل ما بين الشيخ قاسم والشيخ الزياني ص ٢٧٩ و ٢٧٢ .



الفصل السادس

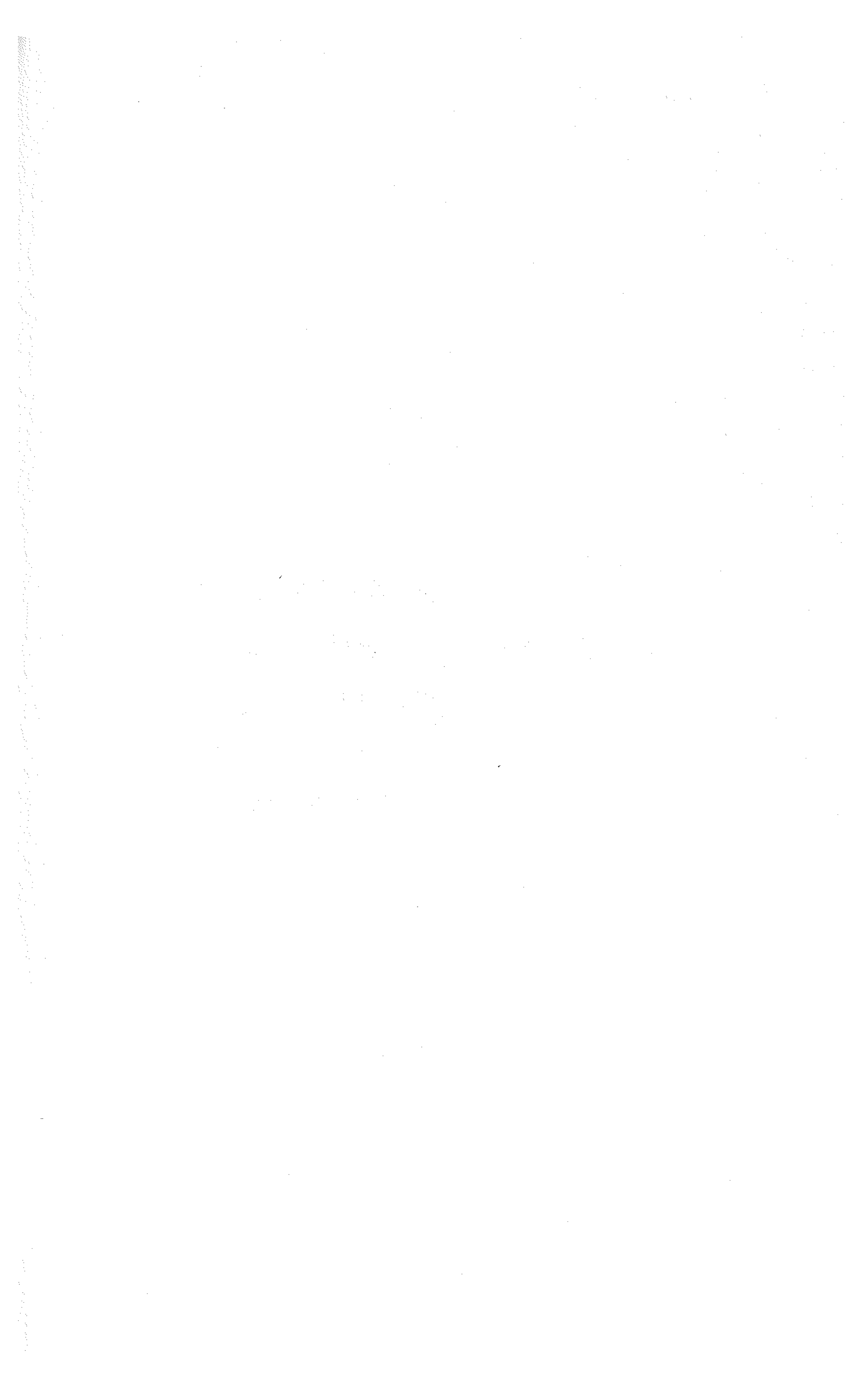
ما بين الشيخ قاسم وحافظ وهبه



- العلاقة بين الشيخين
- الشيخ قاسم ما بين حافظ وديلي

عود الى العلاقة بين الشيخين

- ما وقع بينهما من خلف
- الحادثة بنصها



العلاقة بين الشيخين

فكرية أيضاً كانت علاقة الشيخ قاسم بن مهزع بالشـيخ حافظ وهبة (١) . كذلك فان هناك حادثة معينة وقعت بين الشيخ قاسم والشيخ حافظ ساهمت فى شدنا للكتابة عن علاقتهما بعضهما البعض .

ومثلما انتهجنا من خطة فى دراستها عن علاقة ابن مهزع والتبشير فاننا سنحاول انتهاج مثلها فى دراسة هذه العلاقة الأخرى غير ان هـذه تختلف فى بعض أبعادها عن تلك . فقد كانت فى البدء ذات بعد ثقافى علمي بحت ، الا أنها انتهت ببعد ذى مدلول سياسي كبير .

وليس بغريب أن تبدأ علاقة الشيخ قاسم بالشيخ حافظ من خلال البعد الأول ، فهما عالمان دينيان بغض النظر عن تفوق الشـيخ قاسـم العظيم فى هذا المجال .

أما البعد السياسي فيأتي فى آخر فصل من علاقة الرجلين ببعضهما البعض ، نتيجة لما تمخضت عنه الحادثة التي وقعت للشيخ حافظ مـع

---

(١) ولد بالقاهرة عام ١٨٨٩ ودرس فى الأزهر ، ولم يكمل فيه دراسته ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي وحوالي عام ١٩١١ ذهب الى الآستانة وهناك عمل مع عبد العزيز جاويش ومحمد جلال ، والدكتور أحمد فؤاد فى تحرير مجلة (الهلال العثماني) الاتحادية .
وحين استشرى الخلاف بالأتراك والعرب ، غادر تركيا الى الهند ، وفى بمبى تعرف على التجار العرب من أهل الخليج وارتبط بأحدهم وهو التاجر الكويتي عيسى القطامي بصداقة متينة . وبعد ذلك غادر الهند وجاء الى الكويت عام ١٩١٤ ونزل فى ضيافة هذا الصديق ، وفى الكويت تعرف على المصلح الاجتماعي يوسف بن عيسى القناعي مدير المدرسة المباركية هناك ، الذى عينه مساعدا له فى ادارة المدرسة ومدرسا للغة العربية والدين فيها .

x جاء الى البحرين عام ١٩١٩ بتوصية من الشيخ عبد الوهاب الزياني الى الشيخ عبد الله بن عيسى الخليفة رئيس مجلس التعليم فى البحرين ونزل فى ضيافته .

x عينه مجلس التعليم فى البحرين مديرا لمدرسة الهداية فى المحرق عام ١٩١٩ .

x نفي من البحرين عام ١٩٢١ بأمر من الميجر ديلي المعتمد البريطاني فيها .

x والشيخ حافظ وهبة من المناضلين العرب ضد الانكليز ، وهم سجنوه فى مصر ، وضيقوا عليه الخناق فى الهند فغادرها الى الكويت ، ثم نفاه الشيخ مبارك الصباح منها وعاد اليها بعد وفاته .

x فى عام ١٩٢٣ عمل مستشارا خاصا لجلالة الملك عبد العزيز ابن سعود ، ثم بعد ذلك عينه الملك سفيرا له فى بريطانيا . توفي بالمملكة العربية السعودية .

الميجر ديلي (١) معتمد بريطانيا آنذاك فى البحرين ، وبروز الشيخ قاسم فيها كقاض للبلاد حاول تجنيب صديقه الشيخ حافظ متاعبها ففشل ، بعدما أدخل فى روع الشيخ حافظ أن الشيخ قاسم ليس فى صفه فى هذه الحادثة التي انتهت بنفيه من البحرين .

---

(١) ميجر (كي . سي . كلايف) ديلي معتمد بريطانيا فى البحرين من ١٩٢١ حتى حتى ١٩٢٧ . كان من ضباط المخابرات البريطانية فى العراق ابان الحرب العالمية الثانية ، وكان من زملائه هناك الضباط جون فلبي ، ولشمن وديكسون . فأما جون فلبي فعين وقتها فى المملكة العربية السعودية فأسلم فيها عام ١٩٣١ فقال فيه خالد محمد الفرج الأبيات المشهورة التالية :

الحمد لله ربي	قد اسلم اليوم (فلبي)
والناس قالوا وقالوا	كلام بغض وحب
لكن منهم أديبا	رب اطلاع ولب
يقول ناقشت (فلبي)	فقال : سرى (بقلبي)

وأما لشمن فقد قتلته القبائل العراقية الثائرة ضد الانكليز فى العراق عام ١٩١٩ .

وأما ديكسون فكان معتمدا فى البحرين حتى عام ١٩٢١ ثم عين وكيلا للمندوب السامي البريطاني فى العراق كضابط ارتباط له مع الملك ابن سعود ، وترك مخططا سلطويا استعماريا لادارة البحرين فسار ديلي على هداه .

جاء ديلي الى البحرين من العراق ، وقد سبقته سمعته التعسفية السيئة اليها ، وخاصة فى مثل ما مارسه بين القبائل فى العراق من دس وتفرقة واشعال فتن .

وفى البحرين استفتح ديلي فى أول يوم من عمله بمراجعة لائحة بأسماء أعضاء الحركة الوطنية المناهضة لسلطة الحماية البريطانية فى البلاد ، فدرسها وابقاها فى درجة السرى الخاص .

كانت سلطة الحماية البريطانية فى البحرين قد توصلت ابتداء من أوائل سني الحرب العالمية الاولى الى قناعة عن وجود حركة وطنية فى البلاد ، يقودها المثقفون فيها . لذا كانت لائحة الوطنيين المركونة بدرج ديلي تضم من اسماء الوطنيين الاسماء التالية : الشيخ عبد الوهاب بن حجي بن أحمد الزياني ، الحاج عبد الله بن حسن الدوسرى حسين بن عبد الرحمن المناعي ، علي بن خليفة الفاضل ، الحاج أحمد بن خميس ، الحاج عبد الرحمن الوزان قاسم بن محمد الشيراوى ، والحاج احمد بن لاحق البوفلاسه والحاج علي الصيرفي ، ومعهم كل أعضاء نادى (اقبال أوال) المحلول وكل اعضاء النادى الادبي بالمحرق . وباللائحة اسماء من غير البحرينيين مثل الاساتذة الشيخ حافظ وهبة والشاعر خالد محمد الفرج ، وعبد العزيز العتيقي ، وهم مدرسون بمدرسة الهداية الخليفيه .

كان من المعروف لدى سلطة الحماية البريطانية فى الخليج ان هذه اللائحة مسنودة من قبل الحاكم الشيخ الوقور عيسى بن علي ، لذلك فقد أوصت هذه السلطة المعتمد الجديد بتصفية الحركة الوطنية تمهيدا لعزل الحاكم ، واحداث تغيير فى شكل الحكومة يمكن لهذه السلطة من قبض جميع سلطات الدولة بيدها .. نظرا لما كانت تؤمله آنذاك من العثور على النفط فى البلاد .

وحين بدأ ديلي العمل كانت توجد فى البلاد اربع قوى وطنية رئيسية ، كلها كانت تبطن الرغبة فى فك الارتباط ببريطانيا ، والتخلص من حمايتها .

وبما ان البحرين ليست من ايالات الدولة العثمانية ـ قبل الحرب العالمية الاولى ـ =

= حتى تعطيها بريطانيا وعدا باستقلالها بعد انتهاء هذه الحرب ، ان هي اعانتها فيها ضد العثمانيين .. لذلك لم تكن القوى الوطنية البحرينية تؤمل أن تنال بلادها استقلالا ولو ذاتيا بعد الحرب . فاخذت تعد نفسها لمقاومة النفوذ البريطاني فى البلاد . فمن مطالبتها بجمعية تشريعية الى تنظيم شرطة وطنية ، الى تقديمها لائحة اصلاح وطنية .. فكان الحاكم يقبل هذه المطالب والميجر ديلي يرفضها ويحبطها (راجع ص ٢٧٢ من كتاب ملوك العرب للريحاني ج ٢ طبع بيروت عام ١٩٥١) .

فقابلت القوى الوطنية ذلك باضرابات واغلاق حوانيت ضد اشتراعات ومراسيم بريطانية مجحفة تتدخل فى شؤون البلاد ، مثل المرسوم البلدى الصادر من سلطة الحماية عام ١٩٢١ والمرسوم الاخر الصادر منها ايضا بشأن الاحوال الشخصية لاهل البلاد عام ١٩٢٦ ، وقد فشل المرسومان ولم ينفذا .

كانت القوى الوطنية الاربع فى البلاد كالاتي :

هناك قوة مجلس التعليم الاهلي الوحيد فى البلاد ، وأعضاؤه يصدرون فى آرائهم عن آراء الحزب الوطني المصرى المناهض للاستعمار الانكليزى . فهم يقولون بما تقول به صحيفة اللواء لمصطفى كامل ، ثم رصيفتها الاخبار لامين الرافعي ، والشورى لمحمد علي الطاهر ..

وهناك قوة مجلس التجارة والغوص الذى آرادت سلطة الحماية احتواءه باحداث تشريعات جديدة للغوص والتجارة تحد من نشاط أعضائه فى مجال التجارة والسياسة القبلية أيضا .

وهناك قوة المثقفين المتمثلة فى بقايا أعضاء نادى (اقبال أوال) التي انضمت الى النادى الأدبي فى المحرق مكونة مع أعضائه قوة ثالثة تميزت عن غيرها فى أنها كانت الاداة الاعلامية القوية للقوى الوطنية حيث أنها ابرزت نشاط هذه القوى على الصعيد الداخلى باقامة الحفلات والندوات لزوار البحرين من اقطاب حركة الاصلاح العربي مثل الاستاذ المجاهد محمد الشنقيطي والزعيم الثعالبي وامين الريحاني ، وحافظ وهبة ، وابرزتها ايضا على الصعيد الخارجي بنشر مساوىء الاستعمار الانكليزى فى البحرين على صفحات جريدة الاخبار ، والشورى القاهرتين ما بين ١٩٢٤ و ١٩٣٠ .

بقيت القوة الرابعة وهي قوة القوى اذ انها تتمثل فى مؤسسة القضاء الاهلي فى البحرين، وعلى راسها القاضي قاسم بن مهزع ، الذى كان هو نفسه مهوى افئدة الناس فى البلاد ، ووالدهم الروحي ولن نكتب عنها هنا فهي موضوع كتابنا هذا .

وخلال ستة اعوام .. هي كل مدة بقاء ديلي معتمدا بريطانيا فى البحرين دخل فى صراع مع القوى الوطنية فى البلاد وهو معزز بالقوة البريطانية ممثلة فى البوارج الحربية البريطانية الجائلة فى الخليج والتي لا تفتأ تزور البحرين بين آونة واخرى ، او كلما طلب المعتمدون البريطانيون ذلك منها .

وفى السنوات الثلاث الاولى من اعتماد ديلي فى البحرين نفى قاسم محمد الشيراوى وحافظ وهبة ، ثم نفذ المؤامرة الكبرى لتصفية القوى الوطنية فى البلاد ما بين الثالث من مايو ١٩٢٣ والثامن عشر منه ، التي انتهت بعزل الحاكم الشيخ عيسى بن علي ، ثم نفى قائد القوى الوطنية فى البلاد الشيخ عبد الوهاب الزياني (راجع ص ١٤٠ من نابغة البحرين) للمؤلف .

وبعد ان رفع وكلاء الامة عريضتهم بمطالبهم الوطنيهة الى رئاسة الخليج البريطانية شدد ديلي من قبضته على البلاد ، فتنصت على اعضاء النادى الادبي فى المحرق ، وضيق الخناق بمراقبتهم من قبل اعوانه (الشورى العدد ١١٢/١٩٢٦) . =

واذا علمنا ان كل من يتصدى من الوطنيين فى البحرين أو الخليج آنذاك لانتقاد السياسة البريطانية فى ادارة شؤونهم الداخلية أو رفض هذا التدخل كلية .. يعد متدخلا فى شؤون بريطانيا الداخلية ، فان الموظفين السياسيين البريطانيين فى الخليج وجدوا فى الشيخ حافظ مواصفات هذا التدخل كاملة غير منقوصة .

فالشيخ حافظ من المعروفين باشتغاله بهذه السياسة منذ كان فى بلاده مصر ، فقد سجنه الانجليز فيها ، وبعد أن غادر السجن ذهب الى الآستانه الى بمبي بالهند خشي أن يعتقله الانجليز فيها ، فغادرها الى الكويت عام ١٩١٤ ، وفى الكويت عمل مناوأتهم أيضاً باشتراكه فى عصيان أهلها لأميرهم مبارك الصباح ، الأمر الذى كان يعد آنذاك مناوأة أيضاً لعلاقات الشيخ مبارك الودية مع الانجليز فى العراق والخليج فاقتضى ذلك نفيه من الكويت ، لكنه عاد اليها بعد وفاة الشيخ مبارك (١) .

والذى يعنينا هنامن هذا كله هو فترة وجود الشيخ حافظ في البحرين ومن حيث أنه أصبح أثناءها على علاقة وثيقة بالشيخ القاضي قاسم بن

= وفى النهاية تمكنت منه القوى الوطنية فى البلاد عام ١٩٢٦ فاطلق عليه الرصاص احد اعوانها وهو الشرطي اسماعيل البلوشي .. كان ذلك بمكتب ديلي بقلعة الديوان فى المنامة ، فأصيب ديلي بجروح فى صدغة ويده ، ولكنه لم يقتل ، وقتل من حوله مرافقاه العسكريان الهنديان ، حيث دفنا بالمنامة . وشهد دفنهما جماعة من اهل البلاد فقد كانا ضابطين كبيرين من الضباط المسلمين الهنود .

اما الشرطي اسماعيل فقد حوكم عسكريا ، وصدر عليه الحكم بالاعدام رميا بالرصاص ونفذ فيه بساحة القلعة .

لم تنجح محاولة اغتيال ديلي فمع انها جاءت من احد افراد حرسه الخاص الذى يعتني به هو نفسه ، الا ان الشرطي لم ينجح بسبب انه اطلق رصاصات بندقيته مرة واحدة فى الوقت الذى القى ديلي بنفسه على الارض واحتمى بطاولته فلم يستطع الشرطي الاجهاز عليه حيث نفذت جميع رصاصات بندقيته فقبض عليه .

لم تقض رصاصات الشرطي اسماعيل على حياة ديلي ، ولكن بريطانيا استيقظت على حقيقة حضور قوة القوى الوطنية فى البلاد ، فسحبت الميجر ديلي بعد ايام قليلة من محاولة اغتياله فغادر البلاد ، ثم منحته الحكومة البريطانية لقب سير فأصبح سير كلايف ديلي (الشورى العدد ١٩٢٦/١١٢/١٠١) .

(١) لقد انغمس الشيخ حافظ رحمة الله فى كل حركة عربية او اسلامية تقاوم الاستعمار الغربي آنذاك ممثلا فى بريطانيا او غيرها من الدول الغربية . يقول عنه الاستاذ سيف مرزوق الشملان فى كتابه (من تاريخ الكويت) ما يلي عن اشتراك الشيخ حافظ مع الكويتيين فى عصيان اميرهم مبارك الصباح :

بعد ما احتل الانجليز البصرة يوم الاحد ٢٢ نوفمبر ١٩١٤ ثار الثائرون على الشيخ خزعل خان لقيامه مع الانجليز ضد دولة الخلافة الاسلامية ، أى الدولة العثمانية ، وثار عليه (غضبان البنيه) و (الساده) و (البادية أهالي الناصرية) فأرسل قائده (حنظل) الى البادية فكسروه ، وأرسل قائده (عبود) الى أهل الدورق (الساده) فكسروه ونهبوا اسلحته ، وصار غضبان قريبا من المحمرة العاصمة ص ١٦٤ .
=

مهزع . كان هناك عامل أساسي وطد بينهما أركان تلك العلاقــة ، هذا العامل هو التقاؤهما فكريا على صعيد الخط الاسلامي العظيم .

الشيخ قاسم ما بين حافظ وديلي

والحديث عن الشيخ حافظ وهبة أثناء وجوده فى البحرين ، حديث يطول . فهو كان عضوا غير أصيل فى مجلس المعارف الذى تشكل فى البحرين عام ١٩١٩ (١) وهو أول مدير بالمفهوم الحديث لأول مدرسة نظامية حديثة

= ضيق الثوار الخناق على الشيخ خزعل خان فأصبح مركزه حرجاً . عندئذ استنجد بصديقه الشيخ مبارك الصباح ، وكان الشيخ مبارك عنده (أى عند الشيخ خزعل) بالفيلية فى يخته المسمى (مشرف) فأرسل الى نائبه فى الكويت ابنه الشيخ جابر يطلب منه ان يرسل سفنا مملؤة بالرجال المسلمين لشد أزر الشيخ خزعل خان ...

طلب الشيخ جابر من الكويتيين ان يجهزوا سفنهم ويستعدوا للذهاب الى الفيلية لنجدة الشيخ خزعل خان ، فما كان من الكويتين الا أن أجابوه بالعصيان لهذا الامر فكيف يقاتلون اخوانهم فى الدين لأجل الشيخ خزعل خان ... !!

كان المرحوم الشيخ محمد الشنقيطي ، والشيخ حافظ وهبة المصرى يحثان الناس ويحرضانهم على عدم الطاعة للشيخ مبارك ، وان هذه الطاعة ارتداد عن الاسلام . وأخذا يضربان على هذا الوتر الحساس حتى هيجا النفوس وأشعلا فيها نار العصيان ، فذهب وفد من الكويتين (النواخذه) لمقابلة الشيخ جابر ، وابلاغه عدم امتثالهم لهذا الأمر . فقال جابر لماذا ؟ قالوا لان الطاعة فى هذا الأمر معصية لله . ص ١٧٠ .

ولا يكتفي الأستاذ سيف الشملان بذلك بل يثبت فى كتابه هذا صورة من كتاب لحافظ وهبة بعث به من الكويت الى جد المؤلف ويدعى شملان بن علي وفى هذا الكتاب يأخذ حافظ على عاتقه مهمة تأليب تجار الكويت فى جبهة واحدة ضد الانجليز .. يقول فيه لشملان : (أما بعد فقد كنا نود وجودك فى هذه الأزمة التـي نخشى أن نخرج منها خاسرين الدنيـا والآخرة ..) ثم يقول : (فارى الأوفق أن تؤم الكويت لتنظر فى الامر مع باقي اخوانك لعلك تنقذ الاسلام والمسلمين من هذا الخزى والعار فكروا فى أملاككم فى البصرة وعاقبتها ، وانظروا الى دينكم الذى يستغيث مما ألم به . ص ١٧١ .

ثم يختم الأستاذ سيف حديثه فى هذا الباب قائلا : (رجع الشيخ مبارك الى الكويت فاستدعى الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبة بحضور المعتمد البريطاني (اكرى) وتكلم عليهماكلاما قاسيا شديدا ... وبعد ذلك هرب الشنقيطي الى الزبير .. وكذلك غادر الكويت الشيخ حافظ وهبة ص ١٨٠) .

(١) من المعروف أن الميجر ديلي وصل الى البحرين ، ومجلس التعليم فيها كـان مؤسسة أهلية قائمة بذاتها منذ عام ١٩١٩ ، وليس لأحد حق الاشراف عليها سوى حاكم البلاد . وكان أعضاؤها كالآتي :

الشيخ عبد الله بن عيسى الخليفة رئيسا ، ابراهيم محمد الخليفة نائبا للرئيس ، عبد الوهاب بن حجي الزياني عضوا ، عبد الرحمن بن محمد الزياني عضوا ، الحاج يوسف بن عبد الرحمن فخرو عضوا ، عبد الرحمن بن حمد الوزان ، قاسم بن محمد الشيراوى عضوا ، شاهين بن صقر الجلاهمة ،ومحمد بن راشد بن هندي،وعبد الله بن حسين الدوسرى ومحمد بن صباح البنعلي

فى البحرين بعد السيد عبد الله دحلان ولا يزال بعض المتقدمين فى السن من أهل البحرين يذكرون عميق اخلاصة فى ادارتها وتطويرها . وهو فوق ذلك اسم لآمع فى تاريخ البحرين الحديث ، بما عرف عنه من حب وتفان للبحرين وشعبها .

غير أننا حين نتصفح كتابيه اللذين عني فيهما بتاريخ الجزيرة العربية ، لا نرى فيهما وخاصة كتابه (خمسون عاما في جزيرة العرب) الانتفا عارضة كان يسوقها استطردا حينما كان يسجل الاحداث التاريخية التي مرت به قبل أن يصبح وزيرا في بلاط الملك عبد العزيز ابن سعود . ومع أنه عاش فى البحرين فترة مهمة من تاريخها الحديث وخاصة فى مجال الثقافة الحديثة فيها ، الا أنه لم يسجل ذلك ولو فى كراسة صغيرة ، فيترك لنا ولو صورة بسيطة عنها يستنير بها أى باحث فى تاريخ البحرين الحديث عموما . وكما فعل حافظ بالنسبة للفترة التي عاشها فى البحرين فعل ذلك تماما بالنسبة للفترة التـي عاشها فى الكويت ، وهـي فى مدتها أضعاف مدة اقامته في البحرين . مع أنه عاش في الفترتين ــ كما أسلفنا ــ بواكير النهضة الثقافية الحديثة فيهما . فهو كان فى الكويت عام ١٩١٤ يعد الساعد الأيمن للشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، فى ادارة المدرسة المباركية (١) وبعد ذلك أصبح مدير مدرسة الهداية فى المحرق من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٢١ .

فلماذا لم يسجل حافظ تلك الحقبة بحذافيرها (٢) ؟! ربما قد يكون لعامل التأخير فى تسجيل نتفها التاريخية أثره فى أن تجيء موجزة وغـير متناسقة . واذا علمنا فرق السنين بين حدوثها وتسجيلها تأكد عندنا من أنها جاءت من قلم لم تسعفه ذاكرة صاحبه الا قليلا .

أما كيف أثبت الشيخ حافظ حيثيات الحادثة التي وقعت له مـع الميجر ديلي وتردد فيها اسم الشيخ قاسم بن مهزع فلأن لهذه الحادثة من الحدة وشدة الوقع في نفسه ما تركت آثـار بصماتها بارزة فى ذاكرتـه ، وخاصة حينما أصبحت هي ارهاصات متقدمة لمنعطفه الرئيسي السعيد فى حياته العملية ، فبعد خروجه مـن البحرين بحوالـي عام ونصف أصبح مستشارا خاصا للملك عبد العزيز ، ثم سفيرا له في بريطانيا بعد ذلك .

---

(١) أول مدرسة حديثة تأسست بالكويت ، كان ذلك عام ١٩١٢ ، وسميت بالمباركية نسبة الى حاكم آنذاك الشيخ مبارك الصباح .

(٢) راجع كتاب (خمسون عاما فى جزيرة العرب) من ص ١٢ الى ٢٠

من ذلك يتضح أنه لولا الحادثه التي وقعت للشيخ حافظ فى البحرين وتسببت فى نفيه ، ووقوع الشيخ قاسم طرفا فيها ـ حسب رأى حافظ نفسه ـ لمرت حقبة تلك العلاقة بين الرجلين دون أن تشير فى حافظ أي احساس لتسجيلها ، ولو فى مثل تسجيله المهلهل لها . ولما أمكننا الاطلاع على نص تاريخي عن حقبة من تاريخ البحرين السلطوي بادارة الميجر ديلي .

لقد اقتضى تسجيل ذلك النص من قبل قلم حافظ تخصيص بضع صفحات من كتابه الكبير (خمسون عاما فى جزيرة العرب) . أما ماذا يعنينا من ذلك النص .. فهو ما يتعلق منه بعلاقة الشيخ حافظ بالشيخ قاسم . هناك أسماء رسمية وغير رسمية ، ولكنها لامعة ذكرها حافظ فى تسجيله لهذه الحقبة مثل الشيخ حمد بن عيسى الخليفه ولي عهد البحرين ١٩٠٧ ـ ١٩٢٢ وابنه الشيخ سلمان ، والشيخ عبد الله بن عيسى الخليفة والشيخ قاسم بن مهزع ، والشيخ عبد الوهاب الزياني ، وابنه عبد الرحمن ، والميجر ديلي ، وقاسم الشيراوى ، ومحمد شريف خنجي (١) .

---

(١) كان يلقب ب (محمد شريف خان بهادور) وهو رتبة ذات وسام منحتها اياه حكومة نائب الملك فى الهند ، فكان ضمن حملة هذه الرتبة من تجار البحرين والخليج ، وبذلك يقول خالد الفرج فيهم من قصيدة أرسلهامن القطيف لصديقه الشاعر عبد الله الزائد فى البحرين عام ١٩٣٠ :

واذا ابتغيت أجل فخر يبتغى ... كن عن أخيك وعن أبيك مخابرا

تغدو باكليل الفخار متوجا ... وملقبا منه (بخان بهادرا)

× ولاه الميجر ديلي رئاسة بلدية المنامة ، وفى تلك الأيام كان لرئيس البلدية حق الاشراف على قوات الأمن العام فى البلاد ، فاستغل محمد شريف هذه الفرصة ، وأسهم فى الفتنة التي تفجرت بين النجديين والعجم فى البحرين يوم الثالث من مايو عام ١٩٢٣ وأوقدت عليها سلطة الحماية فى البلاد وبقيت مضطرمة حتى الثامن عشر منه ، فكان محمد شريف مع العجم على أهل نجد . (راجع ملوك العرب للريحانى ص ٢٦٨) .

كان اليد الطولى للميجر ديلي ، التي كان كثيرا ما يضرب بها عرب البحرين .. (راجع خمسون عاما فى جزيرة العرب لحافظ وهبة ص ٢٠) .

× كان من عادته اذا امتطى أتانه من بيته الى متجره بسوق المنامة او الى البلدية أن يتقدم الأتان أحد أفراد الشرطة وهو مترجل فيصيح فى المارة ليفسحوا الطريق امام أتان سيدة قائلا : (خبر دار .. خبر دار) .

× استعملته سلطة الحماية البريطانية فى البحرين لظرف معين فلما انتهى ذلك الظرف نبذته . وحين حان ذلك النبذ ، أمر ديلي جميع أفراد الشرطة فى المنامة ، أن يستوقفوا محمد شريف اذا ما مر ممتطيا أتانه والصائح من أمامها يوسع لها الطريق ، ويرغمونه بالنزول عنها والذهاب الى متجره راجلا . فكان أن وجده أحد أفراد الشرطة على هذه الحال مرة ، فأرغمه بالنزول عن أتانه ، وأمر الصائح أن يقودها الى السوق ، ثم أمر محمد شريف بالذهاب الى متجره ماشيا . واذا علمنا أن مقر سكنى محمد شريف هذا كان منزل الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب الزيانى بالمنامة ، وان الشرطى كان قد تلقاه قريبا جدا من بيته ، وان متجره يقع بالسوق الداخلي للمنامة ادركناكم كلفة أمر ديلي هذامن اهانة ومشقةفى ذلك اليوم.وبعدها =

غير أنه لم يبق من شخوص هذه الأسماء أحد على قيد الحياة سوى الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب الزياني ، فقد كان أصغرهم سنا ـ أثناء وقوع الواقعة بين الشيخ حافظ وديلي ـ فأنقذ الله ببقائه بعض حيثيات تاريخ البحرين أوائل عصر النهضة الحديثة فيها . ومن يمن الطالع أن الشيخ عبد الرحمن كان على ذلك العهد من أوعى الشخصيات الشابة ، أضف الى ذلك ماله من علاقة مباشرة بأحداث تلك الواقعة . لذا فاننا حينما عرضنا عليه ما سجله بطلها عنها أثبته كله ، وزاد عليه من التفاصيل مالم يتسن لبطلها الشيخ حافظ أن يأتي به .

عود الى العلاقة بين الشيخين

نعود الى التركيز فى دراستنا لتلك العلاقة الفكرية بين الشيخ قاسم بن مهزع والشيخ حافظ وهبة لنقول أن عمر هذه العلاقة كان قصيرا واذا ما قيس بحضورها المادى فهو لم يتجاوز ثلاث سنوات ابتداء من عام ١٩١٩ حتي عام ١٩٢١ . أما اذا قيست هذه العلاقة بالحضور الفكرى بين الرجلين فقد كان حضوراً مزمنا طويلا فى علاقة أحدهما بالآخر . تلك العلاقة التي توطدت وأصبحت ذات جذور راسخة من حيث أنها علاقة فكر دينى بحت ، واقتناع الى حد الافراط فى الدعوة الى وحدة المسلمين تحت ظل سلطة واحدة مثل دولة الخلافة العثمانية قبل هرمها وقبل جنوح ولاتها الى الاستبداد ..

= أصبح مألوفا لدى سكان المنامة أن يروا رئيس البلدية فى غدوه ورواحه وهو ممتطيا أتانه دون أن يكون أمامها ذلك الصائح الذى يوسع لها طريقا خاصا بين الناس .

× ظل الميجر ديلي يتحين له الفرص لا نهاء خدماته للسلطة وفى ذات يوم جاء من أخبر ديلي أنه توجد لدى محمد شريف رقيقة فى بيته قد أهداها اليه أحد معارفه فى قطر ، وأنه قد تسرها ولم تزل فى بيته تخدمه ، ولم يعتقها ، فاستشاط الميجر غضبا ، وأمر بمحمد شريف فجيء به اليه فقال له : (تعرف ياخان بهادور أن الرقيق ممنوع ، وانت أيضا موظف كبير ورئيس البلدية ، وتتعامل فى ذلك) لم يكذب محمد شريف الخبر .. ولكنه أضاف أن العبدة تخدمه فى بيته ، وقد أعتقها غير أنها لم تبارح بيته ، فهي تفضله على غيره من البيوت. ولم يقتنع ديلي بذلك فأمر بمحمد شريف فأوقف فى الشمس لمدة ثلاث ساعات ، ثم أطلق سراحه ، وأعقب ذلك با قالته من رئاسة البلدية .

× ومحمد شريف قبل هذا كله كان قدم الى البحرين من منطقة فارس بايران أواخر القرن التاسع عشر .. كان تاجرا .. وفى البحرين توسعت تجارته وقوى نفوذه ، وأصبح وكيلا تجاريا كبيرا لشركات ألمانية وبلجيكية ، ومن يومها كان على صلة قوية برجالات الحكم فى ايران على ذلك العهد ، حتى جاء يوم رأى فيه أن كفة تجارته فى البحرين بدأت تشيل ، فصفى أعماله التجارية فى البحرين بتؤدة ، ثم حول بقية أمواله الى أبي شهر ، ثم لحق بها أواخر عام ١٩٣٠ وتوفى بها .

فالشيخ حافظ كان قد ذاق الأمرين لسيره خلف راية تلك الدولة وخاصة من أعدائها الانكليز ، فما بالك براية تسلطت عليها أكف صليبية ودونمية وماسونية فسارت بها ومن خلفها جموع المسلمين البسطاء الى الهاوية التى كانت تلك الأكف تعدها لها من قبل نصف قرن من الزمان وأكثر .

أما الشيخ قاسم فقدالتقى والشيخ حافظ علي تأييد وحدة المسلمين فى ظل الخلافة .. فقد كان يعتقد أن كل آلام المسلمين من دولة الخلافة آنذاك يجب أن تهون فى سبيل جمع كلمتهم ضد أعداء وحدتهم ، وخاصة الانكليز ، واليهود الذين كان لهم السهم الأوفر فى تفتيت دولة الخلافة . ووصل من تأييد الشيخ قاسم لدولة الخلافة أنه تهدد ــ أثناء الحرب العالمية الأولى ــ كل من يثبت عليه عدم تأييده لها باقامة الحد عليه اذ أنه يعتبر ذلك منه بمثابة تأييد للانكليز وخذلاناً لها .

كذلك فان للمناخ العلمي الاسلامي الذى كان سائداً فى البحرين ــ آنذاك ــ عاملا أساسياً فى التقاء الرجلين فى وحدة الفكر .. فالشيخحافظ أزهرى ، وتعلم لزمن ليس بالقصير فى مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة ، وعاش فى بيئة اسلامية ، حتى فى رحلاته كما أسلفنا .

واذا علمنا أن الشيخ حافظ لم يأت الي البحرين للتدريس الا حسب رغبة المشايخ المتنورين فيها آنذاك ، من مثل الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة ، والشيخ عبد الوهاب الزياني ، والأخير هو الذى قام باستدعاء الشيخ حافظ من الكويت للتعليم فى البحرين .. أدركنا أن الشيخ حافظ كان يعتبر من العلماء الأجلاء المتنورين . لذلك ما أن وطئت قدمه البلاد حتي بدأ يحرص علي الحضور بمجلس الشيخ قاسم ، حتى أصبح من جلسائه المقربين اليه .

ومع أن فارق السن كان كبيرا بين ابن مهزع وحافظ ، الا أن حافظاً وجد فى معطيات الشيخ قاسم الفكرية أصالة وعمقاً ، وخاصة فيما يتعلق بآلام المسلمين فى تلك الفترة ، مثل كره الشيخ الحاد للتسلط الانكليزى على المسلمين (١). الأمر الذى جعل كثيراً من شباب البحرين آنذاك يلتئم فى مجلس الشيخ فى زيارات ودية مما مكن حافظاً أن يعقد

---

(١) راجع رسالتي الشيخ قاسم الى الحاكم المعزول (فصل والشيخ قاسم ــ الرد العملى ورسالته الى الملك عبد العزيز بن سعود (فصل نماذج من رسائل الشيخ) .

صداقات قوية مع كثير من هؤلاء الشباب (١) وأن يتجاوب معهم في كل ما يطرحونه من آراء اصلاحية .

ما وقع بينهما من الخلف

أما ما وقع بين الصديقين فى آخر مرحلة علاقة كل منهما بالآخر من فتور فى حرارة تلك العلاقة ، فمرده الي ما وقع فيه الشيخ حافظ من سوء فى تفسيراته لطبيعة العمل الذى يقوم به الشيخ قاسم ، فمن كونه قاضى البلاد الأول .. الي كونه خاضع لإشراف حاكم البلاد الذى كان بدوره خاضعا للاشراف السلطوى البريطانى المباشر بقيادة العسكرى المتعسف الميجر ديلي .

وحين يسجل الشيخ حافظ وهبة حيثيات قصته مع الميجر ديلى ـ تلك التي أدت الى نفيه من البلاد ـ يسوقها بصيغة يتناسى فيها ألاعيب الانكليز ـ آنذاك ـ فى تضييقهم الخناق علي من يشتم منه رائحة العداء لهم ، وهو الذى عاناهم ـ كما أسلفنا ـ فى مصر والهند والكويت .. أجل يحاول رحمه الله أن يتناسى ذلك ، بل ولا يلصق ببريطانيا مسؤولية تصرفات معتمديها فى البلاد التي تبسط عليها حمايتها . (٢)

غير أنه لا ينسي أن يشرك صديقه الشيخ قاسم ضمنياً فى التدبير لنفيه .. غير آخذ فى اعتباره ـ وهو اللبيب ـ حراجة موقف الشيخ قاسم من قضيته وأمثالها .

---

(١) كان الشيخ حافظ يعد ـ آنذاك ـ من الزعماء السياسيين الشباب وقد دفع به طموحه الى انهاض المجتمع العربي ، أن يكون على صلة قوية بأمرائه وملوكه .. مثل صلته بالشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ١٨٩٦ ـ ١٩١٦ والملك عبد العزيز أيام كان أميرا .

وفى البحرين مارس الشيخ حافظ ذلك الطموح وخاصة ضد الانكليز ، وان كان بصورة خفية ، فقد كان يؤلف هو ومجموعة من الشباب المتنور أمثال اعضاء النادى الأدبي فى المحرق وفلول رهط نادى اقبال أوال فى المنامة جموعا مؤيدة لزعيم الاصلاح فى البحرين آنذاك الشيخ عبد الوهاب الزياني . كانت هذه الجموع تطالب بالاصلاح الداخلي ، وترفع أمرها فى ذلك الى حاكم البلاد الشيخ عيسى بن علي الذى ربما وقف فى صفها ، ثم يستشير فى ذلك المعتمد البريطاني فيرفض ذلك لأنه لا يعترف لهؤلاء بشيء ويقبض على السلطات فى البلاد بيد من حديد وبمنطق استعمارى بغيض .

وحينما طالبت هذه الجموع عام ١٩٢٣ على لسان الشيخ عبد الوهاب بمجلس تشريعي تعسف الميجر ديلي فوق ما تعسف به المعتمدون البريطانيون السابقون فجاءوا بعقوبات النفي ابتداء بأحمد بن علي الخليفة عام ١٩٠٣ ومرورا بقاسم الشيراوى وحافظ نفسه عام ١٩٢١ وانتهاء بزعيمهم عبد الوهاب عام ١٩٢٣ ثم جاء ديلي بالفصل الأخير من هذه المسرحية ، فاشرف على عملية عزل الحاكم عيسى بن علي فى العام نفسه .

(٢) راجع ص من كتاب خمسون عاما فى جزيرة العرب .

فماذا يفعل قاضي البلاد ، وقد عرضت عليه بطريقة ما قضية تحركات الشيخ حافظ ضد تصرفات السلطة البريطانية فى البحرين ، ممثلة فى الميجر ديلي ، وطلب منه حاكم البلاد ـ كحل وسط ـ احضار صديقه حافظ والحصول منه على كتاب تعهد للميجر ديلي بعدم استمراره فى هذه التصرفات .

أجل ماذا يفعل اذا طلب منه الحاكم .. أن يفعل الا أن يحضر صديقه ويقنعه فيكتب له وبرضاه ذلك التعهد ، ويدفعه اليه ليعيد النظر فيه ، ومن ثم يوقعه ويعيده الي الشيخ قاسم ليبعث به الى الحاكم الذى سيبعثه بدوره الي الميجر ديلى .

كانت هذه النتيجة أفضل ما توصل اليه الحاكم لكف أذى الميجر ديلي عن حافظ . أما الشيخ قاسم فكان يعتقد ـ نظراً لخبرته القضائية بالمعتمدين البريطانيين فى البحرين ـ أنه ما أن يقع كتاب التعهد هذا فى يد ديلي حتى يخفف هذا الأخير من ضغطه وملاحقته للشيخ حافظ . ويمكن للشيخ حافظ بعد ذلك أن يتصرف فى جهاده السياسى بلباقة وبعد نظر ، وبذلك يخرج من هذه الأزمة بسلام .

الا أن الشيخ حافظ فيما يظهر من روايته هو نفسه أنه استلم كتاب التعهد وأطلع عليه صديقه الكبير الشيخ عبد الوهاب الزياني ، ثم بعد ذلك لا هو أعاد الكتاب الي الشيخ ليبعث به الي السلطة المختصة ، ولا هو اتصل بالشيخ قاسم لتبرير ذلك ، وانما غادر البحرين الىالكويت قاصدا الاستشفاء فيها من حمى الملاريا ـ كما يقول هو ـ دون أن يشعر صديقه القاضى بذلك ، أو أن يأخذ رأيه فيه ، مما أحرج الشيخ القاضى أيما احراج ، وأتاح للسلطة البريطانية وأشياعها فى البلاد أن يروجوا تواطؤ الشيخ قاسم مع الشيخ حافظ فى خروج هذا الأخير من البلاد دون تقديم التعهد الى السلطة اياها .

ولعل السلطة البريطانية أعدت للأمر عدته ، فلما عاد الشيخ حافظ من الكويت الي البحرين لم يسمح له بالنزول الي البر وأمر بمغادرة البلاد نهائياً .

الحادثة بنصها

بعد ما قدمناه من دراسة موجزة عن علاقة الشيخين ابن مهزع وحافظ أحدهما بالآخر ، نصل مع القارىء الى دراسة النص الذى أورده

الشيخ حافظ للحادثة التي وقعت بينه وبين الميجر ديلى وعرض هو فيها بصديقه القاضى قاسم بن مهزع .

يقول الشيخ حافظ وهبه :

وبعد بضعة أسابيع جاء دورى وكنت اعتدت أن أجتمع ببعض الأصدقاء فى بعض الحوانيت (١) فنتحدث فى مختلف الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، ولكن فى ذلك اليوم كان حديثنا فى موضوع آخر ، هو هذا البلد وما يجرى فيه من أعمال وحشية (٢) .

روى أحد الحاضرين أن زوجة القنصل فقدت خاتمها الماسي ، فاتهمت خادمها الخاص فأنكر ، فاستعمل السوط أداة للاعتراف ، وتحت تأثير الضرب قال الخادم : أنه أعطاه لصائغ هندى ، فأحضر الصائغ ، وكان طاعناً فى السن ، فأنكر معرفته بالخادم ، ولما أحضرت آلة التعذيب قال : (اني هنا فى هذا البلد منذ نصف قرن ، ولم يعرف عني شيء يمس شرفى أو كرامة مهنتى ، وانى مستعد أن أدفع غرامة أفدح غرامة اذا ثبت أن هذا الخاتم قد طرق محلي ، وأنا غني من تجارتي ، ولست فى حاجة الى الاتجار بالمسروقات ، فأُخليت سبيله) .

ثم أحضر الخادم واستعملت معه أدوات التعذيب مرة أخرى وتحت تأثير الضرب قال : (أنه أعطى أو باع الخاتم لأحد الايرانيين) وكان يدير مقهى ، فأحضر الي القنصلية ، وكان لايستطيع الدفاع عن نفسه ، فوضع تحت آلة التعذيب ، فلم يتحمل الرجل آلام الضرب فتوفى بتأثير التعذيب.

ذلك كان حديث الناس فى هذا الاجتماع ، وفى غيره من الاجتماعات وفى مجلس قاضى البحرين (الشيخ قاسم بن مهزع) وكنت أزوره كل أسبوع ، أخبرنى بتفاصيل الموضوع ، وأخذ يستنكر الحادث أشد استنكار ، وقال : (**لقد أنكر علي أحد القناصل السابقين حكمي على**

---

(١) كان هذا الحانوت يملكه رجل يماني يدعى السيد جمال الليل بسوق المنامة .

(٢) قبل هذه الفقرة قال الشيخ حافظ ما يلي : (كان قاسم الشيراوى أحد أعضاء مجلس التعليم فى البحرين . وفى أحدى الجلسات حضر الشيخ حمد (يعني ولي عهد البحرين آنذاك) لأول مرة فى المجلس وطلب من أعضاء المجلس تنحية قاسم الشيراوى عن المجلس ، لأنه يتدخل فى سياسة البلد ، فانبريت للشيخ حمد وقلت : أن المجلس لا شأن له بالسياسة وان قنصل البحرين (يعني الميجر ديلي) لا يحق له التدخل فى شؤون البلد الداخلية ، وان من الخطأ السكوت على ذلك .

سارق بقطع اليد فكيف يجيزون لأنفسهم قتل نفس بريئة بسبب تهمة لم تثبت) .

فقلت : (ياشيخ قاسم لا شك أن القنصل قد أخطأ من عدة وجوه

أولا : كان يجب أن يترك التحقيق فى هذه القضية الشخصية لغيره

ثانياً : كان يجب أن لايستعمل آلة التعذيب كوسيلة للاعتراف .

ثالثآ : حينما استعمل الجلد كان يجب أن يكون تحت اشراف طبيب ، والدكتور (مناني) وهو طبيب القنصلية احتج علي هذا التصرف من جلد الايراني المسكين بدون اشراف طبيب ، فقد أدى هذا التعذيب الى موته .

فقال الشيخ قاسم : **(ما عهدنا مثل هذا من البريطانيين ، فهل أصبحوا يستعملون السوط بدل القانون ؟) .**

فقلت له : (هذا خطأ شخصى ، وليس من العدل أن نحمل الدولة الانكليزية خطأ فرد من أفرادها ، مهما يملك من سلطة) ؟!

وفى ثاني يوم من الزيارة ، وكان الموسم صيفاً ، وكنت أسكن خارج البلدة (أى بلدة .. ؟ أى المنامة أم المحرق أم الرفاع .. ؟) فى عريش من الجريد على حسب عادة أهل البحرين ، وكنت أسكن بجوار الشيخ عبد الرحمن الزياني (١) . اذ أقبل علينا الشيخ حمد ، والد الشيخ سلمان الحاكم الحالي وقال : جئت لزيارتك . فقلت : هذا شرف عظيم . وبعد تناول القهوة قال الشيخ حمد : (جئت لأرجوك فى مسألة بسيطة ، فقل لي قبلت الرجاء) لقد ارتبكت فلم أدر بماذا أجيب ، شيخ البلد يرجو فى مسألة ، وهو الآمر الناهي ، ولكنى أجبت الشيخ : لا أستطيع أن أجيب الرجاء قبل أن أعرف حقيقة الموضوع .

وبعد أخذ ورد طويلين قال : جئت من عند الباليوز (القنصل) الآن فوجدته غاضباً ، وحانقآ عليك ، متكدراً غاية الكدر ، فقد نمى اليه أنك تحرض أهل البحرين ، وتثيرهم عليه ، بسبب هذا الايرانى (يعني الايرانى الذى مات من التعذيب) وهو يقول أنك أجنبى عن البحرين ،

---

(١) الجأنا ضعف التعبير فى هذه الفقرة الى الرجوع الى الشيخ عبد الرحمن الزياني لتحديد المصيف الذى كان يصطاف فيه الشيخ حافظ بجواره ، فقال : أنه مصيف منطقة القضيبية قديما ، والتي كانت حتى الأربعينيات من هذا القرن مصيفا مشهورا .

وأنك مشمول بحمايته ، وهو يطلب أن تكتب كتاباً تعتذر فيه عما قمت به من اثارة الخواطر ، وتتعهد أن تلتزم السكينة ، ولا تتدخل فى المسائل السياسية .

فقلت للشيخ حمد : انى لا أعتذر عن عمل لم يصدر منى ، ولن أكتب تعهداً مطلقاً ، وانى مستعد أن أترك البلد اذا كان ذلك يرضيكم) وبعد جدال عنيف رأى الشيخ حمد أن أقابل القنصل وأوضح له حقيقة الموضوع .

وفى المساء تم الاجتماع مع القنصل بحضور الشيخ حمد الحاكم(١) وبعد استراحة قصيرة ، قال القنصل : (لقد كنت أود أن أراك قبل الآن ، فأنت تشتغل بالتعليم ، وأنا يهمني أمر التعليم ، ولقد بلغنى اثارتك الناس فى السوق ، فاستكثرت ذلك من رجل مهذب مثلك ، لقد كنت أنتظر الدفاع عني منك ، أو على الأقل أن تبادر باخبارى عما يدور فى مجتمع البحرين ، وعلي كل حال أنا أعتبر الموضوع منتهياً بعد هذه الزيارة . فأجبته قائلا :

(يا حضرة القنصل اذا كان أحد أخبرك بشيء ، فهو الشيخ قاسم بن مهزع ، فهو الرجل الوحيد الذى دار بينى وبينه نقاش فى هذا الموضوع !! ولم أبحث هذا الموضوع مع أحد مطلقاً من أهل البحرين (٢) بل كنت مستمعاً لما جرى ، كغيرى من المقيمين فى البحرين .

---

(١) الشيخ حمد لم يكن حاكما عام ١٩٢١ .. كان وليا للعهد .

(٢) يقول الثقاة من أهل المنامة ممن عاصروا الشيخ قاسم ، كابراهيم كمال الذى كان لا يفارق مجلس الشيخ قاسم : أن حافظا قد ظلم الشيخ قاسم بهذا القول اذ أنه ليس من أخلاق الشيخ العظيمة أن يتفوه بهذا القول .. فقد يكون السيد جمال الليل اليماني صاحب الحانوت الذى كان يجلس عنده حافظ كعادته اذا جاء الى المنامة ، ولم يسميه هو فيما كتبه عن هذه الحادثة .. ذلك الرجل هو الذى وشى بحافظ .

وسواء أخذنا بهذه الشهادة من معاصري الحادث ، أو لم ناخذ ، فأن الشيخ حافظ رحمه الله وفر علينا مهمة تبرئة الشيخ قاسم مما نسبه هو اليه ، وفعل ذلك دون أن يشعر .

فبنظرة فاحصة مدققة لما رواه حافظ عن حادثته هو مع الميجر ديلي يتضح بجلاء موقف الشيخ قاسم المشرف . بل أن موقفه كان قويا من موت المستخدم الايراني ، على عكس موقف حافظ نفسه من ذلك .

قد يكون هناك شيء من حيف لحق بالشيخ حافظ فى تسجيل حيثيات حادثته مع ديلي .. لو أن الذى سجلها كان كاتبا آخر غيره ، أما وقد سجلها هو بقلمه ، وبعد ثلاثة عقود من السنين ، وسجلها وهو يتمتع بمناخ من الاستقرار السياسي مكين ، فلا نملك الا أن ناتي بتلك النصوص من كلامه هذا لنثبت أى موقف الرجلين من هذه الحادثة كان أقوى واشجع من الآخر ، وبالتالي من هو البرىء ؟

أما أن أخبرك بما يدور في المجتمعات ، فهذا أمر منهي عنه شرعاً ، وأنا من رجال الدين ، فلا يجوز أن أدافع عنك كصديق فيما أعتقد أنه حق ، ولكن لا يجوز أن أخبرك بما جرى فى مجلس من المجالس ، لأن ذلك يحط الكرامة والشرف .

وبذلك انتهى الاجتماع ، ولكن يظهر أن القنصل لم يقنع فقدأرسل الى القاضى المذكور ، والح علي أن أكتب كتاباً بالاعتذار ، وكلما أكثرت من الاعتذار أكثر هو من الالحاح .

وفى سبتمبر سنة ١٩٢١ تلقيت الكتاب الآتى من الشيخ قاسم ابن مهزع قاضى البحرين :

= قال الشيخ حافظ : (وفى مجلس قاضي البحرين الشيخ قاسم بن مهزع ، وكنت أزوره كل أسبوع أخبرني بتفاصيل الموضوع ، وأخذ يستنكر الحادث أشد الاستنكار ، وقال : « لقد أنكر علي أحد القناصل السابقين حكمي على سارق بقطع اليد فكيف يجيزون لأنفسهم قتل نفس بريئة بسبب تهمة لم تثبت . » ثم قال الشيخ : « ما عهدنا مثل هذا من البريطانيين فهل أصبحوا يستعملون السوط بدل القانون . »)

فأين هذا القول من قول حافظ نفسه ردا على الشيخ قاسم حيث قال : « هذا خطأ شخصي وليس من العدل أن تحمل الدولة الانكليزية خطأ فرد من أفرادها مهما يملك من سلطة ؟ !! »

ثم نأتي الى ما سجله حافظ فى مقابلته مع الميجر ديلي قال : (قال القنصل : لقد كنت أود أن أراك قبل الآن ، فانت تشتغل بالتعليم وأنا يهمني أمر التعليم ، ولقد بلغني اثارتك الناس فى السوق فاستنكرت ذلك من رجل مهذب مثلك ... الخ)

اذا فديلي كان يود أن يرى حافظا من قبل حادثة موت الرجل الايراني بسياط ديلي نفسه ! ! ومن قال أن ديلي كان لا يعلم بتصرفات حافظ ضد سلطة الحماية فى البحرين .. ؟ وما كان ديلي ليقول له : (بلغني اثارتك الناس فى السوق) لو أنه لم يبلغه أحد عملائه المنتشرين فى الأسواق ، أو أن يكون هذا العميل من الجالسين مع حافظ فى حانوت السيد جمال الليل فأين الشيخ قاسم الرجل الورع من ذلك كله . واذا علمنا أن الشيخ حافظ كان قد ناقض نفسه فى مبدأ روايته لحادثته مع ديلي وأوسطها ، لما ثبتت براءة الشيخ قاسم مما اتهمه حافظ به فحسب بل ان حافظ نفسه قد أثبت التهمة عليه فاوقع نفسه بنفسه باعترافه بالآتي ، قال : (وبعد بضعة أسابيع جاء دورى ، وكنت اعتدت أن اجتمع ببعض الأصدقاء فى بعض الحوانيت فنتحدث ، ولكن فى ذلك اليوم كان حديثنا فى موضوع آخر هو هذا البلد ، وما يجرى فيه من أعمال وحشية) .

فحافظ رحمه الله كان متوقعا ـ قبل ذلك ـ أن الدور سيأتي عليه .. ثم يجلس فى الحوانيت ويناقش علنا الأعمال الوحشية لسلطة الحماية فى البحرين ، وعلى مرأى ومسمع من الناس .. ثم لا يريد أن تحاسبه سلطة الحماية فى شخص ديلي على ذلك .. وأن هي فعلت ، فلن يحاول التخلص الا باشراك صديقه الشيخ المسن قاسم بن مهزع ، الذى فتح له قلبه واستنكر بصدق أعمال ديلي التعسفية فى البلاد ، فكان جزاؤه اشراكه باتهامه أنه الواشي الوحيد به عند ديلي .

(وأسنى سلام الاسلام يحف حضرة السديد الرشيد المرشد المربي الأوفق الموفق العلامة الشيخ حافظ وهبة حفظه الله .

واني أحمد الله اليكم طالبا من حضرتكم الملاقات (كذا فى النص) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

فقابلت الشيخ المحترم ودار بينى وبينه حديث طويل فى كتابة كلمة للقنصل ، فكتب الكلمة الآتية ! !

(جناب معتمد ملك بريطانيا العظمى في البحرين (سي كي) ميجر ديلى المحترم .

بعد التحية بناء على طلب والحاح الصديق الشيخ قاسم بن مهزع قاضى البحرين أحب أن تحققوا أني لا أحمل لشخصكم الكريم الا كل احترام واكبار يليق بمثلكم وبمقامكم ، وأن يدى ممدودة لمصافحتكم ومعاهدتكم أني سأكون عونا ومددا ، ولشخصكم عضدا وسندا ، مادمتم بالحق آخذين ، وعليه قائمين ، وللعاملين المخلصين مؤيدين ، وللمظلومين ناصرين) .

المخلص

حافظ وهبة

وقد أطلعت هذا الكتاب المجاهد العظيم ، المرحوم الشيخعبدالوهاب الزياني ، الذى نفى الى الهند لنضاله، ودفاعهعن استقلال بلاده ،وتدخل القنصل فى شؤون البحرين الداخلية .

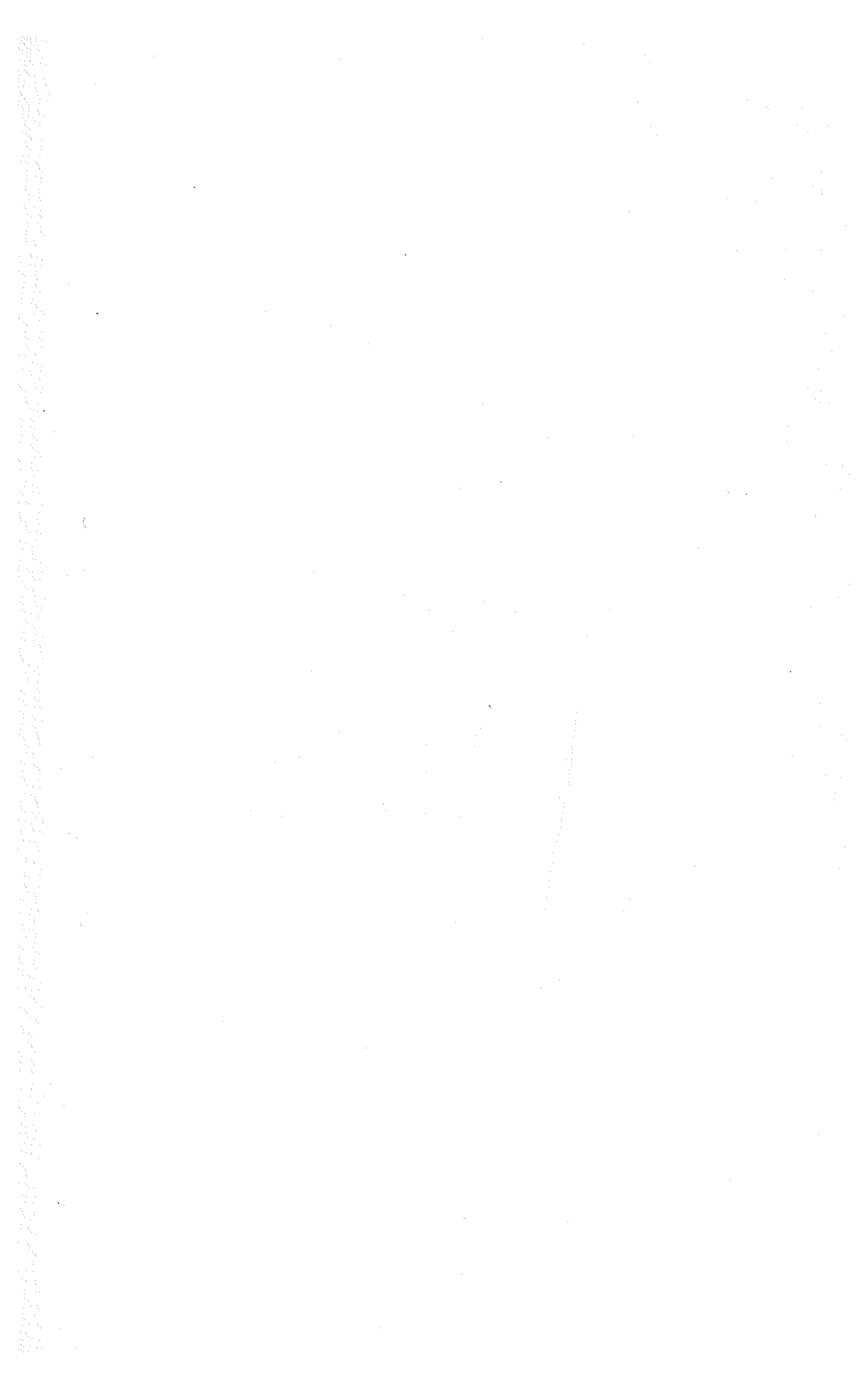
وقد مرضت فى أثناء هذا النضال ، حيث أصابتنى (الملاريا) بدون رحمة ، والملاريا كانت مشهورة فى تلك المنطقة من قديم ، فرأيت أنأغادر البحرين مؤقتاً الى الكويت لجفافها ، فأقمت بها شهراً ، ثم رجعت الي البحرين بعد أن وصلتنى بضع برقيات تستدعيني اليها ، ولكن ماكادت الباخرة تلقى مراسيها فى مياه البحرين حتى رأيت الشيخ سلمان الحاكم الحالى (١) ومعه رئيس بلدية المنامة وهو رجل ايراني يدعى محمد شريف فصعدا الى الباخرة التي كنت فيها ثم طلبا مني أن أجتمع معهم فى الصالون ففعلت فأبلغونى الرسالة الآتية عن الشيخ عيسى والقنصل) .

---

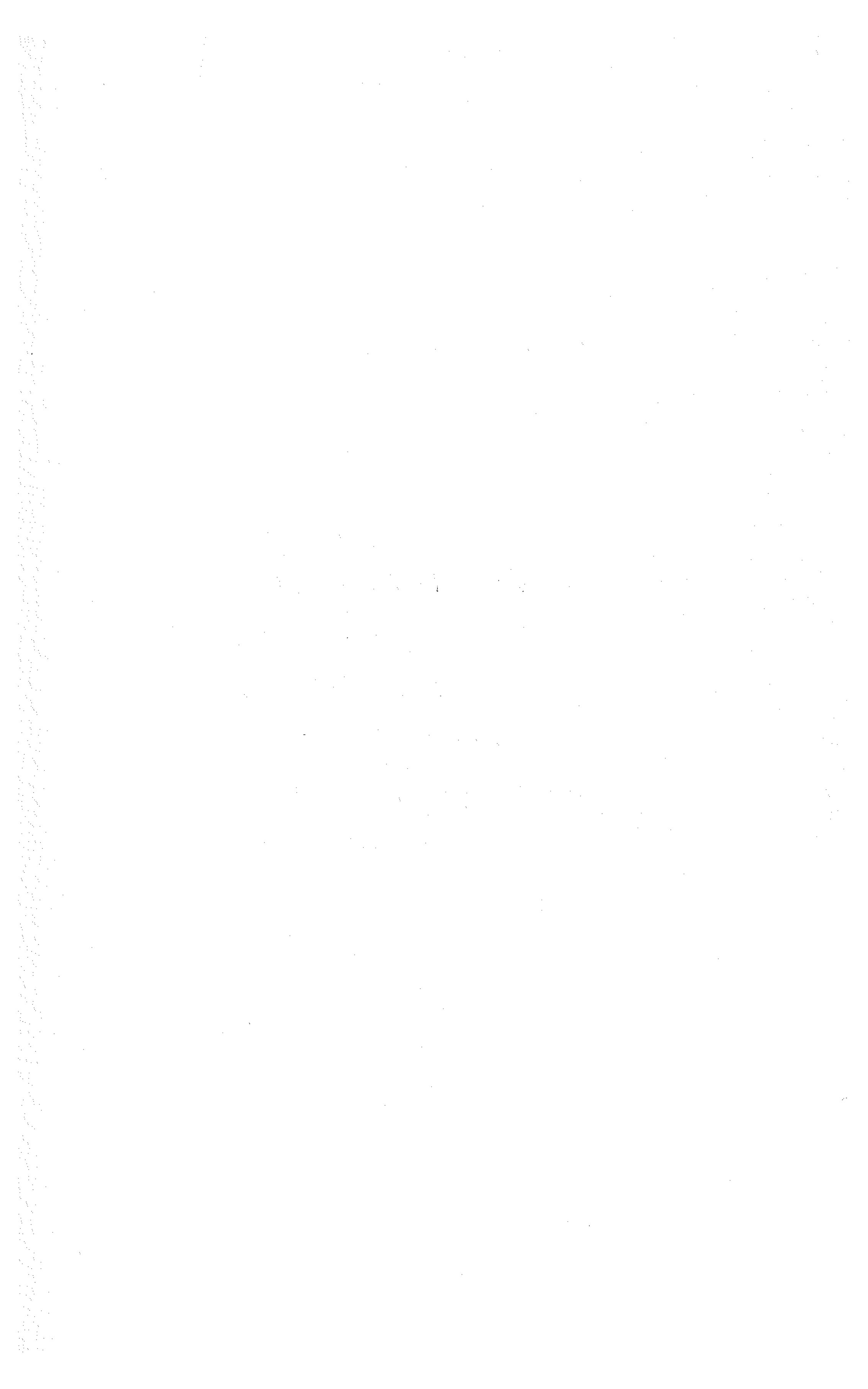
(١) كان ذلك من عام ١٩٤١ الى عام ١٩٦١ .

الفصل السابع

علاقة الشيخ قاسم بالميجر ديلي



- مدخــــل
- رفض الشيخ الوسام البريطاني
- قضية الاثلاث
- ديلي يتدخل بمرسوم
- الاحتجاج والغــاء المرســوم
- موقف الشيخ من محاولة اغتيال ديلى
- لقــاءان مثــيران ..



مدخـــل

الحديث عن علاقة الشيخ قاسم بالميجر ديلى .. جاء بعضه فى الحديث عن دور الشيخ فى العمل الوطنى ، كذلك فانه من الطبيـعى أن تكون تلك العلاقة وثيقة بين الرجلين ، فكلاهما كان فى قمة مراتب السلطة فى البلاد بعد الحاكم .. أما ظاهرة هذه العلاقة فلم تكن فـريدة فى بابها بالنسبة للشيخ قاسم فى صلته بالميجر ديلي ، فان طبيعة موقع الشيخ من قمة السلطة الروحية والمادية فى البلاد كانت تحتم عليه الدخول فى مثل هذه العلاقة ليس مع ديلى فحسب ، بل مع جميع من عاصرهم من الوكلاء والمعتمدين السياسيين البريطانيين فى البحرين والخليج .

غير أن علاقة الشيخ بديلى كانت فوق ذلك قد تميزت بكونها علاقة عمل قضائى مستمر ، منذ بدأ ديلى يستولى على السلطة التشريعيـة والتنفيذية فى البلاد ابتداء من مايو عام ١٩٢٣ ، وخاصة حينما نصبته سلطة الحماية البريطانية فى الخليج مشاركاً لحاكم البلاد فى الحـكم ، وقاضياً أعلى فيها الى جانب الحاكم (١) فقد كان علي الشيخ قاسم فى هذه الحال أن يتعامل مع ديلى كحاكم وقاضى أعلى فى المحكمة العليا التى شكلت حديثاً فى البلاد . وعلى هذا الاساس بدأ الشيخ يقرن اسم الميجر ديلى باسم حاكم البلاد فى رسائله وتقاريره التى يرفعها الى تلك المحكمة(٢) وظل يفعل ذلك الا فى حالة تلقيه رسالة خاصة من أحدهما فان رده يكون باسم مرسلها .

ولقد استمر الشيخ قاسم على هذين المنوالين فى رسائله الي الميجر ديلى حتى خروج هذا الاخير من البلاد . والشكلان التاليان همانموذجان لافتتاحية رسائل الشيخ علي المنوالين :

١ ـ واسنى سلام الاسلام لحضرات ملوكنا الأجلاء الشيخ حمد ، والميجر سى . كى . ديلى معتمد الدولة فى البحرين (٣) .

٢ ـ من خادم الشرع بالبحرين قاسم بن مهزع لحضرة معتمدالدولة فى البحرين سى . كى . ديلى . (٤) .

---

(١) راجع فصل دور الشيخ قاسم فى العمل الوطني (نص رسالة كرنل ناكس الى الشيخ) .

(٢) مجموعة رسائل الشيخ وتقاريره القضائية .

(٣) الرسالة المؤرخة فى ٢٨ ربيع ١٩٤٢/٢ .

(٤) الرسالة المؤرخة فى ٧ ربيع ١٣٤٢/٢ .

موقف الشيخ من محاولة اغتيال ديلي

مما مر بنا وخاصة فى فصل (دور الشيخ قاسم فى العمل الوطنى) نعرف مسبقاً موقف الشيخ عموماً من الوكلاء والمعتمدين السياسيين فى البحرين والخليج .. اذ كان موقفاً عدائياً مغلفاً بالتقية والدهاء ، والوكلاء السياسيون والمعتمدون منهم بوجه خاص كانوا يعرفون ذلك مسبقاً بعد اطلاعهم علي تقارير من سبقهم فى التعامل مع الشيخ ، ثم انهم يزدادون معرفة به كلما طال عليهم أمد خدمتهم فى البلاد . ومع أن الشيخ كان يعاني فى تعامله معهم اختلاف أمزجتهم وقلة معرفة بعضهم بشؤون البلاد الداخلية ، الا انه كان لا يغمطهم حقهم اذا ما أجروا بعض الاصلاحات الداخلية فى البلاد .

فلما جاء ديلي الى البلاد وعرف فيه الشيخ تعسفه وجبروته عبر تدخله فى شؤونها الداخلية .. دخل معه فى تقية ومداجات فى الوقت الذى كان يشير على الحاكم عيسى بن على بنزعه كما أسلفنا (١) وقد بدا ذلك واضحاً فى الاحداث التي جرت خلال وبعد عزل الحاكم السابق . وخلال الثلاثة الاعوام التي أعقبت ذلك كان تعامل الشيخ مع ديلى ينطلق من مفهوم موقع ديلى كحاكم فعلي فى البلاد الى جانب حاكمها الشرعى ، فلما جرت محاولة اغتياله من قبل الشرطي اسماعيل البلوشى فى الرابع من أغسطس عام ١٩٢٦ واعتكف فى بيته حتى مضى الاسبوع الاول ، فلم يستفسر الشيخ عنه ولم يبعث لا برسول ولا كتاب يهنىء الميجر بسلامته من محاولة اغتياله .. فى الوقت الذى كانت زيارات الوافدين اليه للتهنئة بنجاته تترى صباح مساء . لقد امتنع الشيخ قاسم مع من امتنع من أصحاب الحركة الوطنية فى البلاد عن تهنئة الميجر بأى طريقة كانت .

كان يمكن للشيخ قاسم أن يفعل ذلك اما شخصياً أو برسول أو برسالة ، ولكنه لم يفعل ذلك البتة .. كان الميجر ينتظر من الشيخ أن يقوم بتهنئته شخصياً .. فان لم يستطع فبواحدة من الطريقتين .. أما برسالة أو برسول .

كانت تهنئة الشيخ بشخصه أو باحدى الطريقتين السالفتى الذكر واردة فى ذهن الميجر لأسباب عدة منها علاقته القضائية بالشيخ ومنها اتخاذه من الشيخ مستشاراً له يستأنس برأيه فيما يعزب عليه من أكثر شؤون القضاء . ومنها أن الشيخ كان يأتيه فى زيارات متباعدة جداً ..

---

(١) راجع فصل (دور الشيخ قاسم فى العمل الوطني) .

فقد يمر العام كله ولا يقوم الشيخ بواحدة منها اليه ، مع أن تلك الزيارات المتباعدة ما كان يقوم بها الشيخ لمصلحة ذاتية تتعلق بشخصه هـو أو بشخص ديلى نفسه ، انما كان يقوم بها لحل مشاكل .. اما قضـائية أو وطنية ، لذلك فقد عد ديلي امتناع الشيخ عن تهنئته باحدى الطرق الثلاث أمراً خطيراً .

نخلص من هذا كله الى أن ديلي لما يئس من عدم قيام الشيخ قاسم بتهنئته لنجاته من حادث الاغتيال عبر الوسائل الثلاثة المتعارف عنيهـا كما أسلفنا بعث للشيخ بالرسالة التالية :

سنة ١٩٢٦

« من الميجر سى . كي . ديلى آى اى باليوز فى البحرين الي جناب الأجل الأكرم الأحشم المكرم العالم الفاضل الكامل العامل حضرة الشيخ قاسم بن مهزع رئيس القضاة فى البحرين المفخم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام

نذكر حضرتكم ياصديقى انه حيث اننا واعدنا حضرتكم شفاها فى سبوع (١) الماضى أن نزور حضرتكم ومع الأسف انه فى يوم الوعد قضى الله جل جلاله هذه القضية الهايلة . وقد زارنا جميع الأشراف والمعرفين(٢) فى مدة هذه الايام للتهنئة بسلامة (٣) ، كما وصلنا كثرة خطوط من أغلب الأصدقاء الذى (٤) ما مكنهم (٥) الوصول الا من صديقنا المحترم القاضى فزادنى العجب ولاكننا (٦) نوامل (٧) ان أسباب ذلك أن يكون خـيراً هذا ما لزم ودمتم موفقين والسلام . »

ف ١٢ أكست ١٩٢٦ مطابق ف ٣ صفر ١٣٤٥

الميجر سى كي ديلى سى . آى . اى

باليوز فى البحرين

---

(١) كذ فى النص والاصح (الاسبوع)

(٢) كذ فى النص والاصح (والمعروفون)

(٤) هكذا فى النص والصواب (الذين)

(٥) هكذا فى النص والصواب (ما أمكنهم)

(٦) هكذا فى النص والصواب (ولكننا)

(٧) هكذا فى النص والصواب (نؤمل)

اذن فديلي كان قد التقى بالشيخ قاسم قبل أن يتعرض لمحاولة الاغتيال .. وفى هذا اللقاء وعد ديلى الشيخ شفاها أن يزوره فى الرابع من أغسطس ١٩٢٦ غير انه لم يستطع الوفاء بوعده بسبب تعرضه لمحاولة الاغتيال فى نفس اليوم الذى وعد أن يزور الشيخ فيه ، وهو يعجب كيف أن الشيخ لم يزره للتهنئة بنجاته ، ولا حتى أرسل له كتاباً لهذا الغرض بخلاف أشراف البلاد الذين قاموا بتهنئته بواحدة من تلك الطريقتين ، لم يرد الشيخ قاسم علي رسالة ديلى هذه حيث أن الاحداث الجارية بسرعة فى البلاد لم تمكنه من ذلك ، فى الوقت الذى جعل ديلى يعد ذلك منه تحدياً جديداً فوق تحديه السابق بعدم تهنئته .. فلم يترك للشيخ فرصة أخرى يرد فيها على رسالته فأسرع الى لقائه بنفسه كما سيجيء (١) .

رفض الشيخ الوسام البريطانى

بعد أن تأكدت سلطة الحماية البريطانية فى الخليج من خلو عريضة وكلاء الأمة البحرانية من توقيع الشيخ قاسم (٢) ، ظنت أنها كسبته وللمرة الأولى .. بعد أن شاخ فى مقاومتها هي والمبشرين .

أما المبشرون فقد علمنا فيما سبق مبلغ مقارعته لهم . وأما سلطة الحماية ، فيكفى أنه كان على عهده فى القضاء كالشجى فى حلوق وكلائها ومعتمديها ، لا يعترف لهم بشيء من قضائهم اذا ماحاولوا تطبيقه فى البلاد ، ولم ينجحوا فى صبغ البلاد بصبغة القضاء الوضعي التام ، الا لما قلبوا وضعها رأساً على عقب فى انقلاب ١٨ مايو ١٩٢٣ .

نعود الى وضع سلطة الحماية البريطانية الجديد مع الشيخ قاسم .. ذلك الوضع الذى نشأ من خلو عريضة وكلاء الأمة البحرانية من توقيع الشيخ عليها ، فانه على ضوء ذلك قررت سلطة الحماية منح الشيخ قاسم وساماً تقديرياً باسم (نجم العلماء) فجاءه يوماً الميجر ديلى برفقة الحاج يوسف كانو عام ١٩٢٤ واستأذنا عليه وصعدا الي غرفته فاجتمعا به وكان معه بعض خاصته ، فدار الحديث بينهم وارتفعت به أصواتهم . وسمع

---

(١) راجع ص ١٩٢ من هذا الفصل بعنوان لقاءان .

(٢) راجع فصل دور الشيخ قاسم فى العمل الوطني (بين الشيخ قاسم والشيخ الزياني)

خاصة الشيخ الميجر ديلي يقول للشيخ : ياشيخ قاسم أنه نظراً لخدماتك الطويلة فى سلك القضاء فى البحرين ، وكونك لم تستلم قط أى راتب أو مخصصات على هذه الخدمات الجليلة فان حكومة نائب الملك فى الهند قررت وفاء وتقديراً لشخصك الكريم تقليدك وساماً باسم (قلادة نجم العلماء) .

فقال الشيخ قاسم : **أستغفر الله ، لا حاجةلي بنياشينكموتقديركم، ولا برواتبكم ،أنا لست بنجم العلماء ، ولا أستطيع أن أكون كذلك ، أنا أحقر العلماء ، ولست محتاجا الى رواتب أو مخصصات أنا غني بفضل الله وكرمه ، وخادم لله ولرسوله .**

فرد عليه ديلي قائلا : لابد من ذلك ، هذه ارادة سامية ، وأخشى أن رفضتها أن يأتى كلونيل نوكس من أبو شهر ويقلدك الوسام بنفسه فى حفلة خاصة .

فرد الشيخ قائلا : **اعلم ياميجر ديلي أنه لو جاء نوكس من هذا الباب لخرجت من ذلك الباب ، وأشار الى بابي غرفته ، ولن أمكنكم من ذلك** . ثم تحرك الشيخ من مجلسه قائماًاشارة الى أن المقابلة قد انتهت، وخريج ديلي من عند الشيخ دونما طائل . ولم يقابل الشيخ بعد ذلك أحداً من الرسميين البريطانيين فى موضوع الوسام .

قضية الاثلاث والتركات

مدخل

استغرق زمان حادثة الأثلاث والتركات هذه شهري يوليو وأغسطس من عام ١٩٢٦ . قبل أن نأتي على ذكرها يحسن بنا أن نقدم لها بكلمة تعين القارىء على فهم ملابساتها .. تلك الملابسات التي برز فيها الشيخ قاسم بروزاً قوياً .

من المعلوم أنه كانت هناك وعلى امتداد رقعة البلاد الاسلامية ثغرات فى تطبيق التشريع الاسلامي للأحوال الشخصية (١) وخاصة فيما يتعلق بالأوصياء على الأيتام والتركات وما يندرج تحت هذا الباب من حيث أنهم لم يخضعوا لأداة سلطوية تحاسبهم على تفريطهم ، مما ينشأ عن ذلك من ظروف سيئة بعلاقة الوصي بالموصى له ، فتؤكل أموال الموصى له القاصر بالباطل ، فيقع تحت رحمة الوصي الذي كثيرا ما يتحايل على اهدار حقوقه ، فلا ينال هذا الأخير مما أوصى له به الا النزر اليسير . وقد لا تكفي الروادع والزواجر المنصوص عليها في القرآن الكريم ، فى حمل الأوصياء على الوفاء بما أوصوا به ، بخلاف ما يفعله الأوصياء الصالحون على مر العهود الاسلامية .

ومعلوم أيضاً أن الفرد المسلم مكلف بالالتزام بالشريعة الاسلامية فى كل ما يصدر عنه من تصرف فى هذه الدنيا ، فالاسلام نظام شامل يشمل جميع مظاهر الحياة .. فهو دين ودولة ومصحف ومدفع ، واقتصاد ، وعلم وثقافة وقانون ، وعبادات .

---

(١) (المقصود بالاحوال الشخصية هو مجموعة ما يتميز به الانسان عن غيره من الصفات الطبيعية أو العائلية التي رتب القانون عليها أثرا قانونيا فى حياته الاجتماعية، ككون الانسان ذكرا أو أنثى ،وكونه زوجا أو أرملا أو مطلقا أو أبا شرعيا أو ابنا شرعيا، أو كونه تام الاهلية او مقيدها بسبب من أسبابها القانونية . أما الامور المتعلقة بالمسائل المالية ، فكلها بحسب الاصل من الاحوال العينية ، واذن فالوقف والوصية والنفقات على اختلاف أنواعها ، ومناشئها من الاحوال العينية غير ان المشروع المصرى وجد ان الوقف والوصية من عقود التبرعات التي تقوم غالبا على فكرة التصدق المندوب اليه ديانة فالتجاه هذا الى اعتبارها من قبيل مسائل الاحوال الشخصية كيما يخرج بها من اختصاص المحاكم المدنية التي ليس فى نظامها النظر فى المسائل التي تحوى عنصرا دينيا فى تقرير حكمها) .

(المرجع الوافى فى قضاء الاحوال الشخصية للمسلمين ص ٥٧ طبع دار الفكر الحديث بمصر / ١٩٦٣)

غير أن ذلك يتوقف على الوازع الديني للفرد المسلم من حيث القوة والضعف ، وطبيعي أن الوازع الديني لدى عامة المسلمين كان قد ضعف في القرون المتأخرة ، لذلك فالضعف ليس في الاسلام وانما في حملته في هذه الأعصر . وهذا الضعف راجع لعدة عوامل ليس هذا الكتاب معنياً بذكرها .

وعلى عهد قضاء الشيخ قاسم كان عامة الناس في البحرين يوصون ـ قبل موتهم ـ باثلاث تركاتهم من منقول وغير منقول على أيدى ذويهم أو مشايخهم في العلم أو قضاتهم . وكذلك بما يحسبونه على البر والاحسان مما يملكون من منقول وغير منقول أيضا ليصرفه هؤلاء الأوصياء فيما أوصوا به في صرفه ، فكان من هؤلاء الأوصياء من يتدرج تحت قائمة ضعيفي الوازع الديني فتحدث المشاكل ، وترفع الظلامات ويجأر أصحابها بالشكاوى من ظلم الأوصياء ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، وقد يكون من بين المتقعدين للفصل في هذه الظلامات من هم جهة من تلك الجهات التي يجأر الموصى لهم بالشكاوى منها . من هذه الثغرات وغيرها كان المستعمرون ينفذون حتى العمق في شؤون المسلمين عامة .

ديلي يتدخل بمرسوم حكومي

وهنا في البحرين .. لما طرق سمع ديلي شيء من هذه الشكاوى وتفاقم الجأر بها ، وجدها ومن خلفه سلطة الحماية فرصة جديدة للتدخل من جديد في شؤون البلاد الداخلية ، وهذه المرة في شؤون الأحوال الشخصية للمسلمين فيها .

يقول عن أمر هذا التدخل الجديد .. أولئك الذين عاشوا أحداث الثلث الأول من القرن العشرين في البحرين ، ومنهم الحاج ابراهيم كمال الذى يكاد يحفظ حوادث هذه الفترة عن ظهر قلب فهو قد عاناها ، وشارك فيها : أنه لما تناهى الى سمع ديلي كثير من شكاوى الموصى لهم بالأثلاث والأوقاف والصدقات على أيدى الأوصياء .. وما يلحق أولئك من حيف على أيدى هؤلاء . أصدر اعلاناً رسمياً دون ترو ، ودون معرفة ، أجبر بموجبه كل من تحدث في بيته وفاة لذكر كان أو أنثى أن يخبر الشرطة بذلك ، والا تعرض للحبس أو الغرامة . وعلى الشرطة أن تحصي كل ما خلفه المتوفي سواء في بيته أو أية محلات أخرى قبل أن يدفن ، وتستلمها الحكومة وتوزعها بمعرفتها على مستحقيها ، وان يبقى ما أوصى به من ثلث تحت نظارتها .

وفعلا نفذت الشرطة الأمر ، واستطاعت أن تحجر على مخلفات رجلين من ذوى البيوتات كانا قد توفيا بعد صدور هذا الاعلان مباشرة وهما الشروقي فى الحد وسلمان أبو حبال فى المنامة . وحدث كل ذلك بصورة بشعة تتقزز منها الأنفس .. ولم يقم المنفذون أي اعتبار أو حرمة لا للميت الذى لم يدفن بعد ولا لأهله الحزانى .

الاحتجاج ، والغاء المرسوم

وحين تسامع الناس بهذا الاعلان ، وما حدث عند أوليات تنفيذه هاجوا وماجوا ، ورفعوا أمرهم الى بعض زعماء البلاد من سنة وشيعة ، فقام هؤلاء واحتجوا لدى دار الاعتماد البريطاني على هذا التصرف ، غير أن المعتمد ديلي لم يقم لذلك أى اعتبار ، فما كان من هؤلاء الا أن كتبوا عريضة وقدموها الى حاكم البلاد . يحتجون فيهـا على تدخل سـلطة الحماية في شؤون الأحوال الشخصية الخاصة بهم ، فحولهم الحاكم بدوره الى دار الاعتماد .

وفيما كان زعماء المحتجين يهمون بالاتصال بدار الاعتماد مرة أخرى، اذ وقعت محاولة اغتيال الميجر ديلي من قبل الشرطي اسماعيل ، فدخلت البلاد فى حالة من الأحكام العرفية فرضها هذه المرة ديلي نفسه أيضا ، وكان قد فرض واحدة من مثيلاتها فى مايو من عام ١٩٢٣ .

وتمر الأيام بطيئة مثقلة بالأحداث فمن ٤ أغسطس ١٩٢٧ ، يـوم محاولة الاغتيال الى ٦ منه يوم نزول جنود الدولة البريطانية من هنود وانجليز واحتلالهم لقلعة الديوان ودار الاعتماد ، وبعض الدوائر الرسمية . كل هذا وزعماء المحتجين ينتظرون بفارغ الصبر هدوء الوضع المتفجر فى البلاد ليتصلوا بالمعتمد البريطاني الجديد ، بعدما علموا بوصوله الى البلاد ليحل محل ديلي .

وفي غمرة فرح واستبشار هؤلاء المحتجين وكلهم كانوا من قائمة وكلاء الأمة البحرانية منذ عام ١٩٢٣ (١) وصلتهم مذكرة تبليغ بالحضور لدى المعتمد الجديد المستر برت .

---

(١) جاء فى العدد ١٩٢٦/١١٢ من الشورى القاهرية ما يلي : (كانت أيـام الميجر ديلي القنصل البريطاني فى البحرين أيام نحسة على أهلها ، فقد ارهقهم الرجل فيها بأنواع من العسف والجور ، وشملهم بصنوف من البغي والظلم . =

هنا تذكر هؤلاء الزعماء تلك الاحبولة التي نصبها الميجر ديلي لهم سابقا ، فرسموا خطة نفذوها بدقة فأرسلوا عنهم ممثلين هما المجاهد سعد الشملان والشاب ابراهيم كمال ، فاجتمعا بالمعتمد الجديد بحضور الميجر ديلي .. فأطلعهما على أمر اصدار لمرسوم الأثلاث فتحققا أنه صادر بأمر الحاكم فاستلما من المعتمد عريضة أهل البلاد وعطفا بها الى الزعماء فرفعها هؤلاء فى اليوم التالي الى حاكم البلاد الذى بدوره دعا الى اجتماع جميع أعيان البلاد عنده بقصره القديم الواقع جنوبي قلعة الديوان (١) فاجتمعوا اليه بما فيهم مقدمو العريضة ، وبعد أن كلم مقدمو العريضة الحاكم في الأمر ، أمر برفع القضية برمتها الى الشيخ قاسم ، قائلا : (بيني وبينكم حكم الله عند الشيخ قاسم) فرضي به الجميع من شيعة وسنه .

وبعد أيام انتظام عقد الجميع أمام الشيخ قاسم .. كان الشيخ قد أعد فتواه فى العريضة واعلان الحكومة المحولان اليه معاً من الحاكم ، لذلك فقد أمر كاتبه محمد بن راشد المحرى بتلاوة تلك الفتوى على الجميع وقد جاء فيها ما يلي :

(وتبقى الوصية بيد الوصي ، وأما الأيتام فيؤخذ لهم عقار ، أما الأوقاف فانها قربات اسلامية يجب على متوليها العمل بمقتضاها) .

= ايايا ، كان الأحرار هناك يعانون من الضغط على حريتهم ما يعانيه كل وطني حر من الآلام والمصائب فوق تعرضهم للابعاد والنفي .

أما الحركة العلمية والفكرية بين القوم فقد وصلت الى حد لم يكن فى وسع القائمين بها أن يقيموا لتلامذة مدارسهم احتفالات ليتمرنوا على الجرأة بالقاء الخطب المؤثرة والأشعار الوطنية الحماسية خوفا من نقمته ورهبة سطوته ، وما زال يعاملهم معاملة الأنعام والبهائم ويفاجئهم من الاضطهاد بما يزهدهم فى العيش والحياة حتى امتزج بغضه فى قلوبهم ، وخالط كرهه مفاصلهم وشرايينهم فكان من جراء ذلك كله حادثة الاعتداء عليه فانها السبب فى اطلاع الحكومة البريطانية على سياسته الخرقاء التي كان يقوم بها فى البحرين والأدوار المحزنة التي مثلها بين أهاليها . الأمر الذى أعقب فصله من وظيفته وانزاله من عرش حكمه المطلق . وقد كان ذلك اليوم الذى أبعد فيه شبحه المخيف عن البحرين يوم عيد عند أهلها ، عمهم فيه من الفرح والسرور ما غادر بعضهم يهنىء بعضاً بسلامتهم وسلامة وطنهم من أهواله ومصائبه) (البحرين ــ جهينه) .

(١) لم يكن للقصر وجود الآن فقد تهدم .

بعد ذلك انفض الجمع من مجلس الشيخ وكلهم مقتنع بتلك الفتوى ثم أن الشيخ أرسل بقرار فتواه هذه الى الحكومة التي اعتمدتها وألغت قرار ديلي السابق (١) .

لقاءان

لقاءان مثيران حدثا بين الشيخ قاسم والميجر ديلي ، مع تفاوت في الاثارة . اللقاء الأول كان عام ١٩٢٤ ، وما جرى فيه من مشادة كلامية عنيفة بين الشيخ وديلي بشأن الوسام كما تقدم .

أما هذا اللقاء ، وهو ما أصبح بعد ذلك اللقاء الأخير بين الشيخ وديلي ، فقد امتاز عن سابقة بتفوق ساحق في الاثارة ... نتيجة حدوثه في مناخ حادثة اغتيال ديلي ، وما تبعها من ذيول محاكمة الشرطي اسماعيل ، واضراب الشرطة البلوش عن العمل نتيجة ذلك .

في هذا المناخ .. وفيما بين الرابع والعاشر من أغسطس عام ١٩٢٦ جرت في المنامة أحداث مثيرة ، ليس هنا محل لتفصيلها الا أن جميع من عاصروا هذه الأحداث أجمعوا على القول بشأن اللقاء الأخير بين الشيخ وديلي ، بأنه حينما انطلقت رصاصات الشرطي اسماعيل لتجرح ديلي وتقتل مرافقيه وصدر أمر ديلي بمحاكمته واعدامه شنقاً (٢) أضرب أفراد قوة الشرطة في البحرين عن العمل ، واذ كانت غالبيتهم العظمى من البلوش أبرق ديلي الى رئاسة الخليج ــ البريطانية ــ في (أبو شهر) طالبا

---

(١) تسع وأربعون سنة خلت على هذه الحادثة ، التي لازال يذكرها كثير من معاصريها الأحياء . غير أن الباحث لا يستطيع تسجيل حوادثها مرتبة كاملة الا عند أولئك المثقفين منهم .. أمثال الشيخ محمد الحباب المهزع ، والشيخ عبد الرحمن المهزع ، والأستاذ احمد حسن ابراهيم والشيخ عبد الرحمن الزياني وأخيرا الحاج ابراهيم عبد الله كمال ذلك الرجل الذى شارك في أحداثها مشاركة فعالة ،. كان هو والمجاهد المرحوم سعد الشملان يتخفيان عن عيون السلطة فيطوفان ليلا .. يغشيان الدور والمجالس في المنامة والمحرق والحد ليجمعا من أصحابها التواقيع في عريضة الاحتجاج على مرسوم ديلي في الأثلاث ، وهما اللذان مثلا المحتجين لدى المعتمدية البريطانية ، وجاءا بالنتيجة الايجابية التي تمثلت في رفع العريضة الى الحاكم ، ومن ثم تحويلها الى القاضي ابن مهزع الذى أصدر قراره الشهير فيها .

(٢) راجع مذكرات تشارلس بلكريف الذى ذكر فيها انه اقترح على ديلي أن يعدم الشرطي اسماعيل باطلاق الرصاص عليه لا بشنقه وان ديلي قد قبل ذلك منه ونفذه كما يظهر من قول بلكريف !!

المساعدة العسكرية لمجابهة اضراب الشرطة عن العمل ، فجاءت بعض البوارج الى ميناء المنامة ، وعلى ظهرها مئات من الجنود (البتان) بقيادة ضابط انكليزى ، وجاء على رأس هذه القوة الميجر برت وهو يحمل أمراً من الرئاسةبالحلول محل الميجر ديلي ، ونقل هذا الأخير من البحرين الى بريطانيا .

وحين نزلت هذه القوة الى البر راحت تستعرض قوتها بالطواف فى شوارع المنامة فى مظاهرة قوة ، واستعراض عضلات بريطانية كرد اعتبار لما لحق بهيبة دولتها من مهانة فى الأحداث الأخيرة ..

كانت تتقدم القوة سيارة تحمل كل من الميجر ديلي والميجر برت .. فمرت بشارع البلدية ، ومن ثم عرجت على شارع الشيخ عبد الله واتجهت جنوباً الى قلعة الديوان ، وهناك قامت هذه القوة باعتقال أفراد الشرطة المضربين ثم سيقوا الى باحة قرب بيت الشيخ قاسم وأوقفوا ثم لحق بهم الميجر ديلي ،وان احدىأذنيه لمضمدة بقطعة كبيرة من الشاش الأبيض نتيجة اصابتها اصابة كبيرة برصاصات الشرطي اسماعيل . وحين وصول ديلي الى حيث يقف أفراد الشرطة المعتقلون بحراسهم الانجليز وقد غصت الباحة بجموع كبيرة من المواطنين ، قصد الى بيت الشيخ قاسم واستأذن فى زيارته فأذن الشيخ له .

وفى مجلس الشيخ التقى الاثنان قال ديلي للشيخ : جئت لزيارتك مع ما علي من أعباء ومشاغل ، ها أنا أمامك بشخصي بعد ما أشيع أن البلوشي قتلني ، وها أنا قد جمعت كل الشرطة البلوش قريب من بيتك ، وهم فى الطريق الى الخروج من البحرين الى بلادهم ..

فرد عليه الشيخ قائلا : **ياديلي أنك قد عملت فى البحرين أعمالا تسيء الى سمعة دولتك ، وان الناس هنا متذمرون منك غاية التذمر ، وقد سمعت أن الدولة ستنقلك وتعين معتمداً آخر غيرك .**

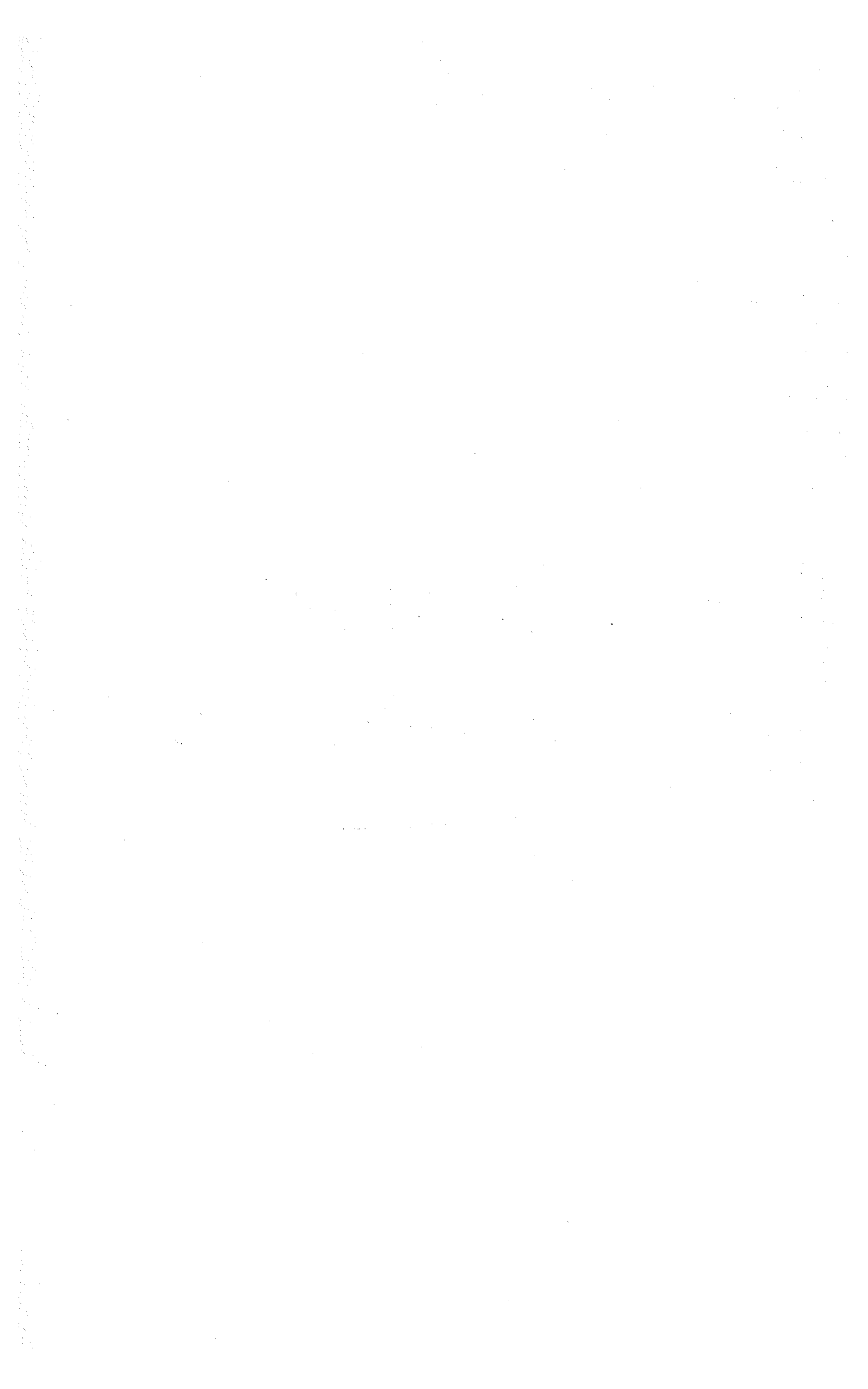
لم يرد ديلي على الشيخ بشيء ، بل استأذن فى انهاء الزيارة ومن ثم غادر مجلس الشيخ الى مكتبه بالقلعة وانتهى ذلك اللقاء الأخير .

وفى المساء سيق أفراد الشرطة المضربون الى بارجة من البوارج البريطانية الراسية فى ميناء المنامة ، واستبدال بهم غيرهم من الشرطة (البتان) لحفظ الأمن فى البلاد .

وان هي الا أيام قليلة مرت بعد ذلك .. غادر بعدها ديلي البحرين الى بريطانيا .

الفصل الثامن

الشيخ بين القضاء والاعتزال



- مــدخل
- الشيخ يعتزل القضاء
- الحادث على مستوى الناس والصحافه



مدخـــل

تميزت حقبة قضاء الشيخ قاسم فى البلاد ، بأنها حقبة هيمن فيها القضاء الاسلامي الصرف بقوة عظيمة ، بسبب أنها قد استمدت قوتها التنفيذية من قوة أحكام الشيخ التي كان يصدرها وفق الشريعة الاسلامية .

ولقد تمتع القضاء الأهلي فى البلاد بقيادة الشيخ قاسم — ذى الشخصية القوية — باستقلالية لم يعرف لها شبيه فى العصور المتأخرة فى البحرين ، واستمر تأثيرها يظهر بين آونة وأخرى فى قضاء العبادلة الثلاثة من بعده (١) .

غير أننا نستطيع أن نقول أن هيمنة القضاء الاسلامي على البلاد قد انتهت بانتهاء فترة قضاء الشيخ قاسم ، وهذا ما سنتحدث عنه لا حقاً بشيء من التنصيل .

كذلك لا يفوتنا أن نذكر أنه فى موقع من أهم مواقع السلطة الادارية فى البلاد ، ألا وهو موقع السلطة القضائية ، لم يكن فى يوم من أيامه ابان تولى الشيخ قاسم زمام أمره خاضعا خضوعا مباشراً للسلطتين التشريعية والتنفيذية فى البلاد ، الا أنه كان على صلة وثيقة بهما بما يحقق مصالح الناس القضائية .

ولقد كان هذا الامر يسير سيراً عادياً في البلاد قبل أن تحاول سلطة الحماية البريطانية التدخل فى شؤون السلطتين التشريعية والتنفيذية فيها ، مستغلة العنصر الاجنبي الطارىء عليها .

وان بلادا كالبحرين بها كثير من الاجانب بينهم قلة من الاوربيين كانوا يتميزون بالغطرسة والتعالي ، وكثيراً ما يلوذون بالوكلاء التجاريين منهم اذا لم يحصلوا على الافضلية فى المعاملة ، أو فى التجلة والاحترام من المواطنين، لحرى أن تحدث بها نزاعات بين هؤلاء الاغراب والمواطنيين .

وقد كان لحادثة ضرب خادم للوكيل التجارى الالماني فى المنامة عام ١٩٠٣ من قبل علي بن أحمد الخليفة تأثير كبير على السلطة القضائية في البلاد (٢) ، اذ أجبر السير برسي كوكس الوكيل السياسى البريطاني فى الخليج — آنذاك — حاكم البلاد ، ومن ورائه الشيخ قاسم على احالة

---

(١) راجع باب العزل ص ٢٠٢ .

(٢) راجع ملوك العرب للريحاني ص ١٩٢٩/٢٦٤

القضايا الخاصة بالاجانب فى البحرين الى دار الاعتماد البريطاني فيها ، وأنشئت محكمة خاصة لذلك بالدار نفسها ففقدت السلطة القضائية فى البلاد حقها فى ممارسة قضائها بين الاجانب .

غير أنه لما كانت الغالبية العظمى من هؤلاء من المسلمين اضطرت الوكالة السياسية البريطانية الى تحويل قضاياهم فيما بينهم وخاصة فى الاحوال الشخصية الى القضاء الاهلي (١) .

وبعد عشرين عاماً ، وعلى وجه التحديد بعد حادث ١٨ مايو ١٩٢٣ وما أعقبه من تنفيذ اجراءات استعمارية فى البلاد .. بعد ذلك مباشرة لم تكتف سلطة الحماية البريطانية باحالة قضايا المسلمين من الاجانب فى الاحوال الشخصية الى القضاء الاهلى فحسب ، بل بدأت فى التمهيد لجعل القضاء الاهلي الواحد فى البحرين قضائين سمتهما فيما بعد بقضاء شرعى وآخر مدني ، ثم أصبح القضاء المدني بعد ذلك ينمو على حساب القضاء الشرعى ابتداء من عام ١٩٢٧ عام عزل الشيخ قاسم عن القضاء .

هذا على صعيد القضاء الاهلي فى البلاد ، أما على الصعيد الشخصي للشيخ قاسم .. فمن الطبيعي أن نفوذه الشخصي بدأ يتقلص بتقلص نفوذه القضائي ، الذى كان يستمد قوته من الشريعة الاسلامية السمحة ، المدعومة بتأييد حاكم البلاد لها . أما وقد نحى الانكليز هذا عن الحكم عام ١٩٢٣ فقد فقدت هذه الشريعة مدعمها الاول فى البلاد .. (ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) من حديث للرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام .

كان من الممكن أن يتمرد الشيخ قاسم على هذا الاجراء الشاذ الذى اتخذته بريطانيا فى البلاد ، ويعلن بفتوى شرعية بطلانه ، وقد قال المقربون من الشيخ يومذاك أنه كان يفكر فى ذلك لولا أن سلطة الحماية قد سبقته فى التفكير بحدوث ذلك منه فأصدر الميجر ديلي أمره بتحديد اقامة الشيخ فى مدينة المنامة لا يتعداها ، وان لا يتصل بمدينة المحرق حيث مقر الحاكم المعزول . وقد استمر ذلك حتى نهاية العام ١٩٢٣ (٢) .

---

(١) راجع ملوك العرب للريحاني ص ١٩٢٩/٢٦٨

(٢) كان ذلك الامر فى صورة كتاب أرسله ديلي الى الشيخ قاسم يأمره فيه أن لايذهب الى المحرق لمقابلة الحاكم المعزول ، ولم نعثر على هذا الكتاب فى بقية ما عثرنا عليه من تراث الشيخ قاسم المحفوظ .

الشيخ يعتزل القضاء

بعد خروج الميجر ديلي من البلاد ، واعتماد بريطانيا الميجر (سى . سى . ج . برت) بدله بدأ محاولة اصلاح ما أفسده سلفه فساهم فى تفريج الازمات التي خلفها ديلي فبدأت فى الانفراج الواحدة تلو الاخرى (١) .

ثم بدأت الحكومة باجراء انتخابات جديدة لبلدية المنامة ، ورفعت الحضر عن الحفلات والندوات فى المدارس وفى النادى الادبي .

وبحلول عام ١٩٢٧ ونتيجة لكثرة القضايا المعروضة أمام الشيخ قاسم وتشعبها بدأ حاكم البلاد الشيخ حمد بن عيسى دعوة أعيان البحرين لمشاورتهم فى استحداث نظام قضائي جديد للبلاد ، فلبوا الدعوة واجتمعوا لدى الحاكم فى مجلسه الكبير بالمحرق .

وهنا أنقل ما أملاه على المرحوم الاديب الشيخ محمد بن عيسى الخليفة عن هذه الواقعة ، وما أكده لي بنصه كل من الحاج ابراهيم كمال ، والشيخ محمد الحباب المهزع .. قال : (تكلم الشيخ حمد فى رؤساء الناس فقال : ان الشيخ قاسم بن مهزع قد شاخ وكف بصره ووهنت قوته ، وان أهل البلاد قد تشعبت قضاياهم وكثرت ، ولا يستطيع الشيخ تحملها كلها لذا يجب تعيين قاض مساعد له ، وأختار الشيخ عبد اللطيف المحمود من علماء الحد .)

وقد وافق الحضور على رأى الحاكم ، الا أن بعض رؤساء مدينة المنامة قالوا (انا نحمل رغبة أهل المنامة فى طلب تعيين الشيخ عبد اللطيف

---

(١) جاء فى العدد ١٩٢٦/١١٢ من الشورى القاهرية لمراسلها فى البحرين تعقيبا على عزل ديلي واعتماد الميجر برت بدله ما يلي : (وزاد سرورهم وفرحهم الرجل الذى استبدلوا به وانزل فى وظيفته ، ويمضي على مقاليد أمورهم بعد رحيله ، فقد شاموا فى سيمائه من الصفات والأخلاق على عكس ما لسلفه الراحل ، وتفاءلوا بالرخاء بعد الشدة والسعادة بعد الشقاء والحرية بعد الاضطهاد وهاهي أول ثمرة قطفوها من تلك الشجرة ، ان انتظمت مدارسهم من عقالها وبدت فتاة نهضتهم بوجه باسم وثغر ضاحك فابيح لها اليوم ماكان محظورا بالأمس ، وانيلت من وصال الأحبة ما كان دون الوصول اليه مفاوز تنقطع دونها الأعناق ، وها هي الحفلة التي أقيمت لأبناء المدارس هناك بعد ان زجت فى زاوية الاهمال شاهدة لما قلنا وها هي حركة القوم اليوم لترقية المدارس برهان على حسن الفال للمستقبل فعسى أن يحقق (قنصلهم) الجديد آمالهم وعسى أن يتخذ من أعمال سلفه درساً دقيقا فى معاملة القوم) . البحرين ــ جهينة

بن محمد بن سعد السعد قاضياً للمنامة) ، فوافق الحاكم والمجتمعون ، ثم قام الشيخ الأديب محمد بن عيسى وتكلم فقال : (اني اقترح أيضاً تعيين قاض ثالث هو الشيخ عبد اللطيف بن علي الجودر ليكون قاضياً لمدينة المحرق ، فيشكل هو وقاضي المنامة والحد كلمة واحدة تنظر في جميع القضايا ، ولقضاتها أن يراجعوا الشيخ قاسم في القضايا الشائكة .)

ولقد وافق الجميع على اقتراح الشيخ محمد ومن ثم بعث الحاكم بكتاب الى الشيخ قاسم شرح فيه نتيجة ما أجمعت عليه كلمة أهل البلاد (١) . وبعث لكل من الثلاثة القضاة المعنيين بنسخة واحدة من كتاب التعيين (٢) .

غير أن الشيخ قاسم فهم من الكتاب خلاف ما أراد له المجتمعون أن يفهم ، فهم أرادوا أن يجعلوا له قضاة مساعدين ، لكنه فهم من ذلك بأن المجتمعين بعملهم هذا يحاولون تنحيته تدريجياً عن منصبه بتجريده من بعض صلاحياته القضائية واحالتها الى القضاة الثلاثة الجدد . فقال

---

(١) لم نحصل مضمون كتاب الشيخ حمد الى الشيخ قاسم فأوراق الشيخ قاسم قد فقدت كما قلنا سابقا نتيجة للاهمال وهذا ينطبق كذلك على كتاب الرد .

(٢) كانت النسخ الثلاث من كتاب التعيين بصورة واحدة لا يختلف فيها غير أسماء القضاة الثلاثة المعينين وهم المشايخ عبد اللطيف بن محمد بن سعد السعد ، وعبد اللطيف بن علي الجودر ، وعبد اللطيف بن محمود المحمود . وفيما يلي نص الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

حكومة البحرين

١٠٢٧/٢٥/ نمرة ١٣٤٥

من حمد بن عيسى آل خليفه

الى جناب الاجل الافخم العالم الفاضل حضرة الشيخ عبد اللطيف بن محمد بن سعد السعد المحترم بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام نعرف جنابكم بنسبة المفاوضة معكم عن أمر الشرع الشريف أننا قد عينا جنابكم وحضرة الشيخ عبد اللطيف بن علي الجودر وحضرة الشيخ عبد اللطيف بن محمود المحمود ابتداء من أول شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٥ ، ونؤمل من حضراتكم أن تباشروا الحضور في محكمة الشرع التي سيعين لكم محلها في المحرق ، وفي المنامة ، وتحكمون في القضايا الشرعية في جميع المقدمات التي تصدر اليكم من بيت الدولة ، ومحكمة البحرين — ويكون — الحضور في كل أسبوع أربعة أيام ، يومين في المحرق ، ويومين في المنامة ، ولأجل اشتغالكم بهذه الوضيفة (كذا في النص) الشريفة جعلنا لكل واحد من حضراتكم ماية روبية شهريا ، في كل شهر تقبضوها (كذا في النص) من (حفيز) محبكم .

ونرجو الله أن يوفقكم لصالح الاعمال ودمتم محروسين تحرر في ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٤٥ .

حمد بن عيسى آل خليفه

في نفسه بيدى لا بيد عمرو ، ورد على كتاب الحاكم بأنه يعزل نفسه من قضاء البحرين ، ويدعو للقضاة الثلاثة الجدد بالسداد والتوفيق .

الحادث على مستوى الناس والصحافة

وحين انتشر بين الناس خبر اعتزال الشيخ القضاء كان وقعه شديداً مؤلماً بين كثير منهم . بينما قال بعضهم : (حسنا فعل الشيخ فان قاضياً كفيف البصر لا يصلح للقضاء شرعاً) .

أما جريدة الشورى القاهرية فقد شنت هجوماً عنيفاً على الشيخ في عدة مقالات كلها كانت صادرة عن مراسلها في البحرين الذى كان يرمز لاسمه دائماً بكلمة (جهينة) .

بهذه المناسبة نورد هنا شيأً مهماً مما نشر من مقالات تلك الحملة الصحفية التي تعرض لها الشيخ بعد تنازله عن القضاء

أمامنا الآن عدة نصوص من تلك الحملة الصحفية ضد الشيخ قاسم ، منها ما يعرض بالشيخ ، ومنها ما يصرح به . وسنأتي بمثالين اثنين مما صرحت به تلك الحملة الصحفية ضد الشيخ . وسنختار مقالين معينين توخينا فيهما قصر في النص مع العثور على كل مواصفات رأى المعارضة في الشيخ قاسم ، ذلك الرأى المبطن بالتأييد للحكومة في تصرفها حياله .

ففي المقال الأول قالت الشورى في العدد ١٩٢٧/١٣٦ ما يلي تحت عنوان (عزل قاضي البحرين) :

(يذكر القراء ما نشرناه لجهينة عن أعمال الشيخ قاسم بن مهزع قاضي البحرين (١) . ونقول الآن : أنه عزل من منصبه ، ولكن بعد أن صار يملك (١١٠) دكاكين ، هذا غير العقارات والأملاك الأخرى التي تقدر بمئات الألوف ، وقد الفت حكومة البحرين محكمة شرعية مؤلفة من ثلاثة قضاة وقد سبق ذلك عزل الشيخ خلف بن عصفور قاضي الشيعة ثم نفيه من البحرين) .

---

(١) لم تذكر الشورى رقم العدد الذى نشرت فيه مقالا لجهينة عن أعمال الشيخ قاسم ... !!

وفى المقال الثاني قالت الشورى فى العدد ١٩٢٧/١٥٦ ما يلي تحت عنوان (المحكمة الشرعية) :

(كان الشيخ قاسم بن مهزع قاضي البحرين والشيخ خلف بن عصفور قاضيها الشيعي أهم العوامل التي ساعدت الميجر ديلي ، ولكن السياسة بعد أن فرغت منهما نبذتهما نبذ النواة . وكان الشيعيون قد اطلعوا على نوايا قاضيهم وأعماله فهاجوا وماجوا وطالبوا الحكومة بعزله فعزلته . أما أهل السنة فلم يحركوا ساكناً ، ولكنها (١) بعد ان حاولت انشاء ادارة للاوقاف أرغى الشخ (٢) وأزبد ، وأخذت الوطنية تدب فى عروقه بعد أن نبهها العرق الحساس ، فلديه ١١٠ دكاكين وأملاك من النخيل واسعة ، وأصلها أوقاف لفقها من هنا ومن هناك ، وسجلها ملكاً باسمه ، ولكنها معروفة ، ومن كانت الحكومة خصماً له فهى تستطيع أن تناقشه ، فكان أول المعارضين . ولذلك زادت الاشاعات عنه وتظاهرت بانصاف المظلومين منه ، ولم ترحلا الا أن تؤسس محكمة شرعية فأسست من ثلاثة قضاة ليسوا على جانب كبير من العلم ، ولكن من خيرة من في البلاد وعينت للاوقاف ادارة ليس للقضاة المحترمين فيها سوى الاشراف الاسمي ، وبعد أن توطدت أركانها وثبتت أسسها عزلتهم (٣)) .

---

(١) أى حكومة البحرين .

(٢) أى الشيخ قاسم بن مهزع .

(٣) الكاتب يعني هنا أن يقول عزلتهم عن الاشراف على دائرة الأوقاف ، ولا يعني عزلتهم عن القضاء فقد بقي هؤلاء الثلاثة فى سلك القضاء حتى توفوا الواحد بعد الآخر . والواقع الذى حدث يخالف قول الكاتب ، فقد عين حاكم البلاد القضاة الثلاثة الجدد مسئولين ونظارا على الأوقاف مباشرة بمرسوم هذا نصه :

قررنا وتعهدنا أن تكون الأوقاف جملة تحت أمر القضاة الشرعيين ونظرهم فى الحال والاستقبال ، تجرونهم أنتم وخلفاؤكم الذين تعينهم حكومة البحرين فى المستقبل على طبق القانون الشرعي ، وغيره بدون تدخل من أحد فى ذلك .

وللبيان أعطيناكم هذا المكتوب .

حمد بن عيسى الخليفة
حاكم البحرين

غير أن مستشار حكومة البحرين المستر تشارلس بلكريف قلص من نفوذهم على الأوقاف مخالفا بذلك نص المرسوم أعلاه .. الذى كان قد صدر من الحاكم باستشارته طبعا . أضف على ذلك بأن المرسوم كان يشملهم ، ويشمل خلفاءهم من القضاة الشرعيين فى المستقبل وقد راعى المرسوم ذلك بسبب أن الأوقاف شؤون دينية .. والمرسوم بعد ذلك صريح فى منع أى تدخل من أحد فى مسئولية القضاة هذه .

وواضح من الكاتب في المقال الأول قصده واقتصاره على مهاجمة الشيخ قاسم فقط . أما في المقال الثاني فقد اضطر الى التعريض بالشيخ خلف بن عصفور والقضاة العبادلة الثلاثة .. كل ذلك ابرازاً للصورة القاتمة التى أراد رسمها للشيخ قاسم ، فقد قارن بين تصرفات الشيعة مع قاضيهم ، وبين سكوت أهل السنة على تصرفات الشيخ قاسم فأيد الأولين ، واستنكر فعل الآخرين .

لكن الناس هنا فى البحرين قابلوا ذلك بامتعاض شديد واستنكار وتحدى بعضهم كاتب المقال أن يصرح باسمه لمناقشته ، وقام أناس كثيرون يدافعون عن الشيخ ، وطالبوا بمنع جريدة الشورى من الدخول الى البحرين .. قائلين أن الشيخ قد عزل نفسه بنفسه ، وأنه أثناء سني توليه القضاء وقدرها خمس وخمسون سنة رفض كل راتب ، ولم يستلم أي مكافأة على وظيفته تلك .. وأنه طرد الميجر ديلي من حضرته لما جاء له بالوسام والمكافأة البريطانيين . وان كانت لديه أوقافا ودكاكين فهي ماوهب له الحاكم الشيخ علي بن خليفة قبل ستين عاما ، وما أعطاها اياه الحاكم عيسى بن علي بعد ذلك ، وما ورثه عن والده وذويه . وكذلك فان من عادة الشيخ الاقتصاد فى معيشته فيتواجد عنده المال بسيولة كثيرة ، فلا يجد من سبيل بعد اخراج زكاته ، الا أن يشترى به دكاكين جديدة يضيفها لدكاكينه السابقة .

وما بقي من ذلك فهي أوقاف خيرية ، أوقفها أصحابها للبر ، وأطلقوا يد الشيخ للتصرف بها ، والنظارة عليها كعادة الناس مع قضاتهم آنذاك . وقالوا أن زكاة الشيخ التي كان يخرجها من أملاكه أحيت بيوتاً وأقامت أود عائلات فقيرة .

بعد ذلك منعت جريدة الشورى من الدخول الى البحرين لعدة أشهر . وسرى بين الناس بعد ذلك همس بأن كاتب المقالات فى مهاجمة الشيخ هو أحد اثنين اما خالد بن محمد الفرج أو صديقه عبد الله الزائد ، فهما اللذان على صلة قوية بجريدة الشورى .

الفصل التاسع

الشيخ قاسم
في نماذج من رسائله وتقاريره



بسم الله الرحمن الرحيم   بتاريخ شهر شعبان ١٣٣

وانا ناسلام الاسلام يوسف شيخنا الاجل الامام ... عيسى
وبتنفيذ حضرتكم لنا قاضيا وجب علينا ... الاحكام
الدينية ونذكركم ما لم يبلغكم من المضار الدينية
بلادكم من الغيبة لان القاضي واسطة بين احكام الشرع
وبين الحاكم ورعيته فيجب سلوك العدل
ونذلا وما لم يكن في قدرتي ارفعه لحضرتكم
الظلم موجود في بلادكم من نقص الموزون وبخس الميزان
وبخسا محققان والله رب العالمين قال في القرآن
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
الميزان لا الوزن عدم الظلم في كفتي الميزان وعدم نقص الموزون
من قدر المقدر من ولاة الامر اذا الاوزان ...
تحديدها الى الحكومة والمملكة فيجب على حضرتكم ...
الظلم الذي يشكوا منه كل مشتري والامر لكم ...
عليكم حرره خادم الشرع بالعرين
قاسم ...

وانا منه
صح

مدخل

لا يختلف الشيخ قاسم فى رسائله وتقاريره القضائية عن نهج القضاة المسلمين السابقين .. غير أنه كان لا يميل الى الاطناب والزخرفة والتطريز، وقد يميل قليلاً جداً الى السجع دون أن يلحظ قارئه ذلك منه لأول وهلة. كان الشيخ دائماً ما يتوخى الايجاز في تلك الرسائل والتقارير، ويكثر فيها من الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

ويتميز الشيخ فى رسائله وتقاريره بتلك الصيغة التعبيرية المشهورة عنه التي اتخذها شعاراً خاصاً به يفتتح به كل ما يكتبه للآخرين .. فهو يثبته فى كل ما يصدر عنه في تلك الرسائل والتقارير، ولم يتحول عنه الى صيغة تعبيرية أخرى حتى وفاته، وهو يثبته أيضاً فى موضع التحايا من افتتاحية كل ما يكتبه للآخرين وخاصة اذا كانوا من الرسميين، أو من هم فى درجة علية القوم، فبدل أن يكتب لهم يحييهم بعد التعريف بأسمائهم بقوله : **(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام)** ــ كما هي العادة فى التحية المتعارف عليها آنذاك ــ يكتب لهم بدلها شعاره المعروف فى جملة واحدة هي : **(وأسنى سلام الاسلام ..)** بينما يختم كل ما يكتبه للآخرين ــ بغض النظر عن مستوياتهم ــ بجملة **(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)** فان كان ما يكتبه للحاكم أو من ينوب عنه أنهى ذلك بتوقيعه عليه بالشكل التالي : **(منصوبكم قاسم بن مهزع)** ثم يضع ختمه المجرد من الألقاب، والذى لا يحمل الا اسمه واسم أبيه من تحت ذلك.

وان كان ما يكتبه من رسائل وغيرها موجها للناس العاديين فانه يتخلى عن شعاره السابق فلا يثبته فى الافتتاحية كتحية .. لكنه يضع بدله جملة التسليم العادية، ويختم ذلك بتوقيعه على الشكل التالي : **(خادم الشرع الشريف بالبحرين قاسم بن مهزع)** ويضع ختمه عليه.

والناظر لأول وهلة في تقارير الشيخ القضائية لا يراها تختلف فى أطرها عن رسائله العامة، فهو يبعث بتلك التقارير الى الحاكم أو من ينوب عنه فى صورة رسائل. الا أن الناظر اليها بامعان يرى انها تحمل تقارير الشيخ قاسم وأحكامه القضائية فى صورة تبليغ الى الحاكم ليقوم هذا بتنفيذها هو أو من ينوب عنه. ولا يبعث الشيخ قاسم برسائل التقارير تلك .. الا كأجوبة منه على ارادات أميرية تخوله النظر والحكم فى القضايا التي ترفع اليه من الحاكم أو من ينوب عنه مرفقة بتلك الارادات وما أكثر تلك القضايا من مدنية وشرعية .. بسبب أن البلاد لم تكن قد أخذت آنذاك بالقانون المدني الوضعي.

ومثلما كان الشيخ قاسم يفعل فى تبليغ أحكامه الى الحاكم أو من ينوب عنه .. كان يفعل ذلك مع دار الاعتماد البريطاني فى البلاد .. التي كان يرمز اليها فى بعض رسائله بالفرقة الأجنبية (١) فقد كانت دار الاعتماد البريطاني ترسل اليه ليست تلك القضايا التي تريد اصدار أحكامه الشرعية فيها بالنسبة للخاضعين لها من الأجانب فى البحرين فحسب .. بل انها كانت ترسل له بعض قضايا هؤلاء من تلك التي يقتضي الفصل فيها حسب نصوص الشريعة الاسلامية ، لكونها قضايا فى الأحوال الشخصية لمسلمين خاضعين آنذاك للسلطة البريطانية .

غير أن الشيخ رحمه الله كان يرفض دائماً أن يصدر أحكامه فى أية قضية ترد اليه وليس بها من الأدلة الشرعية ، من اعترافات وشهود ، أو مستندات ما يمكنه من اصدار حكمه فيها ، ويرد تلك القضية الى الجهة التي جاءت منها سواء من الحاكم أو من ينـوب عنه ، أو دار الاعتمـاد البريطاني ، ويشفعها بوجهة نظره في حجة رده لها ، وكثيرا ما يقترح على الجهة التي جاءت منها تلك القضية بأن تحولها الى مجلس أهل الحل والعقد فى البلاد (٢) كما ذكر الشيخ ذلك فى الرسـالة المؤرخـة فى ٢٥ جمادى ١٣٣٨/٢ هـ .

كذلك فان من رسائل الشيخ قاسم العامة ما تحمل الطابع السياسي كاجتماعاته بالمعتمدين البريطانيين فى البحرين .. لقد كان يبعث بنتائج تلك الاجتماعات الى حاكم البلاد فى صورة رسائل طابعها الايجاز والقصد فى القول مثل رسالته المؤرخة فى ٢٤ جمادى ١٣٣٨/٢ هـ .

ومن رسائل الشيخ قاسم ما يحمل التذكير للحاكم وبطانته بالأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر ، وازجاء النصـيحة مهما كانت الأحوال والظروف ، لا يخشى فيها أحدا غير الله ، فكان رحمه الله يكتب للحاكم الرسائل عن التطفيف في الأوزان ، كما في الرسالة المؤرخة فى ١٧ شعبان ١٣٣١ ورسائل أخرى عن أولئك الموظفين فى الدولة الذين يطفون ويتجبرون ، فيظلمون الناس بغير حق .. كما فى رسالته المؤرخة فى ١٧ ذو القعدة ١٣٣٨ هـ التي ينحى فيها باللائمة على أولئك الذين يظلمون من قبل أولئك الموظفين ولا يدفعون عن أنفسهم تلك المظالم برفعها الى الحاكم وحده لأنـه يمثل آنذاك الجهة المسئولة الوحيدة فى البلاد .

---

(١) انظر الرسالة الوحيدة الغير مؤرخة ص ٢٢٠ .

(٢) هو مجلس أهلي كان الحاكم الشيخ عيسى بن علي يدعوه للاجتماع لحل مثل تلك القضايا التي يردها الشيخ قاسم ، والمشاكل الأخرى مثل قضايا الغوص والقضايا التجارية .

كذلك فان من رسائل الشيخ قاسم الى الحاكم أو من ينوب عنه ما تحمل اعلامه وتعريفه بالانحرافات الخلقية فى البلاد .. من مفاسد ومظالم كثيراً ما تقع ، وكثيرا ما تغرب عنه بحكم وضعه هدفاً ـ كسيد أعلى فى البلاد ـ لحاشية تحجب عنه التبليغ بهذه المفاسد والمظالم بحكم مصالحها هي ، فيأخذ الشيخ قاسم على عاتقه تبصير الحاكم بعواقبها السيئة حتى يأخذ على أيدى أصحابها كما جاء فى رسالته المؤرخة في ٢٥ شوال ١٣٤٥هـ الى الحاكم الشيخ حمد بن عيسى .

ومن رسائل الشيخ أيضا ما تحمل أوامره وتبليغاته القضائية الى أمراء المدن في البحرين كأمير المحرق أو المنامة ليقوموا بتنفيذ أحكامه الصادرة فى القضايا التي تعرض عليه مثل ما جاء فى رسالته المؤرخة فى ٣٠ جمادى ١٣٣٨/١هـ الى أمير المنامة آنذاك علي بن حسين .

ولقد تعددت رسائل الشيخ الى المسؤولين فى البلاد وتنوعت فمنها حجج التمليك ، ووثائق الهبات والأوقاف ، ومنها ما حمل رسائل تقاريره القضائية وتوجيهاته الأخلاقية ، ومنها ما حمل تحقيقاته الدقيقة الجيدة التي يصدر على ضوئها أحكامه وخاصة فى قضايا الفوص على زمانه مثلما جاء عنها فى رسالتي تقريريه المؤرخين في ٥ جمادى ١٣٣٩/١هـ و ٢٤ رمضان ١٣٣٩هـ .

وتقارير الشيخ قاسم عبر رسائله ، وكذلك رسائله العامة كثيرة .. قد تصل فى تعدادها الى ما يفوق المئات ، فان من يمكث في ممارسة القضاء فى البلاد مدة تزيد على خمس وخمسين عاماً ، لا بد وأن تكون له حصيلة ضخمة من التقارير والرسائل .. وهذا هو المفروض أن يحصل اذا علمنا من جميع أقاربه والمتصلين به أنه قد ترك بعد وفاته مكتبة ، وتراثاً كبيراً مما كتب من الأوراق والكراسات ، ولكن بسبب كارثة ضياع جل تراثه بين ذويه ـ كما أسلفنا ـ سقط ذلك الفرض .

لهذا كله كان العثور على شيء من ذلك التراث يعد فتحاً كبيراً لهذه الدراسة التي نحن بصددها ، فانه خلال بضع سنين من البحث والتنقيب .. ومع قربي من موقع القضاء في البحرين طيلة عقدين من السنين لم أفلح فى العثور الا على ما يقارب المائتي نص من تقارير الشيخ ورسائله العامة .

وأكثر تقارير الشيخ القضائية ورسائله كان قد رفعها الى حاكمين اثنين من حكام البحرين هما الشيخ عيسى بن على وأبنه الشيخ حمد من

بعده ، وقلة منها كان قد رفعها الى الشيخ عبد الله بن عيسى لأنه كان ينوب عن والده فى بعض الحالات . فاذا قسمنا ما هو تحت أيدينا منها وجدنا أن تسعة أعشار تلك التقارير والرسائل كان موجها من الشيخ قاسم الى الحاكم عيسى بن علي ثم يأتي ابنه الشيخ حمد فى الدرجة الثانية من حيث العدد ،ثم يأتي الشيخ عبد الله بن عيسى بعد ذلك .. غيرأن رسائل الشيخ قاسم الى الناس الآخرين كانت قليلة لكون الشيخ رحمه الله لا يفرغ لذلك الا قليلا .. وهذا الوقت القليل أيضا يصرفه في الكتابة الى المسؤولين عن تنفيذ أحكامه وخاصة الى أمراء المدن فى البحرين كما قلنا سابقا .

وخلال مدة بقاء الشيخ قاسم في منصب القضاء الذى استمر لخمسة عقود ونصف .. كان يكتب بنفسه كل رسائله وتقاريره القضائية ، ورسائله الأخرى أيضا ويبعث بكل ذلك الى من يخصه من مسؤولين وغير مسؤولين . وقد بقي الشيخ على هذه الحال حتى قارب الثمانين عاما ، وهو يتمتع بصحة بصر لا يخذله فى الكتابة لنفسه بيده ، الا أنه فى عام ١٣٣٧ هـ شعر بضعف فى بصره أخذ يتزايد يوما بعد يوم ، عند ذاك فقط طلب من الشيخ عبد الله بن عيسى — وكان متنفذا آنذاك فى سلطة أبيه الحاكم — كاتبا يكتب له فقيل له : اختر من تشاء فاختار الرجل عبد الله بن هديب الاحسائي ليكتب له ، فكان عبد الله هذا أول من كتب للشيخ . وبعده بسنتين كتب له الرجل عبد الله بن عبد الرحمن السندى . ثم بعد وفاة هذا كتب للشيخ ابنه عبد الرحمن المهزع ثم توفى فخلفه فى الكتابة المحامي محمد بن راشد المحري فأصبح من تعاقب على الكتابة للشيخ أربعة من الكتاب خلال خمسة عشر عاماً انتهت بوفاته عام ١٣٥٩هـ .

نأتي الآن الى تقيم وتصنيف ما كتبه الشيخ قاسم من تقارير قضائية ورسائل عامة وخاصة لنجد أنه ليس لها جميعا حظ من لغة الشعر والأدب فصاحبها ليس بشاعر ولا أديب بالمفهوم الفكري المتعارف عليه ، وانما كان علماً متبحراً في الفقه والتشريع الاسلامي . لذلك فقيمة هذه التقارير والرسائل تنحصر فى كونها تمثل المناخ الحياتي للعصر الذى كتب فيه .. وهو مناخ عصر سلفي في عمومياته . لذلك فان قيمة التقارير القضائية منها تكمن فى كونها حيثيات أحكام شرعية تمثل العصر الذى صدرت فيه . وأكثر هذه التقارير لا يخرج عن كونه أحكام صدرت لقضايا فى الأحوال الشخصية للمسلمين .. وفى مجتمع شبه عشائري لم يستكمل الحياة الحضرية بعد آنذاك ، ولم تتنوع بعد فيه نواحي الحياة الاجتماعية ، ولم تتعقد .. فآخر هذه التقارير القضائية كان قد أصدره الشيخ قبل نصف قرن من الزمان فهو قد اعتزل القضاء عام ١٩٢٧ .

وفى محاولة منا لتصنيف ماكتبه الشيخ من تقارير ورسائل ليسهل على القارىء التمييز بينها بسبب تداخلها من حيث الصياغة الواحدة والاطار العام الواحد.. لم نستطع تحميلها فوق طاقتها بافرادها بتقسيمات متنوعة تخرجها عن تصنيفها الطبيعي . فهي كانت وستظل تقارير قضائية فى صورة رسائل ، ورسائل أخرى عامة وخاصة وعلى هذا الأساس سنتعامل معها في اثبات نماذج منها . ولقد توخينا فعل ذلك لأنه من غير المنطقي اثبات عشرات منها وهي تتشابه فى الصياغة الواحدة والاطار العام الواحد كما أسلفنا ، ولأن التقارير منها كانت تعالج مشاكل حياتيه آنية كثيرة حدثت آنذاك في زمانها الذى مضى عليه أكثر من نصف قرن .. وقد يحدث أن تتجمع عدة تقارير لقضية واحدة كما حدث فى قضايا التركات مثل قضية مخلفات التاجر الثرى راشد بن مهنا النعيمي عام ١٣٣٧ هـ التي استوعبت كثيراً من التقارير ، والتي قومت متروكات صاحبها بملايين الروبيات على ذلك الزمان الذى تعد فيه القيمة الشرائية للروبية الواحدة بما يعادل الدينار البحريني الآن أو تزيد .

وما ينطبق على تقارير الشيخ القضائية ينطبق على رسائله بنوعيها من حيث تشعبها وأهميتها التراثية . لذلك فسنثبت فى هذه الدراسة نماذج منها هي خلاصة ما عثرنا عليه وأوفاها فائدة لعثورنا فيها على كل اهتمامات الشيخ الأصيلة باحقاق الحق وازهاق الباطل .

أولا : الرسائل العامة

الآن وقد توصلنا الى تصنيف ما وقع تحت أيدينا مما كتبه الشيخ قاسم من مختلف رسائله .. فأصبحت صنفين من الرسائل ، فهي اما رسائل عامة وخاصة أو تقارير قضائية فى صورة رسائل .

وتوخياً منا للحصول على فهم القارىء لنصوص كتابات الشيخ عن أيسر طريق ، بسبب أن صياغتها التعبيرية ، بما ليس مألوفا الآن على سمع كثير من القراء ، وبسبب أن تقارير الشيخ القضائية أعقد فى ألفاظها وتعابيرها من رسائله العامة والخاصة التي هي أيسر من تلك فى الصياغة والتعبير .. آثرنا البدء بنشر نماذج منها لنتخذها سلما الى ذهن القارىء يعينه فى فهم تقارير الشيخ القضائية فيما بعد .

وتوخياً أيضا للفائدة التاريخية سنثبت هذه النماذج من رسائل الشيخ العامة والخاصة حسب تسلسلها التاريخي ، الأقدم فالأقدم ، مع دراسة موجزة عما أحتاج منها الى ذلك .

الرسالة الأولى

لاعطاء صورة مجسمة عن الشكل العام لرسائل الشيخ عموما .. نثبت هنا نص لرسالة عامة واحدة هي بخط يد الشيخ نفسه ، وكان قد بعثها بتاريخ ١٧ شعبان عام ١٣٣١ هـ الى حاكم البلاد آنذاك الشيخ عيسى بن علي الخليفة وهي كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم بتاريخ ١٧ شهر شعبان سنة ١٣٣١ هـ وأسنى سلام الاسلام يحف شيخنا الأجل الامامالشيخ عيسى بنعلي الخليفة وبتقرير حضرتكم لي قاضيا وجب علي القيـام بمعالم الأحكـام الدينية ونذكركم مالم يبلغكم من المضار الدنيوية على من في بلادكم من الرعية ، لأن القاضي واسطة بين أحكام الله وخلقه وبين الحاكم ورعيته فيجب سلوك العدل بمنهج الشرع فعلا وقولا وما لم يكن فى قدرتي أرفعه لحضرتكم فقد تكرر التظلم ممن في بلادكم من نقص الوزن وبخس الميزان نقصا وبخسا محققان والله رب العالمين قال فى القرآن وأقيموا الوزن بالقسط ، ولا تخسروا الميزان والمراد ببخس الميزان واقامة الوزن عدم الظلم فى كفتي الميزان وعدم نقص الوزن عن قدره المقدر من ولاة الأمر اذ الأوزان موكول بتقديرها الى ملك المملكة فيجب على حضرتكم نفي هذا الظلم الذى يشكو منه كل مشترى والأمر لكم وعليكم والسلام عليكم .

حرره خادم الشرع بالبحرين .

قاسم بن مهزع

فى هذه الرسالة يؤكد القاضي الشيخ لحاكم البلاد حقيقة واقعـة جلية يمليها موقع كل قاض اسلامي من حاكم البلاد ، أو من أي مسؤولين عن ادارة دفة الحكم فيها ، من كون ذلك القاضي فى موقعه مسؤولا أمام الله والناس عما يبدر من اهمال أولئك المتنفذين فى حكم البلاد لمسؤوليتهم فى رعاية شؤون مواطنيهم .

فكما أنه مسؤول أمام حاكم البلاد ، مذ وثق فيه وعينه قاضيا ، فان من مهام هذه المسؤولية بالنسبة له هي رصد كل الانحرافات في الجهاز الحكومي تلك التى تشذ عن جادة الحق والصواب ،ومحاولة تقويمه ورده الى تلك الجادة بكل ما أوتي من وسيلة .

وحين يقول الشيخ قاسم للحاكم فى هذه الرسالة : **(ونذكركم مالم يبلغكم من المضار الدنيوية على من في بلادكم من الرعية)** فانه يقرر أيضاً حقيقة واقعة ، فى أن ليس هناك قضاة دين ، وقضاة دنيا فى الاسلام ..

الذى هو نظام شامل لجميع شؤون الحياة اذن فمن واجب قاضي البلاد أن يعطي الحاكم أو من ينوب عنه أو من يشاركه فى المسؤولية صــورة صحيحة دقيقة عن كل ما يقع من المضار بأهل البلاد سواء فى دمائهم أو أموالهم أو حقوقهم الأخرى .

ويحدد الشيخ مهمة القاضي أيضا فيقول : (**لأن القاضي واسطة بين أحكام الله وخلقه ، وبين الحاكم ورعيته**) أي أن مهمة القاضي ليس القضاء بين الناس فقط ، ان مهمته فى الحياة مهمة مزدوجة .. فهــو واسطة فى نقل أحكام الله الشرعية الى خلقه وحراستها ما استطاع الى ذلك سبيلا حتى ينفذوها . ثم هو يكون واسطة المواطنين لنقل شكاواهم الى الحاكم أو من هو في مسؤوليته ومطالبته بالتحقيق فيها ورد المظالم الى أهلها أن كان فيها مظالم .

فمن ذلك ما عالجه الشيخ في رسالته هذه من التطفيف في الموازين ــ وهو ماهو واقع الآن ــ فالشيخ يطالب الحاكم آنذاك بالضرب على يــد المطففين فى الكيل والوزن . ويهيب به أن يدفع الظلم عن كل مشتر بحفظ مقادير الأوزان والمكاييل فكأنه يدعوه الى سن قانون بذلك ، فيقول له : (**والمراد ببخس الميزان واقامة الوزن عدم الظلم فى كفتي الميزان ، وعــدم نقص الوزن عن قدره المقدر من ولاة الأمر ، اذ الأوزان موكول بتقديرها الى ملك المملكة ، فيجب على حضرتكم نفي هذا الظلم الذى يشكو منه كــل مشترى ، والأمر لكم وعليكم**) .

والشيخ فى هذه الرسالة أيضا يطالب الحاكم بالالتزام بمنهج الشرع الشريف قولا وعملا فيخبره انه لا يرفع اليه الا الشكاوى والمظالم التي يرفعها اليه أهل البلاد والتي لا يستطيع هو حلها ، فيقول : (**فيجب الالتزام بمنهج الشرع فعلاً وقولاً وما لم يكن فى قدرتي أرفعه لحضرتكم**) .

ثم لا ينسى الشيخ بعد كل هذا أن يقول للحاكم فى نهاية هذه الرسالة: (والأمر لكم وعليكم) أي أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من حق الحاكم أو من هو فى مسؤوليته ان يقوموا به فحسب ، بل عليهم أن يتقبلوه من الناس الأخرين وأن يلتزموا به .

الرسالة الثانية

نأتي الى الرسالة الثانيه في مسلسل النماذج التي اخترناها من رسائل

الشيخ قاسم العامة ، وهي رسالة بعث بها الشيخ الى الشيخ عبد الله بن عيسى الخليفة يطلب منه كاتبا يكتب له . والرسالة كالآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

وأسنى سلام الاسلام للفاضل الجليل النبيل الشيخ عبد الله بن الشيخ عيسى ابن علي آل خليفة أيدهم الله

انني أحمد اليك الله كل جسمي بصحة من الله الا بصرى مرض في خدمتكم فتركتموه فهلا كنتم فى عون بلدكم ورعيتكم وقاضيكم بكاتب ، وأنتم اذا عذرتم عن تحرير التقرير فى كل قضية لا يعذرني الفرقة الأجنبية فأنا فى كبد أحمل نفسي حتى تفضي بي الكتابة الى كلال البصر اليوم واليومين فأعاود الكتابة ، ويعود الوهن حتى استيقنت أن ضعف بصرى من الكتابة ، والأمر لكم والسلام عليكم .

محبكم ومنصوبكم

قاسم بن مهزع

وكتب عنه لعذر

فى هذه الرسالة يخبرنا الشيخ بكلل بصره وضعفه فى خدمة القضاء فى البلاد ، فيقول لعبد الله بن عيسى : (**فهلا كنتم فى عون بلدكم ورعيتكم وقاضيكم بكاتب ، وأنتم اذا عذرتم عن تحرير التقرير في كل قضية لا يعذرني الفرقة الأجنبية**) .

أي أنه يقول : انكم قد تتجاوزون عن كتابة بعض التقارير القضائية في أى قضية ، غير أن الفرقة الأجنبية ، ويعني بها محكمة دار الاعتماد البريطاني لا تتجاوز عن ذلك وتطالب بتقارير القضايا التي تبعث بها الى الشيخ قاسم أولا بأول ، وان لم تنته محاضرها باصدار حكم الشيخ النهائي فيها . لذلك فهو يطلب كاتباً يحرر له شؤون محكمته ، ويضبط له جلساتها .

وقد أجيب الشيخ الى طلبه وأجيز فى تعيين كاتب له فاختار الرجل عبد الله بن هديب الاحسائي لهذه المهمة ، كما ذكرنا فى مدخل هذا الفصل.

والرسالة لم تكن مؤرخة ولم يكتبها الشيخ بقلمه القصب كما هي عادته ، ولكنها كتبت عنه لعذر كما ذكر فى نهايتها وهو ضعف بصر الشيخ ،

ولكن بعد عرض نص الرسالة على الشيخ عبد الرحمن المهزع قال : هذه الرسالة كتبت بخط غير خط كاتب الشيخ الأول وهو عبد الله بن هديب الاحساني . وعبد الله بن هديب هو أحد طلبة العلم من أهل الاحساء وهو أول كاتب للشيخ قاسم ومن قبله كان الشيخ يكتب تحاريره بنفسه .

وبعد تدقيقنا فى هذا الصدد ، ومقابلة هذه الرسالة برسائل الشيخ الكثيرة الأخرى اتضح لنا ان هذه الرسالة كتبت ما بين عام ١٣٣٨ و ١٣٤١ هـ بسبب أن من كتبت اليه وهو الشيخ عبد الله بن عيسى كان وقتها المتنفذ الأول فى حكم أبيه الشيخ عيسى بن علي وبقي كذلك الى أن عزل الانكليز أباه عن حكم البلاد عام ١٩٤١ .

الرسالة الثالثة

وهذه رسالة أخرى على جانب كبير من الأهمية .. لأنها تعطي صورة للمناخ الفكرى والاجتماعي فى البحرين عام ١٩٢٠ وقد بعث بها الشيخ قاسم الى حاكم البلاد عقب عودة الأخير اليها من رحلة للقنص ..

بسم الله الرحمن الرحيم

وأسنى سلام الاسلام يحف شيخنا الأجل الامام الهمام الشيخ عيسى ابن علي آل خليفة أيده الله .

وانني اكرر حمد الله ربي على كمال صحتكم وأزيد فى الحمد على مسرتكم في نزهكم لما فيها من ترويح الروح وتخفيف أثقال الأشغال وقد قدر لي اجتماع بالباليوز (١) بطلب منه حثيث ، وبعد المجالسة والمؤآنسة طلب أن اذاكر حضرتكم في أمر قد ذاكركم فيه من اذنكم فى ورود طيارة لعجالة سيرها بالمكاتبات والمخابرات لما بالمراكب من التعويق فاعتذرته فنوع تأكيد الخطاب فأردت أن أقيم عليه الحجة فى مظالم داخلية فقلت له : « اسمح لي فيما أبدى فان المنتمي للعلم له حرية الفكر فيما يبدي فى الشريعة وقانون الدول » ، فأقر بذلك . فقلت له البحرين فى أمن من الله الكريم باستقلال ملكها ، وما أقامه الله جل جلاله فيه من اتباع الحق بالشرع ولا بادية لها عليها تسلط بل ولا ذي امرة ، لكن من سوء المعاملة

---

(١) باليوز = كلمة هندية الأصل بمعنى معتمد .. هذا مايقوله الريحانى فى ملوك العرب جـ ٢/. بينما يقول عنها الشاعر خالد محمد الفرج فى ديوانه جـ ١/أن أصلها كلمة لاتينية ..

فى وكيل مراكب الحمال اكريبال فان عنده خدام فاقدين لخشــية رب العالمين ، وذواتهم شريرة ، وكلهم من السفله ، فهم يفتكون بالانتهاب من كل مال ينزل من الميل (١) فى سفنهم بغير سلاح ولا عدات حربية ، ولو سألت أو استلفيت مشتكي المنقوصين فى كل ميل لاستدعا بك الأمر الى الحيرة بل الحسرة . فقال أمس تحقق عندى ذلك . فقلت هذا قضية من ألوف ، فقال سأعمل اقدامات (٢) ، فقلت له نعم ان لم تصغي (٣) الى مجادلة (اكريبال) عنهم وغير ذلك .

ان المجاهرة بالظلم واجب رفعها لحضرتكم ، أمس المعين قبل غروب الشمس بنحو ربع ساعة جاء فى المسجد ثلاثة أنفار بحارين فى جالبوت لي وبواحد منهم سطوة خنجر دمها يسيل على جســمه ، وبالثاني ثلاث ضربات مؤثرة ، والثالث كل ثيابه مبتلة لأنه خاف مما رأى ونزل في البحر زاعمين أن خادمكم جابر بن محمد المري أراد أن يودوه (٤) المحرق ، فاعتذروا ان ما بقي من النهار وقت فالزمهم فتمنعوا ، وهذا فعله بهم . وأنا أرفع ظلامتهم حذرا من فشو الظلم والا أنا فلست بمظلوم . والأمر لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرر فى ٢٤ ج ١٣٣٨/٢ هـ

قرره منصوبكم

قاسم بن مهزع

فى افتتاحية هذه الرسالة هنأ الشيخ قاسم حاكم البلاد بعودته من بعض رحلات نزهة ، وأكثرها آنذاك تكون رحلات للقنص . ثم ذكر الشيخ ما فى هذه الرحلات من الترويح عن النفس . ثم دخل مباشرة فى موضوع الرسالة التي من أجله بعث بها الى الحاكم ، فذكر له انه اجتمع مع المعتمد البريطاني – وكان وقتها المستر (ديكسون) وانه طلب منه هذا انيشير على الحاكم ، بالسماح لدولته فى المجيء بطائرة لاستعمالها فى نقل البريد من والى البحرين لسرعتها ، ويظهر من سياق الرســالة أنه الى ذلك الوقت والبريد ينقل من والى البحرين بطريق البحر .

---

(١) أى من كل باخرة من بواخر البضائع القادمة الى البحرين . وكلمة (الميل) كانت تطلق عادة على أية سفينة من سفن البريد الناقلة له من والى البحرين والخليج .

(٢) أى ان المعتمد سيقيم قضايا ضد موظفي شركة (كرى مكنزى) .

(٣) كذا فى النص ، والصواب « ان لم تصغ .. »

(٤) يودوه : أى يذهبوا به الى المحرق ، والأصل فى الكلمة يؤدى .

لكن الشيخ يقول أنه اعتذر من المعتمد عن الاشارة الى الحاكم بتنفيذ طلبه . وحينما عرض المعتمد طلبه بطريقة أخرى على الشيخ قاسم ، رفض وقطع عليه الرجعة وأقام عليه الحجة فأخذ يعدد له مظالم شركة (كري مكنزي) اذ هي الشركة البريطانية الوحيدة التي عن طريقها ينقل البريد من والى البحرين آنذاك .

ولقد قال الشيخ فى أول رده على المعتمد هذه الكلمات النيرة **(اسمح لي فيما أبدى فان المنتمي للعلم له حرية الفكر فيما يبدى ، في الشريعة وقانون الدول)** فأقر له المعتمد بذلك . وهنا استطرد الشيخ قائلا : معناه ان بلاد البحرين مستقلة بحاكمها ، وليس بها صحارى شاسعة لا تستطيع السيطرة عليها ، وليس هناك من ينازع حاكمها الحق عليها ، وكان الشيخ يقصد بذلك أنه ليس هناك شيء من هذا القبيل حتى تحتاج حكومة البحرين لتلك الطائرة لاستعمالها فيه .

غير أن الشيخ يرد حالة كل سوء في نقل البريد والبضائع فى الخليج الى سوء تصرفات موظفي شركة كري مكنزى ، فتضيع أموال الناس ويفقد بريدهم بسبب الانتهاب والتلف فى سفن هذه الشركة ، لذلك طلب من المعتمد أن يحقق فى كل رحلة من رحلات هذه السفن ليجد صدق ما قاله .

الا أن المعتمد يطمئن الشيخ ويقول له أنه تحقق من كل ما ذكره وانه سيشكل قضايا حقوقية ضد أولئك الموظفين السيئي المعاملة فى شركة (كرى مكنزى) فيرد عليه الشيخ مشترطا أن لا يصغي الى دفاع هذه الشركة عن موظفيها .

ثم أن الشيخ قاسم ضمن رسالته هذه حادثة أخرى غير حادثة اجتماعه مع المعتمد البريطاني بشأن الطائرة .. تلك الحادثة هي حادثة وقعت له فى مسجده حيث جاءه ثلاثة من البحارة قبل غروب الشمس ، وكان بأحدهم جرح من ضربة خنجر والدم ينبع منه وبالثاني ثلاث ضربات مؤثرة ، أما الثالث فقد ابتلت جميع أثوابه بمياه البحر لنزوله من سفينته الى البحر خوفاً على نفسه حينما وجد أحد رجال الحاكم ويدعى جابر ابن محمد المرى يضرب صاحبيه . كان هؤلاء البحارة أصحاب سفينة صغيرة تنقل الناس والأثقال بين المحرق والمنامة فجاءهم جابر هذا وطلب منهم أن ينقلوه الى المحرق فأبوا محتجين بقرب غروب الشمس ، وهم لا يبحرون فى الليل ، ففعل بهم فعلته فلجأوا الى الشيخ قاسم يشكون اليه الرجل . ولم يحضر الرجل المعتدي معهم فرفع الشيخ في صباح اليوم

التالي أمر هذه الحادثة وأصحابها الى الحاكم حذرا كما يقول من فشو الظلم .

هذه خلاصة الرسالة ، وفيها يبرز الشيخ قاسم واحد من قادة الفكر المسلم الشجاع فى البلاد العربية .. فأي كلمات حرة شريفة تلك التي قذف بها فى وجه المعتمد البريطاني (ديكسون) حين قال له : **(اسمح لي فيما أبدى فان المنتمي للعلم له حرية الفكر فيما يبدى ، فى الشريعة وقانون الدول)** .

ويضيف الشيخ الى كلماته تلك .. كلمات حرة أخرى فيقول للمعتمد ما يلي : **(ان البحرين فى أمن من الله الكريم باستقلال ملكها ، وما أقامه الله جل جلاله فيه من اتباع الحق بالشرع ، ولا بادية لها عليها تسلط ، ولا ذى أمرة)** .

من رسالة الشيخ هذه عرفنا زمان الاجتماع واشخاصه وحيثياته أما مكان الاجتماع ، فان الشيخ رحمه الله لم يذكر ذلك .. والمرجح أنه كان فى مجلس الشيخ ، فان من عادة المعتمدين البريطانيين أن يأتوا اليه فى جل مهماتهم العاجلة ، فهو كان لا يجيبهم الى دعواتهم الا قليلا كما ذكر عنه (١).

هذا ما حاولنا القائه من ضوء على رسالة الشيخ قاسم هذه .. الا أنه لا يفوتنا هنا أن نذكر أن الشيخ أراد متابعة ما جاء فى القسم الأول منها ، والخاص بمناقشته مع المعتمد البريطاني بشأن شركة (كري‌مكنزى) وتنفيذ ما توصل اليه مع المعتمد من تشكيل قضايا من قبله ضد موظفي هذه الشركة ، لذلك فقد كتب — في نفس اليوم — الى الشيخ عبد الله بن عيسى رسالة يقول فيها : (وقد بعثت لحضرة شيخ الجميع كتاب (٢) متضمن محاضرتي مع (الباليوز) أنه يعمل اقدام قولا وفعلا يحسم ويحجز عن تلك الأفعال الرديئة فى أموال العباد ، ولكن مداراة فى همته على كلام حضراتكم عليه ..) .

من كلام الشيخ هذا نتبين أن الشيخ نفسه حين أراد ملاحقة موضوع شركة « كري مكنزي » هذا ، طلب من الشيخ عبد الله وهو يومئذ فى موقع

---

(١) راجع فصل الشيخ قاسم بين ديلي وحافظ ، وكذلك شهادة السير تشارلس بلكريف للشيخ قاسم فى مقدمة الكتاب وكذلك رسالة الميجر ديلي الى الشيخ المؤرخة ١٢ أغسطس عام ١٩٢٦ (فصل علاقة الشيخ قاسم بالميجر ديلي) .

(٢) كذا فى النص ، والصواب كتابا .

يمكنه من التأثير على حكومة أبيه ، أن يهتم هو ووالده الحاكم بالموضوع ويتحدثوا فيه الى المعتمد لتنفيذه .

أما الحادثة الأخرى التي رفع الشيخ قاسم أمرها ـ ضمن رسالته هذه ـ الى الحاكم فنستشف منها توصل الشيخ قاسم الى نتيجة حتمية أنه اذا لم يقم الحاكم بتأديب رجاله فمن يقوم بذلك فى زمان كان لهؤلاء الرجال (الفداوية) وجلهم كانوا من أعراب البادية .. صولة وسطوة فى الناس وحقوقهم ، وخاصة البحارة منهم والفلاحين ، وهؤلاء كانوا آنذاك السواد الأعظم من الناس .

كان الشيخ كغيره من الناس فى البحرين على علم بديهي بهذه الظاهرة السلطوية لرجال الحاكم آنذاك .. كان المثل المعروف (عنز الشيوخ نطّاحة) متمثلاً خير تمثيل فى هؤلاء (الفداوية) . لذلك رفع الشيخ قاسم أمر هذه الحادثة بسرعة الى الحاكم في يومها الثاني ، ولو قد علم بها ولديه متسع من الوقت لأبلغها اليه من وقتها .

لقد قال الشيخ للحاكم في آخر الرسالة (**ان المجاهرة بالظلم واجب رفعها لحضرتكم**) ثم قال (**.. وأنا أرفع ظلامتهم حذراً من فشو الظلم ، والا أنا فلست بمظلوم**) فاستعمل الشيخ كلمة الظلم والمظالم وسظلوم فى هاتين الجملتين ليدلل للحاكم أنه لن يتنازل عن واجبه فى رفع مثل هذه المظالم اليه لمعاقبة مرتكبيها ، حتى لا يأمنوا من طائلة العقاب . ويكونوا عبرة لغيرهم .

بقيت قصة الطائرة ، هل قبل الحاكم بمجيئها الى البحرين لغرض النقل منها واليها ؟

الظاهر أن الحاكم لم يوافق على ذلك لاعتبارات تتعلق بسيادة البلاد ، فقد كان يعتقد هو وأهل الحل والعقد فيها على ضوء ما عانوه من تدخل الانكليز فى شؤون البلاد الداخلية بمثل هذه الوسائل ، أن مجيىء هذه الطائرة وسيلة من تلك الوسائل ، وكان الشيخ قاسم فى اجتماعه هـذا بالمعتمد البريطاني على مثل هذا الرأى .. كانوا يظنون أن السماح بمجيء طائرة للنقل الى البحرين وسيلة تتقوى بها بريطانيا فى تثبيت سلطتها على البلاد .

ومن المعتقد أن الحال بقيت على ما هي عليه حتى سبتمبر عام ١٩٢٧ حين وصلت طائرة ركاب بريطانية الى البحرين بطلب خاص من تاجر لؤلؤ في الخليج يدعى ديفيد بنفيلد لينتقل بها الى البصرة (١) .

الرسالة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

وأسنى سلام الاسلام أبلغه شيخنا الأجل الهمام الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أيده الله تعالى ووفقه .

فانني أخطب بالثناء الجزيل على نسـلكم النبيل الجليل النتيجة الصفوة الشيخ عبد الله زائر شرفني شرفه الله منذ يومين وذاكرته فيما أحاذر في الدنيا والعقبى من الله ، وأبدى وفقه الله من المعاذير ما هو أعلم به مني ، ولكن معلوماتي من الخصوص والعموم ، ومفهومي من المنطوف والمفهوم ، أن أختر (٢) وسيلة للضرر وتقلباته بما يوحي الشيطان في قلبه ستكون سبباً لنزول القضاء والقدر ، وليس عنده من المقاصد الا دقة النظر في استخراج مظالم تخرج من دماء العباد والكل يراها اضطهاد مع أنها مظالم محضة فهي تخرج الى المستخدمين سرفاً وتبذيراً ، فلا تحسبوا ذلك هيناً فهو عند الله عظيم ، وقد انطبقت فانطقت أفئدة رعاياكم على بغض هذا والقلق منه والوحشة لخبث سجيته ونتيجته ومعاملته ومكالمته ولا أقول هذا بلسان المتكلمين ، ولكن من مدلول مكالمتي له وخبرتي به منذ أن رأيته الى ساعة الحال .

وأما الآن فقد تاجج اضطراماً حتى أنه لا يبالي بما يفعل أو يقول ، وأقواله محفوفة بعنف وتغيظ . وأسفا على خواص رعيتك في عدم تعريفهم

---

(١) تكرم الأستاذ سالم عبد علي العريض باطلاعنا على رسالة جاءته من زميله في تجارة اللؤلؤ التاجر الفرنسي ديفيد بننفيلد يقول له فيها : انني كنت في الخليج ابتداء من عام ١٩٢٥ وانه في عام ١٩٢٧ كنت في البحرين ، وطلبت من شركة الطيران الامبراطورية البريطانية، وكان لها فرع في البصرة أن ترسل لي طائرة خاصة الى البحرين لتقلني الى البصرة فكان أن جاءت الطائرة وحطت بالقرب من قصر الحاكم في القضيبية ، ويظهر أنها كانت أول طائرة يراها الناس تحط في البحرين ، حيث تجمع خلق كثير لمشاهدتها والتفرج عليها .. ومن ثم ركبتها أنا ومعي تاجر اللؤلؤ الكبير محمد علي زينل واتجهت بنا الى البصرة ، وكان ذلك في سبتمبر عام ١٩٢٧ .

(٢) محمد اختر هذا كان موظفاً هندياً في بلدية المنامة في بدء نشأتها .. ثم ذهب الى الهند في اجازة ولم يرجع حيث أن مجلس البلدية رفض اعادته الى عمله في البلدية .

حالة ذلك الشخص لحضرتك . أفمن هذه حالته أفتراه يصلح ذو ادارة في بلدة ورعية . وانظر أحاديث البخارى فيمن ولي أمة محمد صلى الله عليه وسلم — ولم يولي عليهم خيارهم كأنه عصى الله . أسـأل الله العظيم باسمائه الحسنى أن لا يجعلك ممن خصمه ربه . على أنه باجماع الدول وقوانينهم أن البلدية لدفع المضمار للرعية ، وجلب المصالح منوطة بذوى التقى والرعاية والرأفة الذين لا يتبعون أهوائهم . وأما أعضـاء الادارة والتدبير هم منسمطون من أختر ، ويرون نواياه وطواياه تفضي الى سوء منقلب وعطب ، وقد أثابكم الله جل جلاله علما وفهما ورحمة وشـفقة فاستصحبوا ذلك فى هذه البلدية ، ولا ترضوها أن تكون بلية ، ومظالم تتعدى الى يوم القيامة ، فأنا الناصح المبين والمفاكر ، فالحذر مما يغضب رب العالمين وأمركم لكم وعليكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرر فى ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٣٨ .

من منصوبكم قاسم بن مهزع

بمثل ماجاءت به هذه الرسالة تتأكد تلك الظاهرة التى يقول عنها من لحقوا على عصر الشيخ قاسم من العلماء والمثقفين .. والتي طالما سمعناها منهم ، من أن الشيخ جاء قبل زمانه ، وانه ليس فى مستوى مسئولية كقاضي البحرين فحسب ، انه فوق تلك المسؤولية .

كان يرصد أعمال موظفي الدولة ، فاذا بلغته مساوىء كثيرة عنهم فى معاملة الناس أرسل اليهم وسألهم عن تلك المسـاوىء فان ثبتت عليهم واستطاع أن يقتص منهم فعل ، والا رفع أمرهم الى الحاكم وتابع ذلك الأمر حتى ينجزه الحاكم ، وهو القائل فى الرسالة الأولى ما يلي : (**لأن القاضي واسطة بين أحكام الله وخلقه وبين الحاكم والرعية فيجب سلوك العدل بمنهج الشرع فعلا وقولا وما لم يكن في قدرتي أرفعه لحضرتكم**) .

اذن فأختر هذا لم يكن في قدرة الشيخ أن يقتص منه ، فرفع أمره الى الحاكم . بعد أن استنفذ جميع ما تطاله يده من الوسائل فى ردعه عن معاملته السيئة للناس كموظف كبير فى بلدية المنامة . فمن ذلك ما يقوله الشيخ فى بدء رسالته هذه من ان الشيخ عبد الله بن عيسى — وهو يومئذ رئيس لبلدية المنامة — كان قد زاره وتكلم معه بشأن معاملات (أختر) السيئة للناس — وأختر يومئذ بمثابة نائب رئيس البلدية — فهو يستعمل التعسف والاكراه فى تطبيق قوانين البلدية ، ومنها جباية الرسوم وتبذيرها على موظفي البلدية . غير أن الشيخ عبد الله أبدى المعاذير فى ذلك ، بما هو أعلم به من الشيخ .. كما يقول الشيخ .

الا أن الشيخ قاسم يعقب على ذلك فيقول : (**.. لكن معلوماتي من الخصوص والعموم ومن المنطوق والمفهوم أن أختر وسيلة للضرر ..**) ثم يقول للحاكم : (**.. فانطفت أفئدة رعاياكم على بعض هـذا ، والقلق منه والوحشة لخبث سجيته ومعاملته ومكالمته ..**) . ولم يقل الشيخ للحاكم كل هذا الا بعد أن استدعى أختر ووبخه على سوء تصرفاته الوظيفية مع أهل البلاد ، فأظهر له هذا عدم الانصياع فى تعسفه فى تنفيذ قوانين البلدية فقال الشيخ للحاكم عن ذلك ما يلي : (**ولا أقول هذا بلسان المتكلمين ولكن من مدلول مكالمتي له وخبرتي به مذ رأيته الى ساعة الحال**) .

ويظهر أنه لو بقي أختر هذا على ما هو عليه من تلك التصرفات التي ذكرها الشيخ في أول رسالته فقد لا يضاعف الشيخ حملته عليه لدى الحاكم ، ولكن أختر هذا ضاعف وأوغل في تعسفه فى تنفيذ قوانين البلدية بروح عدائية مقيتة .. حتى عدها الناس يومذاك اضطهاد وعدها الشيخ قاسم مظالم محضة (1) فقال عن حالة أختر التعسفية الجديدة ما يلي : (**أما الآن فقد تأجج اضطراما حتى أنه لا يبالى بما يفعل أو يقول ، وأقواله محفوفة بعنف وتغيظ ..**) .

ثم يعتب الشيخ على المقربين من الحاكم وعلى الشخصيات البارزة فى البلاد بسبب أنها لم تعرف الحاكم حق المعرفة بحال أختر هذا ، ولم تحتج على تصرفه .. وهل مثله يصلح أن يولى ادارة أى ادارة فى بلد ما ؟ فكيف بالبلدية ، التي تكون عادة ذات علاقة مباشرة بكل الناس فى البلاد فكيف يتولى أختر هذا ادارتها ويسيطر حتى على أعضاء مجلسها الذين يرون تصرفاته السيئة تفضي الى أسوأ منقلب فى علاقة الناس بالبلدية ، فلا يفعلون شيئا لوقفها . وقد قال الشيخ للحاكم عن كل ذلك ما يلي : (**.. وأسفا على خواص رعيتك فى عدم تعريفهم حالة ذلك الشخص لحضرتك ، أفمن هذه حالته أفتراه يصلح ذو ادارة فى بلدة ورعية**) ثم قال : (**على أنه باجماع الدول وقوانينهم أن البلدية لدفع المضار للرعية وجلب المصالح**) الى أن قال : (**وأما أعضاء الادارة والتدبير هم منسمطون من أختر ويرون نواياه وطواياه تفضي الى سوء منقلب وعطب**) .

ويختم الشيخ قاسم رسالته الى الحاكم طالباً منه أن يتدبر الأمر في اصلاح شؤون البلدية حتى لا تصبح بلية على حد قوله . أما ما كان من أختر

---

(1) الشيخ يريد أن يقوى من وقع رسالته على سمع الحاكم من ناحية ايفال الشيخ فى الدفاع عن حقوق أهل المنامة بشأن تصرفات المسؤولين فى البلدية ، فهو يقول : ان ما كانوا يعتقدونه اضطهاد من أختر فثاروا وأغلقوا حوانيتهم ومتاجرهم يسببه ان هو الا مظالم .

فانه طلب اجازة من العمل فى البلدية لزيارة ذويه في الهند ، ويومها قال له حجي محمد حسين العريض : انك اذا ذهبت فى الاجازة فلن تعود للعمل فى البلدية ، فلم يصدقه .. فكان أن عاد من اجازته الى البحرين . ولكنه لم يستطع العودة الى عمله السابق فقد طرد منه .

يقي أن نقول أنه كان من المعروف بين الخاصة والعامة فى البحرين أن الحب كان مفقوداً بين الشيخ قاسم وأختر لما يمثله هذا من مسؤولية فى بلدية المنامة .. وقد كتب فيه الشيخ قاسم عدة رسائل الى حاكم البلاد آنذاك الشيخ عيسى بن علي طالبه فيها بالحد من سلطة أختر وهي رسائل تشبه هذه الرسالة فى المضمون ..

الرسالة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

وأسنا سلام الاسلام الى أس الرياسة ونبراس السياسة النبيل المبجل الشيخ عبد الله بن شيخنا الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حفظه الله ووقاه .

ولقد شرفني بكتاب متضمن الأشرف خطاب فأنا السامع المطيع ، ولكن اذا تعارض واجبان يقدم ما قدم الشرع الشريف المعظم .

فانني حسب فراغي من حين خروجي من المسجد وأتحمل الصبر لأجل أن تجرى أحكام الذين يترافعون الى (الباليوز) الى شريعتك عند قاضيك فى بلدتك ، فتراني أكلف نفسي فوق طاقتي ولا يفقدوني خصومهم عن محل قضاء محكمتك .

وأسأل الله العظيم أن يبلغكم كل خير جسيم عميم بكمال المدرسة الخليفية وأرى علماء العلوم يقررون فيها كل منطوق ومفهوم . وأنت أكرم من رجي منه قبول العذر .

والسلام عليكم ورحمة الله .

حرر في ١٦ شعبان سنة ١٣٣٩ .

منصوبكم قاسم بن مهزع

هذه الرسالة بعث بها الشيخ قاسم ردا على رسالة جاءته من الشيخ عبد اللهرئيس مجلس المعارف آنذاك يدعوه فيها لحضور الاحتفال الكبير الذى

سيقام صباح الاثنين ١٧ شعبان سنة ١٣٣٩ بمنز له بالمحرق بمناسبة امتحان بعض تلامذة مدرسة الهداية (١) .

قد يكون هذا التصرف من مجلس المعارف غريباً فى بابه .. والا ما شأن امتحان تلامذة سنة أولى دراسية باقامة حفلة كبيرة لامتحانهم مما يؤدى الى ارتباك بعضهم فرسوبهم فى الامتحان . لكن المجلس أراد أن يخلد مناسبة اتمام أول سنة دراسية للتعليم الحديث فى البحرين .. فكان له ما أراد الا أن الشيخ اعتذر واحتج بانشغاله بالقضاء بين الناس عن تلبية الدعوة ، وقد برهن على ذلك بعرض برنامجه اليومي بين مسجده ومحكمته، فمنذ خروجه من المسجد بعد صلاة الفجر وهو يأخذ فى الاستعداد لعقد الجلسة الصباحية وينتظر حتى يؤتى له بقضايا محكمة دار الاعتماد البريطاني الخاصة بدعاوى الأحوال الشخصية وغيرها للمسلمين التابعين فى الرعوية آنذاك لبريطانيا .

لذلك فالشيخ يقول أنه يحمل نفسه فوق طاقته حتى لا يكون لدار الاعتماد البريطاني حجة فى عدم تصدي الشيخ للحكم بين الناس يومياً .

ويختم الشيخ رسالته هذه بالدعاء الى الله أن يعم مدرسة الهداية بالمحرق كل خير عميم فيكمل بناؤها وكان قد بدء به من قبل عام تقريبا من تاريخ هذه الرسالة .

هذه الرسالة ترينا بوضوح كيف كان الشيخ حريصاً كل الحرص على الجلوس للقضاء بين المتخاصمين يومياً بلا كلل أو ملل .. كان يقوم بذلك مرتين فى اليوم ، الأولى صباحا والأخرى مساء ، وتفصيل ذلك هو أنه كان يجلس للقضاء مع وقت فتح التجار لمتاجرهم صباحا ، وينهي جلسته مع وقت صلاة الظهر ، وقد يتأخر قليلا لكثرة القضايا التيتعرض عليه فى بعض الأيام . أما جلسة المساء فيبدأها من بعد صلاة العصرمباشرة وحتى وقت صلاة المغرب ، ولا يتأخر فيها مثل جلسة الصباح ، فانكان هناك بقية من قضايا لم يسمعها ، أجلها الى اليوم التالي ، كذلك فان الشيخ قاسم كان قليلا ما يؤجل بعض القضايا الى يوم آخر لاستيفاء الاثباتات فيها ، أو للتأمل . ولقد جاء وقت علي الشيخ كان يسمع فيه قضايا الحكومة فى الجلسات الصباحية ، وقضايا دار الاعتماد البريطانى فى الجلسات المسائية .

---

(١) مضبطة الجلسة ١٣٣٩/٥٨ لمجلس المعارف فقرة (٩) ١٧ شعبان ١٣٣٩ .

اما عن محكمة الشيخ هذه التي يعنيها فى رسالته .. فمقرها فى الصيف يختلف عنه فى الشتاء . ففى الصيف كان الشيخ يسمع القضايا وهو جالس فوق مصطبة مستطيلة تقع أمام بيته ، أما فى الشتاء فكان يسمع القضايا وهو جالس بغرفته الخاصة لهذا الفرض (١) .

أما عن تمنيات الشيخ لمدرسة الهداية فى المحرق كما جاء فى نهاية الرسالة ، فهو يزجيها للشيخ عبد الله بن عيسى لكونه رئيس مجلس المعارف الأول فى البحرين ، وهذا يذكرنا بما وقع بين الشيخ قاسم ومجلس المعارف من معايشة ومعاناة كما تقدم (٢) .

الرسالة السادسة

فى ٢٥ شوال ١٣٤٥

من خادم الشرع بالبحرين قاسم بن مهزع الي طود العقل ومجد العدل ملكنا المبجل الشيخ حمد بن الشيخ عيسى الخليفة أيده الله وأبلغ حضرتك أسنا سلام الاسلام .

وبعده فأرجوك أن تعلم ان الله رب العالمين استخلفك فى أرضه نائب عنه فى الحكم فى خلقه بأمره ونهيه وهو جل وعلا ينظر ويعلم كيف تعمل فملأ (٣) قلبك من خشية ربك وتعظيما لأمره فقد قال جل جلاله : (الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) .

فيا ملكنا أنت من أفراد عباد الله الذين ملكهم بالحكم فى خلقه بمقتضا حكمه . والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فسطاط الاسلام ، ولا يقوم الفسطاط الا بعمود الوسط ، وأنت ذلك العمود.وأفحش الفواحش ، وأفظع الفظائع المعمولة على بسيطة الأرض هي سفك الدماء المحرمة ، ثم اهمال كل حرة تجاهر بالزنى ، ثم الحكم على أوليائها أن لايحفظونها ولا يحافظون (كذا فى النص) علي صيانتها ، فهذا الأمر معول من حديد محمي فى نار يهدم به معالم دين الاسلام ، فالزنى نهى عنه رب العالمين على لسان كل نبي مرسل فى كل أمة ، وفى كل جيل ، لأنه فساد ، أعظم

---

(١) استقينا تفصيل ذلك من مجموعة كبيرة من الشخصيات .. وفى مقدمتهم الشيخين محمد الحباب وعبد الرحمن ابني الشيخ أحمد بن مهزع .

(٢) راجع فصل الشيخ قاسم .. المرجع والمستشار (قضية عرضية) .

(٣) كذا فى النص ، والصواب فاملأ .

فساد فى البلاد والعباد . فلذا قال رب العالمين : (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا ، فالفاحشة هي أفظع المعاصي ، والمقت هو شدة غضب رب العباد عليهم بما جاهروا به من غشيان المحرمات ، وساء سبيلا مسلوكاً . فانه جرم فظيع ممقوت فاعله ، والمجاهرة سبب نزول النقمة ، وحلول البلاد فى الطواعين المهلكة والأسقام المختلفة ، وجل البشر نفوسهم حيوانية ، لايحجزهم الايمان ولا خوف الرب ، ولا عذاب النيران ، فشهواتهم تقودهم بلا مبالاة ويتسع ميدان الفساد على العباد فى البلاد . فالرجل يترك ما أحل الله له ، ويجرى فى أودية الخزى ، والمرأة كذلك . وفوق ذلك الاولياء يتقلبون فى نار أعظم من لظى ، فلذا يتمنون النار ولا العار .

فيا أيها الحاكم ، ربك ولاك ، وحكم عليك أن تحكم بحكمه فيما ولاك من خلقه ، فشيد فسطاط الاسلام فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فانه لا يحب فى الأرض الفساد . ولو أنك تسمع عجيج رعيتك وضجيجهم وأنينهم لما قرت لك عين على مهاد ووساد ، ومقت الله أكبر من مقتكم لأنفسكم ، فانه جل جلاله حرم الفواحش ما بطن منها وما ظهر ، والاثم .

وان قلبى من ذلك ليبكى ، ولسانى عندك أيها الملك يشكي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

منصوبكم قاسم بن مهزع

ورسائل أخرى مشابهة

هذه الرسالة وجهها الشيخ قاسم الى حاكم البلاد آنذاك الشيخ حمد بن عيسى الخليفة يذكره فيها بمسؤوليته العظمى أمام الله ليضع ثقله وثقل حكومته فى محاربة موجة البغاء التي انتشرت آنذاك فى البلاد فانتشر بسببها الفساد والانحلال فى المجتمع .

والرسالة واضحة كل الوضوح فالشيخ يقول فيها عن الزنى مايلى: **(فانه جرم فظيع ممقوت فاعله ، والمجاهرة سبب نزول النقمة ، وحلول البلاد فى الطواعين المهلكة والأسقام المختلفة ..**) أى أنه سبب انتشار الطواعين ، وهي كثيرة الأنواع .. كذلك فانه سبباً لانتشار الأمراض السارية والمعدية .

ويقول : (**ان البشر نفوسهم حيوانية لا يحجزهم الايمان ولا خوف الرب ولا عذاب النيران ، فشهواتهم تقودهم بلا مبالاة ، ويتسع ميدان الفساد علي العباد فى البلاد ..**)

وفى الثلث الأول من الرسالة يندد الشيخ قاسم بجريمة الزنى ويذكر الحاكم بأنها من الفظائع الكبيرة ولا يقارنها فى فظاعتها الا بسفك الدماء المحرمة ، ويرفض أن يترك الحبل على الغارب لكل فتاة حرة ، تفعل ماتشاء فى نفسها .. ومن ذلك المجاهرة بالزنى ، فاذا ما أراد ذووها أن يمنعوها عن ذلك ويصونوا عرضهم بالمحافظة عليها وقفت السلطة وقوانينها فى وجوههم ، فيقول الشيخ فى ذلك : (**وأفحش الفواحش وأفظع الفظائع المعمولة على بسيطة الأرض هي سفك الدماء المحرمة ، ثم اهمال كل حرة تجاهر بالزنى ، ثم الحكم علي أوليائها أن لا يحفظونها (١) ولا يحافظون على صيانتها ..**) الي أن يقول : (**.. فالزنى نهى عنه رب العالمين على لسان كل نبي مرسل فى كل أمة وكل جيل لأنه فساد ، أعظم الافساد فى البلاد والعباد**) .

والشيخ فى آخر الرسالة يبلغ الحاكم استياء شعبه ــ آنذاك ــ من موجة البغاء هذه التى انتشرت فى البلاد ، ويبلغه أيضاً أن أصوات هذا الشعب قد ارتفعت مطالبة الحكومة بوقف هذا النزيف الخلقى فيقول مستثيرا عطف الحاكم : (**او أن حضرتك تسمع عجيج رعيتك وضجيجهم ، وأنينهم لما قرت لك عين علي مهاد ووساد**) .

هذه خلاصة الرسالة السادسة ، وهي رسالة من عدة رسائل عثرنا عليها فى هذا الصدد .. وكلها تعالج مواضيع فى الانحلال الخلقى الفردى فى البلاد ، ورصد الشيخ قاسم له ومقاومته . وقد اخترنا هذه الرسالة لشمولها فى معالجة موضوع البغاء في البلاد آنذاك . أما ما شابهها من الرسائل الأخرى فسنستعين بفقرات منها أثناء دراسة موضوع هذه الرسالة . لأن بها شيء من التفصيل .

وكل هذه الرسائل كمجموعة فى هذا الباب ، وان تفاوتت تاريخياً الا أنها تساعد فى تكوين صورة للوضع الخلقى فى البلاد خلال العقود الثلاثة الأخيرة من فترة قضاء الشيخ قاسم .. وهي العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين . أما قبلها وخلال أواخر القرن التاسع عشر حتى مطلع

---

(١) كذا فى النص وان كان الصواب (أن لا يحفظوها) .

القرن العشرين .. فالوضع الخلقى فى البلاد ، وخاصة فى موضوع البغاء يكاد يكون سليماً معافى منه ، بسبب تأصل الوازع الدينى فى نفوس الناس وتجذر الشرف والأصالة العربيين فيهم .

أما بعد ذلك فقد تعاونت عدة عوامل علي عمل أولى الخروق فى البناء الأخلاقى القوي فى البلاد .

منها توظيف قانون منع الاتجار بالرقيق من قبل الانكليز فى حماية أولئك الذين كانوا فى يوم ما رقيقاً ، ولكن لاعتبارات ولائية ومعيشية بقوا فى كنف أسيادهم السابقين ، فاذا انحرف بعضهم خلقياً لاذوا بدار الاعتماد البريطانى يحتمون بها من غائلة معاقبتهم فيسرى عليهم ما يسرى علي رعايا المستعمرات الانكليزية من قانون هو فى حد ذاته يناقض شريعة أهل البلاد فى المحافظة على الأخلاق فيحدث أن يسرح هؤلاء ويمرحون فى ممارسة الانحلال ، وهم مستندون الى (بيت الدولة) .

ومنها انتشار أفكار المبشرين فى الدعوة المشبوه لتحرر المرأة وقد مارسوا ذلك عن طريق مكتبتهم ومستشفاهم ، وعن زيارات مبشراتهم لبعض أسر البيوتات الكبيرة فى صورة قابلات أو معلمات أو حتى مربيات .

ومنها ضعف سلطة الحاكم ــ آنذاك ــ فى مراقبة شؤون دولته .

ومنها تواجد كثير من الغرباء العزاب فى البلاد أثناء مواسم الغوص ، والفلاحة .

ومنها جهل المرأة وعدم وعيها كلياً بأمور دينها ودنياها نتيجة عدم وعي الرجل اسلامياً .

ومنها اقتباس الناس هنا لشيء من التحلل الخلقى الآتى من الهند لصلاتهم بتلك البلاد عن طريق الزيارات المتبادلة .

وهناك عدة عوامل أخرى ساعدت فى غزو العفة والصون فى هذه البلاد ليس هنا محل لذكرها فنحن لا نقوم فى هذه العجالة الآن بدراسة ظاهرة البغاء الحديث فى البحرين ابتداء من مطلع القرن العشرين .. وقد نوفيها حقها من الدراسة فى وقت آخر . انما يهمنا هنا هو توضيح موقف الشيخ قاسم منها كموجة اباحية جديدةعلي البلاد، والتي رغممحدوديتها فقد كانت غريبة على الناس فى البحرين آنذاك .

وسنسوق الآن بعض فقرات من رسائل تقدمت زمان هـذه الرسالة ببضع سنوات .. رسائل كان قد بعث بها الشيخ قاسم الى الحاكم يشرح فيها بعض حالات من التدهور الخلقى وقعت فى البلاد عبر حوادث مؤسفة سنسوق تلـك الفقرات كنماذج تعبر عـن المناخ الذى كتبت فيه هـذه الرسالة السابقة .

حـوادث مؤسـفة

كان الزمن أواخر العقد الثانى من القرن العشرين ، حين حدثت بعض الحوادث المؤسفة .. فقد سقطت بعض الفتيات العذراوات فى حمأة الدعارة ، وحين اكتشف بعضهن قتل منهن اثنتان من قبل ذويهن وهربت ثلاث . كان وراء التغرير بهؤلاء الفتيات امرأة من الموالى تدعى مكيـة . ولما علم الشيخ قاسم بهذه الحوادث وتحقق من ملابساتها كتب الى حاكم البلاد الشيخ عيسى بن علي بتاريخ ٢٤ ذى الحجة ١٣٣٧ الرسالة التالية حيث قال فيها بعد التعريف : **(وحيث اني منصوبكم فيما يقتضيه شرع الله من الأحكام فبلسانى ولسان المسلمين بل والاسلام نشكو لجلالة حضرتكم فظائع من الفواحش ، يتجاهرون بها ويتظاهرون أسافل وأراذل فمنهـم (مكوه) مملوكة ناس من رعيتكم من الهولة ، تكرر منها اختلاس بنـات للناس فتجعلهم مع الفاسقين فى خباياها وخناها فمنهم من تهربها ومنهـم من يطلع أهلها عليها فيقتلوها فقتلن بسببها اثنتين (١) وهربت ثلاث . ولقد أعلن عتاب عند سفره ان البنت التي عنده جاءته بها مكوة العبـدة المذكورة وسلم بيدها أربعمائة روبية للبنت فأخذت أربعمائة الروبية ولم تعط البنت شيأً فاشترى للبنت صيغة بمائتين روبية . فلما لم تر زاجراً ولا رادعاً أعلنت منذ ثلاثة أيام أن عندها رقوه بنت عبد الله ولا تسلمها الا فى بيت الدولة وعبد الله بنفسه رأى ابنته عندها ولم تمكنه منها فها هو واصل لحضرتكم) .**

ويستجيب الحاكم لطلب الشيخ قاسم فيأمر بالقبض على مكيـة وسجنها ، لكنها لم تمكث فى السجن غير يوم وليلة ثم أطلق سراحها . ويعلم الشيخ بذلك فتثور ثائرته فيبعث برسالة مؤرخة فى ٢٦ ذى الحجة ١٣٣٧ الى الحاكم يقول فيها :

(ولقد أيضا سررت بحكمكم بسجن المارقة من الدين المتظـاهرة بأشنع المفاسد فى المسلمين ـ أكرمكم الله مكوه حليفة الشيطان اللعين ـ

---

(١) هكذا فى النص . والصواب اثنتان .

على أن سجنها عندها مما يسرها لعلمها بأن وصمة جرمها الحكمية السياسية قتلها بمشهد ممن فى البلد ، كما فعل عمر بن عبد العزيز بمن فعل فعلها ..) الى أن قال : (ثم استفتى المأمون قاضيه يحى بن أكثم فأفتاه بأن من يعمل بهذه الأعمال فى افساد محارم العباد أن يعمل به ماحكم الله به فى المحاربين واستدل أن الفساد فى المحارم أعظم من الفساد فى الأموال ، أما سجنها يوم وليلة وتسييرها بأمن وسلام فما أسر ذلك عليها ، وما أحزنه على من يعلم جرائمها . فهى الشاتمة بنطق اللسان لحضرتك ولقاضيك ولشريعتك ولقد ارتد بواسطتها خمسا من العبدات ، وان شنائعها لأعجب ما يسمع فى البلاد ، وقد علمتم أصلها وفرعها ، فليس لها من شافع ولا صديق حميم) .

هذه عينة مما يحدث من انحلال خلقى على نطاق ضيق فى البلاد آنذاك ، عبر ما استقيناه من رسائل الشيخ قاسم، ومن معلومات من عايشوا حوادث تلك الفترة . فمكّوه كما يسمونها آنذاك قد اكتشفت ان دار الاعتماد البريطانى تحمي من يلوذ بها من أولئك الذين كانوا موالياً ثم انحرفوا خلقيا فتمنعهم من أن ينالوا جزاءهم كاملا ، بسبب مجاهرتهم بالأباحية الخلقية ونشرها فى المجتمع ، فكانت تحترف البغاء وتقود اليه.. كانت تتصيد الفتيات وتجمعهن بالرجال المنحرفين فى أماكن خاصة بالدعارة تقوم هي بتهيئتها أو تأتي بالفتاة الى من يطلبها كما حدث لها مع الرجل (عتاب) أو انها فى بعض الأحيان تعلن عن وجود أى فتاة ما لديها اذا ما أخذ ذوو تلك الفتاة فى التفتيش عنها بعد افتقادها ، وتضيف فى اعلانها ذلك الى انها لن تسلم الفتاة لأحد اذا ما أجبرت على ذلك الا الى دار الاعتماد البريطانى كما حدث للرجل عبد الله مع ابنته رقية . اذن فمكية هذه كان لها دور بارز فى موجة البغاء هذه التي كان الشيخ الفاعل الأول فى مقاومتها ، لذلك لم يسلم هو ولاحاكم البلاد ولا الشريعة الاسلامية من سلاطة لسان مكية المقذع على عادة المنفلتين من نظام الأخلاق الكريمة الذين قد يأتى منهم فى المستقبل من تجمعه بمكية واضرابها زمالة فى العمل والانحراف فيجعلها ـ بقدرة قادر ـ الثائرة الأولى من أجل تحرر المرأة البحرانية .. وخاصة أن شريط جرائمها عرض على القضاء البحرانى عام ١٩١٩ عام بدء نشر أول صحيفة من سفر خروج المرأة المصرية الى الشوارع فى القاهرة للتظاهر فى شكل ثورة على الانكليز .

المهم أن مكية هذه أكرمت بتدخل المعتمد البريطانى لصالحها فلم تسجن غير أربع وعشرين ساعة ثم أطلق سراحها ..

ثانيا ـ نماذج من رسائل الشيخ الخاصة

هاتان رسالتان بعث بهما الشيخ قاسم الي كل من الملك عبد العزيز ابن سعود والشيخ أحمدالجابر الصباح فىاصلاح ذاتبينهما بسببمحاولة ابن سعود استيفاء الرسوم الجمركية من رعاياه السعوديين المتعاملين مع تجار الكويت ، وهم فى الاراضى الكويتية ، وما كان من رفض الكويتيين ذلك . فكانت أولا هذه الرسالة من الشيخ قاسم الى الملك عبد العزيز ، وهي كالتالي :

(خط الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل .

واسنى سلام الاسلام الي جواد النهي وهيكل الفكر والاستبصار والحجي المؤيد انشاء الله الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل. وبلغنى البارحة ما أخذ بمجامع أمرى وأدهش فكرى من أن ولات (١) الكويت سيلتجئون الى الانكيز بمقاررة بينهم فان صح ذلك فما أصرعه لقلب كل ذى دين وعقل . فان يفصم من عرى سلطانك وتكون فى أمور تحزن ، تعداد جملها افجع وأحزن . وعلمى بعلمك وفهمك أن تدرك مستقبل تلك المحزنات ، فاطمئن بأقل خراج واجعل أهل الكويت لك رعية مسترعات والا ستقصى (٢) يقصم العرى ، وما استقصى كريما (٣) قط وأخو الفطانة لا يحرك فتنة ، واذا حركته الفتن اطمئن (٤) فالحذار الحذار والبدار برابطة التألف البدار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فى ٢٥ رمضان سنة ١٣٤١

(المحب لكم فى الله قاسم بن مهزع)

أما رسالة الشيخ قاسم الي الشيخ أحمد الجابر الصباح فهي كالتالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ١٤ شوال ١٣٤١

وأسنى سلام الاسلام لحضرة الفاضل وجامع الفضائل ونتيجة الافاضل الشيخ أحمد الجابر الصباح .

---

(١) كذا فى النص والصواب (ولاة)

(٢) كذا فى النص والصواب (والاستقصاء)

(٣) كذا فى النص والصواب (كريم)

(٤) كذا فى النص والصواب (اطمأن)

وانني أحمد اليك الله ، وقد قال الامام احمد بن حنبل لو علمت دعوة يستجيبها ربي لدعوت بها لاصلاح ولات (١) المسلمين ولما سمعت ما شاع وذاع من مطالب الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن امير نجد من أجرى (٢) رسما ومالا (٣) فى مقابلته . ومع توارد الخطاب منكم ومنه بلغنى أن يلجيكم (٤) الى الالتجاء ويحملكم على الاحتماء بمن تعلمون . فسائنى (٥) واحزننى لأنكم أمة اسلامية ، أحكامكم شرعية ولما بينى وبينه من المذاكرة الدينية فى المنافات الشرعية كتبت اليه بما هذا لفظه ومعناه والسلام عليكم ورحمة الله .

المحب لكم فى الله ـ قاسم بن مهزع

من هاتين الرسالتين يتضح لنا بجلاء اهتمامات الشيخ قاسم الكبيرة بما يجرى حوله من أحداث سواء فى البلاد أو خارجها .. وسواء كانت تلك اجتماعية أو سياسية أو حتى اقتصادية ، ومشاركته فى بعضها ووضع الحلول لمشاكلها . فلم يعرف عنه طيلة حياته المديدة التى قاربت المائة سنة أنه كان بمعزل عما يجرى حوله من تلك الأحداث اذا علم بوقوعها ..

ولأن الشيخ كان صاحب عقيدة اسلامية واعية فمن الطبيعى أن يرفض أى تواد بين المسلمين وبين أى من الدول الاستعمارية سواء كانت بريطانيا أو غيرها . ولما كانت بلاده قد ابتليت بالاستعمار رغماً عنه وعن مواطنيه فقد حفزه ذلك على مقاومة ذلك الاستعمار داخلياً كما أسلفنا ، وخارجيا مثلما نحن بصدده الآن عبر التعريف بهاتين الرسالتين . وان من كان فى مثل الشيخ خبرة فى معاناة الاستعمار وممثليه فى البحرين عبر وسائله التى منها (فرق تسد) ، فان الشيخ حين يسعى فى اصلاح ذات بين الاثنين متخاصمين من أمراء منطقة الخليج وما حولها .. يشير عليهما بانتهاج أيسر الطرق وأجداها لاصلاح ذات بينهما .

---

(١) كذا فى النص والصواب (ولاة)
(٢) كذا فى النص والصواب (من اجراء)
(٣) كذا فى النص والصواب (رسم ومال)
(٤) كذا فى النص والصواب (الجأكم)
(٥) كذا فى النص والصواب (فساءنى)

لذلك فانه عندما حدث الخلاف الجمركى بن السلطان عبدالعزيز ابن سعود والكويتيين (١) وتفاقم وسمع به الشيخ قاسم تحقق منه فوجد أن ابن سعود طالب الكويتيين بوضع مركز جمركى تابع له فى اراضيهم ، وكان من نتيجة ذلك أن رفض الكويتيون هذا الطلب فلما ألحف فيه عبد العزيز بدا وكأن أهل الكويت سيلتجئون الى الاحتماء من أجل ذلك بالانجليز . لهذا تدخل الشيخ فى الأمر أولا لدى ابن سعود لما بينهما من المذاكرة المتبادلة كما يقول الشيخ : ((.. **ولما بينى وبينه من المذاكرة الدينية كتبت اليه** ..)) (٢) فقد طلب منه المبادرة برأب الصدع بينه وبين الكويتيين .

رسالة الشيخ بشأن الجزارين

ياحليف الفضائل وياصفوة كل عاقل يا من هو في كل حال الى المكارم يسارع . وبعد أخصك بأوفر سلام ياقرة العين يا يوسف بن أحمد . وانني منذ زمن بعيد أتجرع شكوى فى كل يوم تزيد من مضالم (٣) الجزارين الشرعية والطبية . أما الشرعية فيتولي النحر من لا يخطر على قلبه ذكر ربه فضلا عن لسانه . وربنا جل جلاله يقول : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) . ثم الغش بخلط الرديء بأسواه (٤) . واما الطبى فكل

---

(١) كانت التجارة حرة بين الكويت والبلاد العربية السعودية فليس هناك من رسوم جمركية على التجارة بينهما .. فكان النجديون يتخذون من مدينة الكويت مركزهم التجاري الرئيسي ، فلما كانت الحرب العالمية الأولى نظم الشيخ عبد اللطيف المنديل مصلحة الجمارك فى البلاد السعودية ، فأراد عبد العزيز بن سعود ان يستوفى الرسوم الجمركية من التجار السعوديين المتعاملين مع الكويتيين ، ولكنه رأى انه لايستطيع استيفائها كامله غير منقوصه الا اذا وضع له مركزاً جمركياً فى داخل الاراضي الكويتية بسبب ان السعوديين كانوا اذا استوردوا بضائعهم من الكويت سالوا بها عبر ثلاث طرق رئيسية فى الصحراء فدخلوا المدن السعودية ، قبل أن يدركهم عمال ابن سعود لتحصيل الرسوم الجمركية منهم . وقد رفض الكويتيون مطلب ابن سعود ، فما كان منه الا أن عهد بمصلحة الجمارك فى بلاده الى متعهد قطيفى ضمنها سنويا بمبلغ اثنين وسبعين الف جنيه ابتداء من عام ١٩٢٠ بشرط آن يمنع ابن سعود التجارة مع الكويتيين فاصبح البلدان فى مقاطعة تجارية بينهما استمرت حتى عام ١٩٤٠ حين عقدت بينهما ثلاث معاهدات .. الأولى صداقة وحسن جوار ، والثانية اقتصادية ، والثالثة لتسليم المجرمين .

(٢) ولو اننا لم نعثر الا على شيء قليل جداً من تلك المذاكرة خلال رسائل قليلة كان قد بعث بها الشيخ الى عبد العزيز بن سعود .. وسنقوم بنشرها وتحقيقها فى الجزء الخاص بها .

(٣) كذا فى النص والصواب (مظالم)

(٤) كذا فى النص والصواب (بسواه)

داء يكون فى حيوان وأكل لحمه سرى الداء الي كل آكل منه ، وناهيك بمضاهرتهم (١) لولاة البلاد وأمور العباد ، فانهم متى شاؤوا الزيادة في الاثمان تواصوا باخفاء الاغنام وعدم ذبح السمان . هذا شأنهم فى البلاد . وأما فى المحلات التى يجلبون منها الاغنام فيكاتبونهم بما شاءوا ويكونوا فى الارسالات طبق ارادتهم ، فصاروا بذلك الاعتبار هم ولاة الامور وفساد البلدية . فعسى من أولى العزائم والهمم ان لايتركون الآخسون (٢) يترأسون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والدك

قاسم بن مهزع

تحدثنا فيما سبق عن اهتمامات الشيخ قاسم الكبيرة بما يحدث سواء فى بلاده أو فى منطقة الخليج والبلاد العربية المجاورة ، وتحدثنا عن شمول تلك الاهتمامات سواء فى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع . ومن هذه الرسالة التي شكى فيها الشيخ سوء تصرفات الجزارين مع مواطنيهم ، يتبين لنا بوضوح كيف كان الشيخ قاسم يرصد تصرفات أصحاب المهن فى البلاد مع الناس الآخرين .. كان الشيخ طول حياته كالحسبي فى الدولة الاسلامية ..

ومع ان هذه المهمة فى البحرين قد تولت بعضها بلدية المنامة منذ عام ١٩١٩ الا أن الشيخ لم يتخل عنها طيلة حياته . فلئن كانت البلدية تقوم بالعناية بالطرق وشقها وتنظيمها وما الي ذلك .. فان الشيخ كان يراقبها وهي تقوم بانشطتها تلك .

ومنذ انشاء بلدية المنامة كان بينها وبين الشيخ قاسم تعامل على مستوى تحقيق المنافع العامة للناس التى من أجلها انشئت البلدية .غير أن الحب كان مفقوداً فى بعض الاحيان بينها وبين الشيخ .. كان أكثر تعامله مع البلدية يحدث عن طريق الرسل أو الرسائل مثل رسائله فى (محمد اختر) المفتش الاول فى البلدية آنذاك (١) فها هو قد كتب هذه الرسالة الي الرجل يوسف بن احمد الذى يظهر أنه كان مسؤولا عن

---

(١) كذا فى النص والصواب (بمظاهرتهم)

(٢) كذا فى النص والصواب (ان لايتركوا الأخسين)

(٣) راجع الرسالة الرابعة من الرسائل العامة .

الجزارين فى تعاملهم مع المواطنين الاخرين ، وحدد شكواه فى بندين أولهما شرعى والآخر طبى .. فمن البند الشرعى قال الشيخ : ان الجزارين لا يخطر على بالهم ذكر اسم الله على ما يذبحون من بهيمة الانعام ، وأنهم يخلطون اللحم الطيب بالخبيث ويبعونه على الناس . وعن البند الطبى قال : انهم لايتورعون بذبح المواشى المصابة بالأمراض ، فيأكلها الناس فتنتقل العدوى منها اليهم ..

ولم يكتف الشيخ فى رسالته بذلك بل كشف عن ألاعيب أخرى يمارسها الجزارون فى فرض سلطانهم على الناس من ذلك تفصيلهم لمن هم فى مراكز السلطة فى البلاد على غيرهم من المواطنين . لذلك فالشيخ يشجب ذلك التميز الطبقي الذى يمارسه الجزارون ، فيداهنوا ولاة الأمور والتنفيذين فى البلاد فيبعونهم أو يهدونهم أفخر اللحوم .. فى معاملة خاصة ، بينما عامة الناس لا يحصلون حتى على المساواة فى هذا الصدد .

كذلك فضح الشيخ قاسم فى رسالته هذه أساليب الجزارين فى أسعار اللحوم .. فهم اذا أرادوا رفعها اتفقوا فيما بينهم على اخفاء المواشي، أو ذبح العجاف منها دون السمان بحجة ندرتها لذلك فانهم يتفقون مع مصدري المواشي على استجلاب ما يريدونه هم من المواشي حسبما يقدمونه للمورد من مواصفات تتفق معمصلحتهم هم دونمراعات مصلحة المواطن العادي . وعلى أساس تحكمهم هذا فى تسويق هذه السلعة عدهم الشيخ قاسم كولاة الامر فى حكومة البلاد من حيث مواقعهم فى السلطة..

والخلاصة أن هذه الرسالة تؤكد بجلاء مستوى الرؤية الحضارية التقدمية لدى الشيخ ، فهو فيها يعالج بادراك علمي واجتماعي أهم أهم مشاكل المواطنين مع الجزارين .. لقد كان يشخص تلك المشاكل ويضعها أمام المسئولين فى البلديه والحكومة . كذلك فاءن الشيخ رحمة الله قد أعطانا – فى هذه الرسالة صورة – عن مشاكل الجزارين مع المواطنين قبل ستين عاما .. وهي لا تختلف فى عمومياتها عن المشاكل ذاتها الآن .

نماذج من تقارير الشيخ وتوثيقاته

بسم الله الرحمن الرحيم

وأسنى سلام الاسلام أبلغه الاجل الفاضل وهيكل الفضائل الشيخ عبد الله بن الشيخ عيسى بن علي الخليفه أيده الله .

وبأمر من حضرتكم ومعية خادمكم فرحان بن فري حضر محكمتكم الشرعية لدى منصوبكم ، عدوان بن حسين زاعماً أن والده توفاه الله وانه لم يجد له تركة الا بيت سكناه فاستبنت من أخيه المدعى عليه محمد فاقر بالبيت زاعماً أن على أبيه ديون وأنه استولى على البيت فى الديون التى على أبيه .

والحكم الشرعي أن البيت باقرار المتنازعين ملك لأبيهما فهو ملك للوارثين عموماً من ذكر وانثى . واما دعوى المدعي أن على أبيه دين فالدين لايثبت بالدعوى ، وبلادكم بحمد ربكم عمرتموها بشرع الله ، فلا يعذر أحد اذا جرى على جهله .

والسلام عليم ورحمة الله وبركاته .

حرر فى ٢٤ صفر ١٣٣٨

قرره منصوبكم قاسم بن مهزع

بسم الله الرحمن الرحيم

واسنى سلام الاسلام يحف شيخنا الأجل الامام الشيخ عيسى بن علي الخليفة أيده الله تعالى . وبأمر من حضرتكم ومعية خادمكم فرحان بن فري حضر محكمتكم الشرعية لدى منصوبكم ، ابراهيم بن علي وأخوه محمد بن على مدعيا ابراهيم انه عم من الصلب ليوسف بن حمد أبو اليتيمه التى فيها النزاع وخصه فى الرتبه محمد بن علي ، فعرضت دعواه على حاظنة (١) اليتيمة أم امها فقالت أنا فى طلب حقي فى حظانة (٢) ابنته بنتى . والحكم الشرعى فى هذه المسألة حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحابته وفى جميع أمته ان الحظانة (٣) تكون للنساء على حسب مراتبهم (٤) . فأولهن أم اليتيمه وثانيهن أم أمها وهى جدة اليتيمه ، وثالثا أختها وهى خالة اليتيمة ولا ترجع الحظانة (٥) الى الرجال الا بعد سبع مراتب كلها منوطة بالنساء سوى (٦) كانوا منطرف الأم (٧) أو من الاب . ولما علم ذالك (٨) ابراهيم المدعى المذكور احتج بقول لايثبت بدعواه فبينتله انهان أثبت انالجدة عمياء فليسللعمياء حظانه (٩)، أو هى معقدة لاتستطيع المشى فليست لها حظانة (١٠) ، أو هى فاسقة بملابسة أعمال الفسوق فليست لها حظانة (١١) .

(١و٢و٣و٥و٩و١٠و١١) حاضنة وحضانة والحضانة (٤) كذا فى النص والصواب : مراتبهن (٦) كذا فى النص والصواب (سواء) (٧) كذا فى النص والصواب : (من طرف).

والان انتفى جميع ذلك فابراهيم يدعى فيما ليس لـه والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته حرر فى ٢١ ربيع ١٣٣٨/٢ .

منصوبكم قاسم بن مهزع

مهر

بسم الله الرحمن الرحيم

واسنى سلام الاسلام الى حضرة الأجل الفاضل ونتيجة الافاضل الهمام الشيخ عبد الله بن المعظم الشيخ عيسى بن على الخليفة أيدهم الله تعالى .

وبأمر من حضرتكم معية خادمكم فرحان حضر محكمتكم الشرعية لدى منصوبكم ، جبر بن محمد طالبـا مـن مطلقته ظبيا بنت مسـعود ولده محمد الكائن فى حضانتها ، محققا أنها متزوجة وأن ولده عنـد زوجها فى الحد ، وهو حريص على صيانته فى تعليمه ما يجب لدينـه والمحافظة على عرضه . وأن يكون بين عشيرته فوجهت الخطـاب على المرأة أم الولد فأبدت مقالا ينبىء عن عقلها من أنها ترحل مع ولدها الى مسكن (جبر) بعد القفال هذه السنة ، وهى تكون مع زوجها والولد مع أبيه (١) ورأيت هذا القـول فيه رفق وسداد وقطـع لنزاع الغلظـة والفضاضة ، فطلبت من جبر أن يرضى بذلك . وكان فى المحظر (٢) من جماعته من أمر جبر بالرضى بذلك التقرير وطلب جبر ورقة على تقريرى الصادر ، فأجابت المرأة لذالك (٣) . وانحسمت الدعوى والله يحفظكم والسلام عليكم ورحمة الله حرر فى ٢٣ رجب ١٣٣٩

منصوبكم قاسم بن مهزع

---

(١) قصد الشيخ هنا أن المرأة وافقت ان ترحل هى وزوجها ـ بعد القفال أي بعد انتهاء موسم الغوص ـ من الحد الى جوار مسكن مطلقها فتكون هى مع زوجها بينما يكون ابنها من مطلقها مع أبيه وقريباً منها .

(٢) كذا فى النص والصواب (المحضر)

(٣) قصد الشيخ أن المرأة وافقت أن يأخذ مطلقها نسخة من قرار الشيخ اعلاه .

بسم الله الرحمن الرحيم

في ٢٤ محرم ١٣٤١

واسنى سلام لحضور طود العقل والحلم والمجد لاجل المبجل الشيخ حمد ابن شيخنا عيسى آل خليفة أيده الله .

وبأمر من حضرتكم ومعية خادمكم احمد بن عبد الرحمن حضر محكمتكم الشرعية لدى منصوبكم بحرية غواويص (١) ، سيوب (٢) ، وغاصة (٣) مدعين على نواخذاهم (٤) مبارك بن ريحان أنهم أودعوه مائة ريال وسبعة عشر ريال . وبعد يوم وليلة ادعى أنها سرقت والمتولى لبندار (٥) حفظها هو النوخذى وولده ، ولم ينتقص شيء مما فى البندار من دارهم النوخذى ولا من سواه من أموال الجزوى (٦) الذين هم لم ينزلهم من محملة (٧) . فاستبنت من النوخذى ما عنده من حجة فوجدته مندهشاً على غير محجة وخوفته الله وحذرته فخاف واستحذر . وأعلمته بدلائل القرائن فاستلزم بتسليم المال بعد القفال (٨) ، فهو ملزم بما التزم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

منصوبكم قاسم بن مهزع

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ٢٤ رمضان ١٣٤١

واسنى سلام السلام الى طود العقل والحلم والمجد لأجل شيخنا الشيخ عيسى بن علي الخليفة ايده الله .

---

(١) جمع غيص وهو البحار الذى يغوص فى البحر لصيد اللؤلؤ .

(٢) جمع سيب وهو البحار الموكل بسحب الغيص من البحر فى كل مرة ينتهى فيها هذا الاخير من مهمته فى أعماق البحر والتى قد تكرر عشرات المرات فى نهار اليوم الواحد .

(٣) جمع غيص ايضا .

(٤) ربان السفينة .

(٥) البندار : خزانة السفينة

(٦) الجزوى : البحارة .

(٧) محمله : سفينته .

(٨) القفال : موعد انتهاء موسم الغوص .

وأرفع لحضراتكم أن منصوص الشرع أن اليتيمــة وليها القاضي وعمل قاضيكم أنني أستبين فى ذاتها وجسمها . ثم أستبين الزوج وصفات حاله ، ثم أستبين المسوغات الشرعيـــه والشروط المقرره فاذا توفــرت المسوغات أمرت ذو (١) أمانة ودين يقبض صداقها ويشترى لهــا ما ينفعها ويبقى كالصندوق والصيغ بحسب مقدار الصداق وما لابــد منه مــن ثبات زينه أمد السنه . ثم أجعل جميع ذالك بين يدي اليتيمه وأقرره وأكتب فيه وثيقة . ثم أعقد لها على ذالك الزوج . والآن نزع الشيطان فى قلوب جهال بأحكام ديانيتهم فصاروا سماسرة بسحت الحطــام . فمن ذالك أمس الماضي حضر محكمتكم (٢) يتيمه وخالة أمها تشكى ضــر اليتيمة فيما تلاقيه مــن الزوج ولصغر حجمها وظعف (٣) جرمها ويبلغ سنها عشر سنين ، وفهمت من حالها عذرها فى النفرة من الزوج فاستبنت عن الصداق فاذا هو ستمائة روبيه وخمسون فسئلت (٤) من الــذى قبضه فقالوا الذى تولى عقدها فاذا هو ليس بأخ فسئلته (٥) عن المال فقال اشتريت لي به بيتاً وسأجعل لها فيه سهما . فسئلت (٦) عن العاقد فقالوا الشيخ محمد بن الشيخ عيسى بن راشد . فقلت بكم فقالوا بكذا وكذا ، فصرفتهم . فاءن شكا الزوج عند حضـــرتكم على قاضيكم ، فحضرتكم قاضى هذه القضية على أننى أعلم أن الشيخ عيسى بن راشد نفسه فيه ذهول في بعض الاحكام عن منصوصها كأنه جاهــل أو غافــل فكيف وولده الجاهل بمعالم ما يجب عليه ديانته فعلى العلم فليبكى مــن كان باكيا .

على أننى لا أعلم أننى احتجبت عن متخاصمين أو متعاقدين قلوا أو كثروا فى ليل أو نهار أوصحة أو أنحراف مزاج فلا حول ولاقوة الا بالله العلــي .

منصوبكم

قاسم بن مهــزع

---

(١) كذا فى النص والصواب (ذا أمانة)

(٢) كذا فى النص والصواب (يعني محكمته الشرعية)

(٣) كذا فى النص والصواب (وضعف)

(٤) كذا فى النص والصواب (فسألت)

(٥ ــ ٦) كذا فى النص والصواب (فسألت)

توثيق اتفاق بين متخاصمين

الحمد الله الذى وفق أهل الاتفاق على الصلح والاصلاح ودفـع النفاق ... فبعد محاضرت (١) محمد بن راشد بن سلطان آل بن علي طالبا حقه بالعصب الشرعي من علي بن سلطان الادنا (٢) من كل متمول يملكه شرعى ، وعبد الرحمن ابن عبد الرحمن آل درباس مع راشد بـن فاضل فى ما اختلفا فيه بعد ما اتفقا عليه صلحا لازلت أبين لكـل منهـم ما يجب ويتعين فى مرات متكره ويحضرونها لمنافات (٣) بينهم بمحـكمة الشرع لدي حتى من الله على كل منهم بالوفاق والاتفاق فتقرر لمحمـد بن راشد بن سلطان المذكور العصب من علي بن سلطان الأدنا (٤) . وهو ثلاثة عشر سهماً من ثمانية وأربعين سهماً . ولما أن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن درباس المذكور أثار نزاعا على راشد بن فاضل المزبور بمقالات يزعمها ان له حق فيها وكالة راشد بن فاضل بما ينافيها ، ولا ألومهما فكل منهما له رجهة هو موليها . وفى آخر المحاضر التى حضروها من اللـه عليهما بالصلح والاتفاق على اسقاط كل دعوى بينهما الا الحضور التـى يصطاد بها الحوت فتنازل راشد بن فاضل عن كل ما يدلي من الحق له فيها ، الاحضرة عبيد التى فى اسفاله (٥) فانه يزعمها وقفاً ، وحكمها بما يقتضيه الحكم الشرعيفيها فلم يبق بعد ذلكمثار بالاقرار من المتقارين.

قرره خادم الشرع بالبحرين
قاسم بن مهزع
فى ١٩ جمادى الثانى ١٣٤٢

---

(١) كذا فى النص والصواب (محاضرة)
(٢) كذا فى النص والصواب (الأدنى)
(٣) كذا فى النص والصواب (منافاة)
(٤) كذا فى النص والصواب (الأدنى)
(٥) قرية بجزيرة ستره احدى جزر البحرين .

قرار توثيق وتوكيل

المقضي لرقم ذلك التقرير هو أننى بولايتى لمنصب الأحكام الشرعيه فى البحرين عينت علي بن عبد الله بن حسن أبل على كل متمول خلفه علي بن محمد الدوي باختلاف المتولات ذواتاً واجناساً بحسب صفاتها واعدادها، نقود ومتمولات مبيعات وديون ، ودفاتر معامملات والأثاثات المستعملات وأستقصى (١) كل دين بذمة مدين وبيع كل متمول ما سوى العمارات ، وفى كل جزء من كل متمول يباع فى سوق المبيعات بعد انتهاء الرغبات .

ثم الواجب الهتم المؤكد عليه انه يجعل كاتبين ظابطين (٢) حاسبين متقنين يكتبان كل سلعة بيعت مع أسماء جنسها وعددها منها ، وليكن جميع ذلك بحضرة رجال أمناء أذكياء كا لأمير فهد بن عبد الرحمن ، ويوسف بن عبد الرحمن فخروه واحمد بن جاسم بن جودر ، وعبد الله بن احمد سياديه .

وبعد الفراغ يرقم كلا (٣) منهم شهادته تسجيلا فى المبيعات . وحيث أن هذا التقرير بولايتي الشرعية على القاصرين ، كذلك بولايتى فى حقوق النساء المحجوبات فى بيوتهن وما أريد الا العدل والاصلاح ما استطعت .

قرره خادم الشرع بالبحرين قاسم بن مهزع

فى ١٩ محرم ١٣٤٣ مهر

---

(١) كذا فى النص والصواب (واستقصاء)

(٢) كذا فى النص والصواب (ضابطين)

(٣) كذا فى النص والصواب (كل)



خاتمة

حين بدأت قبل سنوات فى تجميع أوراقي لوضع هذا الكتاب ، وأثناء تصفحي لوجوه كريمة عرفت الشيخ قاسم حق المعرفة ، وعايشته حق العيش .. كانت تلك الوجوه بالذات تسألني أن لا أدع شاردة ولا واردة من نوادر الشيخ التحقيقية التي يتوسل بها لاصدار أحكامه العادله .. الا وضعتها فى كتابي هذا بل أن بعضهم شد على يدى وشجعني ، ولم ينس أن يقول لي لا بد من وضع كتاب عن الشيخ ، لأن من يصدر تلك الأحكام الصادقة العادلة بطرق لا تخطر على بال فى الذكاء والفراسة يجب تعريف أمته به ، ومنهم من قال : من الصعوبة بمكان الكتابة عن ابن مهزع ، فنحن لا نعرف الا أنه أياس هذا العصر فى أحكامه .

وحين يطوف ذكر الشيخ قاسم أثناء بحثي واستقصائي عنه لا أجد من لا يعرف اسمه على الأقل .. بل على العكس من ذلك فقد توصلت — بعد وضعي الخطوط العريضة لهذا الكتاب — الى قناعة تامه وهي أن الشيخ قد أصبح شخصية عظيمة محفورة فى ضمير هذه الأمة . بحيث أن الناس هنا أصبحوا لا يرون عظمة هذه الشخصية الا من خلال اطار قضائها العادل بينهم .

وكما قلنا سابقاً عن التحقيقات القضائية التي كان الشيخ قاسم يجريها مع المتخاصمين أمامه ، وكيف كان ينتزع الاعتراف من أيهم بوسائل غاية فى البراعة والتجلي الذهني ، فقد كان يحاور المتقاضين ويداورهم ليتصيد الادلة منهم سواء لهم أوعليهم ، وعلى ضوء ذلك كان يصدر أحكامه فتأتي أقضيته فاصلة بالحق والانصاف .

كانت وسائل الشيخ فى اجراء هذه التحقيقات مثيرة للدهشة والاستغراب المزوجين بالاعجاب الشديد بقدرة الشيخ فى الوصول الى الادلة الدامغة لاى تهمة كانت .. ان كان لتلك التهمة شيء من الواقع .

كذلك فقد كان للشيخ قاسم حكايات ونوادر قضائية طريفة بعضها أشبه بالخيال في هذا الباب . وطوال حياة الشيخ في منصب القضاء ، كان الناس من حوله لا تفوتهم جلسة من جلساته للقضاء ، فكانوا يشاهدونه ويسمعونه ، وهو يقوم باجراء التحقيقات الطريفة المثيرة مع المتقاضين أمامه . لهذا أصبحت تلك التحقيقات محفورة في أذهان جلساء مجلس قضائه ، فكان هؤلاء يرونها للناس الاخرين في مجالسهم الخاصة والعامة، فتسرى فيهم سريان الغاز في الهواء .. لتصبح بالتالي حكايات ونوادر .. تغرى كثيرا من رواتها بأن يضعوا عليها لمسات من خيالهم . وهكذا شاعت بين الناس ، وكأن بها مس من الاساطير وهي حقيقة واقعة وحتى أصبح اسم الشيخ بسبب ذلك يوحي بما يصدر عنه من الطرائف والنوادر التحقيقية أثناء قضائه بين الناس وحتى أصبح أيضا من المسلمات بين عامة الناس في البحرين أنه اذا ذكر اسم الشيخ قاسم لا يتبادر الى أذهانهم الا نوادره وطرائفه في القضاء .

ونحن هنا لا نستطيع أن نثبت بعض نماذج من تلك الطرائف والنوادر ، بسبب أن مصادر ذلك تأتي عن طريق الرواية والسماع فقط ، ولم نعثر على شيءمنها مسجلا فيماعثرنا عليه منأوراق الشيخ القضائية.

وفي نهاية مطاف هذه الرحلة مع رئيس القضاة الشيخ قاسم بن مهزع آمل أن قد استطعت أن أقدم بعض الخدمة لتراث بلادي الحديث عبر تقديم شخصية الشيخ قاسم في كتاب .

والى لقاء آخر معه من خلال نشر ما عثرت عليه من رسائله وتقاريره وتوثيقاته .

الفهرست

الفصل الثالث	الصفحة

الفصل الرابع

الصفحة

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الصفحة



مصادر

رسائل ، وتقارير وتوثيقات الشيخ قاسم بن مهزع / مجموعة المؤلف

مضابط جلسات مجلس المعارف الأول فى البحرين من عام ١٩١٩ الى ١٩٢٩

رسائل الى الشيخ قاسم من رؤساء ومعتمدين بريطانيين / مجموعة المؤلف

الصحف

المقتطف اصدار عام ١٨٩٩ و ٢ و ٤ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٩١٤

العروة الوثقى اصدار عام ١٨٨٤ .

المنار اصدار عام ٣ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ٢٢ و ١٩٢٧ .

الشورى اصدار عام ٢٦ و ١٩٢٧ .

الأخبار اصدار عام ٢٦ و ١٩٢٧ .

الكويت اصدار عام ١٩٢٨ مجموعة المؤلف

البحرين اصدار عام ١٩٣٩ مجموعة المؤلف

مجموعة القوانين لحكومة البحرين اصدار ١٩٥٨

الشعر

ديوان المعاودة اصدار عام ١٩٤٢ / عبد الرحمن المعاودة

ديوان خالد الفرج اصدار عام ١٩٥٤ / خالد محمد الفرج

ديوان عبد الجليل الطباطبائى اصدار عام ١٩٦٥ تحقيق يس الشريف

ديوان ابراهيم الخليفة اصدار عام١٩٦٩ تحقيق محمد جابر الانصارى

ديوان شعراء هجر اصدار عام ١٩٦٧ تحقيق عبد الفتاح الحلو

من شعر عبد الله الزائد اصدار عام ١٩٧٢ مجموعة المؤلف

من شعر قاسم الشيراوى مجموعة المؤلف

الكتب	مؤلفوها
لؤلؤة البحرين	يوسف بن احمد البحرانى
التحفة النبهانية	محمد بن خليفة النبهاني
تاريخ الكويت	عبد العزيز الرشيد
دليل الخليج (القسم التاريخى)	ج . ج . لوريمر
ملوك العرب جزء (٢)	أمين الريحاني
الغارة علي العالم الاسلامى	محب الدين الخطيب ، ومساعداليافى
نابغة البحرين / عبد الله الزائد	للمؤلف
خمسون عاماً فى جزيرة العرب	حافظ وهبه
من تاريخ الكويت	سيف مرزوق الشملان
المنتخب فى قبائل العرب	عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيرى
محاضرات فى النصرانية	محمد أبو زهرة
أدباء الكويت فى قرنين	خالد سعود الزيد
مذكرات تشالس بلكريف	تشارلس بلكريف
الاتجاهاتالوطنية ..فى الأدبالعربى	د / محمد محمد حسين
كنت أول طبيبة فى الكويت	اليانور كالفرى
خالد الفرج	خالد سعود الزيد
النثر فى شرقى الجزيرة العربية	د / عبد الله المبارك
سلاسل المناظرات .. الاسلامية النصرانية	عبد الله العلمي
معجم البلدان	ياقوت الحموى
تاريخ الصحافة العربية	فليب طرزى
جزيرة العرب فى القرن العشرين	حافظ وهبة
المستشرقون والمبشرون	ابراهيم خليل احمد



كتب للمؤلف

١ ـ نابغة البحرين ـ عبد الله الزائد

٢ ـ القاضي الرئيسي قاسم بن مهزع

٣ ـ الأديب المؤرخ ناصر الخيري — مخطوط

٤ ـ شيء من الاصفياء .. يا سادة (ديوان شعر) — مخطوط

٥ ـ رسائل القاضي قاسم بن مهزع وتقاريره — مخطوط

الثمن : دينار ونصف كويتي